الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

افتتاحية

لا حلّت لا رَبْطت !

بقلم : مولدي الأحمر

العدد 420 - من الثلاثاء 27 أوت إلى الاثنين 2 سبتمبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

جوي هود سفير الولايات المتحدة الأمريكية في حوار شامل مع «الشارع المغاربي» :

لنا رؤية مشتركة مع تونس لبسط الاستقرار والأمن خارج حدودها

- تونس مستعدة لتصدير الأمن على المستوى الاقليمي ومستوى القارة
- لديّ الدليل القاطع على أنني سفير مرحّب به
- لن يكون مناسبا على الاطلاق الحديث علنا عن تفاصيل محادثاتنا مع تونس حول موضوع تجريم التطبيع
- تدخل قوات فاغنر في ليبيا وراء زيارة المبعوث الأمريكي إلى تونس

هل هي فعلا حكومة «لا رجوع إلى الوراء»؟

بقلم : صالح مصباح

الاتحاد العام التونسي للشغل: استفحال أزمة القيادة

بقلم : خميس عرفاوي

لا حلّت لا رَبْطت !

بقلم : مولدي الأحمر

كتب صديق على صفحته في فايسبوك أن على أي مترشح للرئاسة أن يلتزم بتحقيق مجموعة من المطالب، دونها " لا حلّت لا ربطت"!، وهذه عبارة تونسية تقال عندما لا يكون هناك اتفاق بين طرفين تتنازعهما مواقف متباينة، ولا يصلان إلى اتفاق مرضي لكلاهما.

ونحن كمواطنين، سيدعوننا المترشحون للتصويت كل لصالحه من حقنا أن نقول لهم ماذا نريد منهم. ولذلك نحتاج في هذه الفترة الانتخابية لأن يقول لنا كل واحد منهم، ماذا سيحلّ وماذا سيربط، وما هي الأهداف المفيدة لبلدنا والتي سيسعى إلى تحقيقها، وكيف سيقوم بذلك، ومع من سيقوم بذلك. لن أدخل هنا في نقاش بشأن القرارات التي اتخذتها الهيئة العليا المستقلة للانتخابات في ما يخص رفض وقبول مطالب الترشح، فرغم أن المسألة، من وجهة نظري، سياسية بالأساس وحدثت في أكثر من تجربة، فإن القانونيين هم حاليا أفضل من يتحدث في ذلك، إضافة إلى أن المحكمة الإدارية لم تقل في الموضوع كلمتها الأخيرة. ما يهمنا إذًن هو موضوع الحملة الانتخابية في حد ذاتها، كيفما انتهى الأمر بالترشحات.

وأريد أن أوضح هنا للمترشحين بأن من يستسهل الأجوبة على الأسئلة التي طرحتها، معتقدا أن نقده اللاذع للطرف المقابل، وإدخالنا بذلك في دوامة السب والشتم الانتخابي، سيكون كافيا ليعطيه مصداقية عندنا نحن الناخبين تمكنه من الفوز المستحق، سيكون قد ارتكب خطأ في حقه وفي حقنا. والسبب في ذلك هو أن الجزء الأكبر من الشعب سئم السباب والشتم السياسي، ولم ينس ثورته، بمعنى أنه لم ينس مطالبه، ومن المتوقع انها ستبقى معه حية إلى أن يصل إلى الحكم من يشرع في تحقيقها على مراحل يقتنع التونسيون بصواب ترتيب أولوياتها.

لقد ثار الشعب، وهذا ما أكدته دراسات عدة، على وضعه المادي والمعنوي التعيس الذي أفقده كرامته. وهذا الوضع التعيس له تفصيلات مطلوب من المترشحين الخوض فيها دون مواربة ودون خطابة فاقدة لموضوعها، لقد هرمنا بسبب كذب النخبة السياسية.

أول تفصيلات مطالب الثورة مشكل البطالة، وتعني هذه المشكلة أن المنوال التنموي الذي سارت فيه البلاد لم يكن يولي اهتماما لخلق فرص العمل بقدر ما كان يولي الاهتمام بكيفية مراكمة الثروة بأسهل الطرق لتنتفع بها أقلية. السؤال الأول للمترشحين هو اذن: ما هو تصوركم للمنوال التنموي الذي نستطيع اعتمادا عليه خلق فرص العمل للشباب المعطل؟ وهذا التصور ينبغي أن يوضح لنا ما هي حظوظ تنفيذه على أرض الواقع؟ ما الشروط السياسية والقانونية والاقتصادية والمعيارية التي ستجعله قابلا للتنفيذ؟ وما التدابير (على الأقل المبدئية) التي سيجري اتخاذها لجعل الأمر ممكنا؟ غير ذلك سيُعتبر كل خطاب عام بمثابة فشل مسبق في حل هذه المشكلة، ومرجعيتنا في ذلك كل التجارب التي عرفناها بعد الثورة، فهذا المنوال لم يتغير حتى الساعة.

المطلب التفصيلي الثاني للثورة كان تحرير التونسيين والدولة من بنية الفساد الذهنية والإدارية، التي تلبست بالاقتصاد وبالمؤسسات وبالمعايير، إلى الحد الذي أصبح فيه من لا يردم الهوة بين قدرته الشرائية وموارده الضئيلة، بالسرقة والرشوة والمحاباة، يعتبر مواطنا أحمقا لا يصلح لإدارة لا الشأن العام ولا الشأن الخاص،ويحق لص محترف، مسنود بالقانون الظالم وبقوة الدولة أن يأخذ مكانه في القيادة. وليس العمال والموظفون والمهمشون والمغلوب على امرهم وحدهم من كانوا يعانون من اتساع رقعة تلك الهوة، ومن قهر الرشوة وبلادة إدارة تعطيل الخدمات، بل كذلك مستثمرون مبعدون من دائرة محتكري حليب صفقات الدولة، وشبان رائعون وضعوا أقدامهم لأول مرة في أنشطة استثمارية واعدة، فقابلتهم السوق غير الحرة بالصد والإنكار.

ما هي خطة المترشحين للرئاسة في حل هذه المعضلة وامتداداتها السرطانية في المؤسسات المفتاحية للدولة؟ ما الوسائل العملية التنفيذية التي سيستخدمونها لحلها؟ وكيف سيستخدمونها دون السقوط في حملات التفتيش الانتقامية؟ نحن المواطنون نريد من المترشحين أن يجيبونا في حملتهم، ودون مراوغة،على هذه الأسئلة بوسائل وضمانات مقنعة.

المطلب التفصيلي الثالث للثورة كان الحرية في بعديها الفردي والسياسي. ويجب الاعتراف هنا بأنه لم تكن لعناصر هذا المطلب المركب نفس الأولوية بالنسبة لكل التونسيين، لأنهم ببساطة غير متساوين في شروطهم الحياتية، وهذا الشرط الحيوي ولّد لديهم فهما انتقائيا للحرية يقدمون بعضه على بعض آخر، ويبررون ذلك بتوجهات إيديولوجية شتى، خاصة أن دولتهم مارست عليهم قبل الثورة شتى أنواع العنف، ولم تحاسب المتسببين في ذلك بعد الثورة!

بعد الثورة عرفنا اغتيال سياسيين، ومنع فنانين من ممارسة فنونهم، ووضع معارضين في السجن، وعرفنا لغطا كبيرا حول المساواة بين المرأة والرجل. أيها المترشحون لرئاستنا، ما هو فهمكم للحرية الفردية والسياسية التي هي مطلب أساسي من مطالب الثورة؟ ما رؤيتكم لمسألة الحرية الفردية والسياسية، وما خطتكم العملية لتوفير شروط ممارستها ؟ وما ضماناتكم في ذلك؟

تلك هي مطالب الثورة مختزلة في نقاط ثلاث، فإذا تحققت تكون الكرامة قد تحققت. لكن انتظاراتنا من الحملة الانتخابية تفوق بكثير الحديث عن المنوال التنموي والإصلاح المؤسسي وتحقيق شرط الحرية في شتى معانيها. لأن هناك شروطا أخرى، بدونها لا يمكن للتقدم في مشاريع التنمية والإصلاح والحرية أن يتحقق، وهي أيضا حيوية. فبلادنا تقع جغرافيا في بحر متلاطم من الإمكانيات والمخاطر، وترتفع حاليا أمواج هذا البحر نحونا من الشمال والجنوب والشرق والغرب. وهذا الموقع له عمق تاريخي، أنتجناه بأنفسنا على فترات زمنية طويلة، فنحت خصائصنا وضمّنها انكساراتنا ونجاحاتنا وطموحاتنا. والثورات تعني، في وجه من وجوهها، انفجار الطموحات. وطموحاتنا، أيها المترشحون للرئاسة كثيرة ومشروعة، ودون إنجازها عقبات يتقاطع فيها الداخلي والخارجي.

في الداخل مطلوب توحيد القوى المشتتة في اتجاه استراتيجي، لا تتوقف مسيرة أهدافه بتغير الرؤساء والحكومات، وقد تداول على الدولة بعد الثورة كثر لم يحصل اتفاق بينهم سوى على البقاء في الحكم. مطلبنا منكم: كيف ستوحدون هذه القوى؟ ومن هي هذه القوى؟ وعلى ماذا ستتوحدون؟ نريد أجوبة واضحة فقد كرهنا قبول "مشاريع المهموتة". كونوا شجعانا وقولوا لنا بالضبط ما خطتُكم في هذا المجال، ونحن سندعم من يقدم لنا المشروع العملي المناسب والقابل للتنفيذ. أيها المترشحون، إننا نخجل اليوم من أن تكون بلادنا في ذيل كوكبة البلدان التي كنا نشاهد مجاعاتها، وحروبها ضد الاستعمار الأمريكي والفرنسي والبريطاني على قناتنا التلفزية. لقد وجدت تلك البلدان طريقها وبقينا نحن مكبلين بخياراتنا المزعومة.

أما على المستوى الخارجي فبلدنا لم يعد يقبل مكانة التلميذ الخجول الذي يفرح بحلوى المعلم المشجع له، وهي المكانة التي سكنت في الأشياء وفي العقول التي تمت برمجتها كي لا تجد سوى ما يوجد لها. لقد صرفنا وقتا طويلا في مشروع اللحاق بركب الحضارة، وكونا أجيالا لا تعرف للحضارة طريقا أو علامة أو معنى إلا الطريق الذي رُسم لها في سياق ملتبس، قائم على علاقة ذهنية واقتصادية وسياسية دونية. نريد الآن أن نستعيد قدرتنا على المبادرة الحرة، المبنية على الوعي الرصين والشجاع بعقبات وإكراهات الطريق، والمؤمنة بإمكانية تطوير بلادنا وتحريرها من مكبلات الماضي، والنظر إلى العلاقات الدولية على أنها فرص تبادل وانفتاح تخدم الجميع، كل حسب أهدافه.

أيها المترشحون لرئاستنا ما هي فلسفتكم في هذا المجال؟ ما هي أفكاركم العملية في هذا الموضوع كي توفروا لشباب تونس شرط الحق في التفكير المستقل لصالح بلده؟ نريد من حملتكم الانتخابية العتيدة أجوبة على هذا السؤال، فالعلاقات الدولية فهم، وفرص، واستراتيجيا وحصافة. ونحن سنحكم.

في النهاية نريد منكم أن تقولوا لنا، بوضوح، ما هي خطتُكم لجعل شباب تونس يحب العيش في بلده، فلا يغرّه خطاب الدجالين من الدعاة كي يلتحق ببؤر الحروب التي يخوضها الأعداء بلحمنا، ويديرها الوكلاء بأوهامنا. ما هي خطتكم كي لا يستهويه الموت في البحر غريقا على أن يبقى في بلده بلا شرف.

دون أن يقول لنا كل واحد منكم لماذا يريد أن يكون رئيسا لنا، "لا حلّت لا ربطت".

جوي هود سفير الولايات المتحدة الامريكية في حوار شامل مع «الشارع المغاربي» :

لنا رؤية مشتركة مع تونس لبسط الاستقرار والأمن خارج حدودها

• استراتيجيتنا المشتركة جعل المساعدات العسكرية الأمريكية متاحة لقوات دول جنوب الصحراء المتاخمة لتونس

حاورته : كوثر زنطور

في هذا الحوار الشامل مع « الشارع المغاربي» ، يجيب سفير الولايات المتحدة الامريكية بتونس جوي هود على مختلف الاسئلة المطروحة في الساحة السياسية ، مرات بصراحة واخرى بتحفظ او بتحفظ شديد ، عن العلاقات الثنائية الممتدة لاكثر من قرنين ، وعن الدعم الاقتصادي والمالي والتبادل التجاري وعن الصين وروسيا وعن حقيقة التدخل لمنع تمرير مشروع تجريم التطبيع وغيرها من القضايا ..

تدخل هذه الأيام العلاقات التونسية الامريكية عامها الـ227،، كيف تصفها اليوم؟

هي علاقات قريبة ومثمرة في الآن نفسه خاصة في مجالي التنمية الاقتصادية والأمن. وفي المجال الأمني تسعى تونس الى تصدير الاستقرار الى المنطقة.

أين تحديدا.. ليبيا؟

المنطقة بشكل عام.. في القارة الافريقية.

الم تتأثر العلاقات بالتطورات السياسية التي عرفتها البلاد والمواقف الامريكية منها والرد الرئاسي التونسي الحاد.. قد يصل الأمر إلى حد القول إنك من السفراء غير المرحب بهم؟

خلال هذه الفترة من العلاقات الثنائية الممتدة لـ 227 سنة كان هناك عديد من المواضيع بين البلدين التي نالت الاتفاق او كان هناك خلاف حولها.وفي الحقيقة العلاقات الثنائية مثلها مثل العلاقات الإنسانية قد يكون هناك توافق وقد يكون هناك اختلاف ولكن بالطبع التنظيم الحكومي والتنظيم السائر في هذه البلاد يعود حصريا الى الشعب التونسي ونتفهم أيضا كبلد وكحكومة ان هناك إجراءات على السلطة القائمة القيام بها حتى توفر الخدمات اللازمة للشعب التونسي ولي ان اذكر بان الولايات المتحدة الامريكية قدمت خلال فترة انتشار وباء كوفيد ما يفوق الثلاثة ملايين جرعة من التلاقيح واذكر أيضا ان رئيس الجمهورية لم يكن راضيا آنذاك على أداء الحكومة في توزيع الادوية وفي التصدي لهذه الحالة الوبائية ونحن نفهم في الحقيقة وندعم كيف لاية حكومة بما في ذلك الحكومة الامريكية ان تصر على سيادتها وان تضعها كاولوية مطلقة للحفاظ علي سيادتها وعلى مصالحها. ورئيس الجمهورية استقبلني في اليوم الأول لوصولي الى تونس وهذا بالنسبة لي دليل قاطع على انه مرحب بي في هذا البلد من قبل الشعب ومن قبل الحكومة.

تحدثت عن المساعدات خلال فترة كوفيد.. ما هو حجم المساعدات الأخرى بالأرقام حتى الان وهل تأثرت بما يفهم من توتر في العلاقات؟

بالنسبة للمساعدات العسكرية والأمنية قدمت السنة الماضية الولايات المتحدة الامريكية ما قيمته 160 مليون دولار وساعدت من خلال السفارة البحرية التونسية على انشاء مركز تكوين ببنزرت وقيمته في حدود 20 مليون دولار ومنذ ايام قليلة وافق الكونغرس الأمريكي على تقديم ما قيمته 110 ملايين دولار للقوات المسلحة التونسية في شكل مراكب بحرية طولها 65 قدما. واذكر بأننا اتممنا خلال هذا الشهر عملية بناء وتسليم مدرسة الامن الوطني بالنفيضة وقيمة الاستثمار الأمريكي في هذه المنشاة 20 مليون دولار والاستثمار من الجانب التونسي 20 مليون دولار. هذه المدرسة تمثل اكبر مركز تكوين وهي ايضا اكبر مركز تكوين تساعد الولايات المتحدة على انشائه يخص الامن كما قمنا خلال شهر ماي الماضي بتقديم طائرة شحن كبيرة من نوع سي 130 وهي سادس طائرة تقدمها الولايات المتحدة الامريكية الى القوات الجوية التونسية وهناك عزم على تقديم طائرة شحن سابعة خلال شهر سبتمبر القادم.. للتذكير تستعمل هذه الطائرات من قبل القوات الجوية في مهام إنسانية في تونس وخارجها لتقديم مساعدات إنسانية عاجلة او خلال الطوارئ او الكوارث الطبيعية. لا يتسع لي الوقت لعرض كل المساعدات التي تقدمها أمريكا في مجال المعدات العسكرية لكني اود التركيز على ان لتونس والولايات المتحدة رؤية مشتركة في المجال العسكري وفق استراتيجية مشتركة وهي بسط الاستقرار والامن خارج حدود تونس وفي كامل المنطقة وان تكون هذه المعدات وهذا التكوين الذي تقدمه الولايات المتحدة متاحاأيضالقواتدول جنوب الصحراء المتاخمة لتونس وهذا ما نقصده عندما نقول ان تونس مستعدة لتصدير الامن على المستوى الإقليمي ومستوى القارة.

ألا يشبه ذلك الى حد ما منصة عسكرية أمريكية او قاعدة عسكرية أمريكية بشكل او بآخر؟

قطعاً لا. هذه هي الرؤية الوطنية لتونس، والتي تتوافق مع المصالح الوطنية للولايات المتحدة. وتونس هي الآن بالفعل مركز تكوين إقليمي في مجموعة من المجالات، بما في ذلك الدفاع.

المساعدات العسكرية المقدمة لتونس هل هي على قاعدة احتياجات الدولة التونسية وأولوياتها او الامريكية وشركائها مثلما حصل مثلا مع القوارب الموجهة الى القوات البحرية التونسية .. اليست اولوية لشريكتهم إيطاليا في مقاربتها لمواجهة الهجرة غير النظامية ؟

تعاوننا الأمني أساسه مصالحنا وأهدافنا المشتركة إذ نوفر التمويل، وتحدد وزارتا الدفاع والداخلية التونسيتان الأولويات في ما يتعلق بما تريدان شراءه عبر هذا التمويل من أجل تعزيز هذه المصالح المشتركة.

هل ترون في استقبالكم من قبل وزير الداخلية في نفس اليوم الذي استقبل فيه سفير الصين من قبل رئيس الحكومة رسالة سياسية؟

عليك توجيه السؤال الى الحكومة التونسية وربما تجدين الاجابة عندها ولكن بالنسبة لي كنت سعيدا جدا بمقابلة السيد وزير الداخلية للحديث عن مواضيع مختلفة ولم يكن موضوع مركز النفيضة للأمن الوطني الموضوع الوحيد فقد كانت هناك مواضيع أخرى على غرار مساهمة الولايات المتحدة الامريكية في بناء 20 مركز شرطة وفي تكوين افراد او أعوان سيشتغلون فيها وايضا الوحدات البحرية للحرس الوطني التي تقوم بعمل جبار لإنقاذ الأرواح في البحر.. اذن هناك ملفات

عديدة بيننا وبين وزارة الداخلية.

بالحديث عن السفير الصيني هناك مؤشرات على تغييرات ممكنة في سياسات تونس الخارجية او بوضوح توجه نحوالشرق، هل ترون ان هناك خطوات جديةفي هذا الاتجاه؟

من الطبيعي جدا لاية حكومة في العالم ان تسعى الى إقامة علاقات جيدة مع كل دولة أخرى وأقول هذا لانني دبلوماسي واؤمن بهذا الشيء والهدف في الحقيقة وراء سياسات الولايات المتحدة هو ان تكون لتونس القدرة على السعي لاقامة هذه العلاقات من موقع قوة ولذلك تستثمر الولايات المتحدة كثيرا في تحسين الوضع الاقتصادي وأيضا تحسين الوضع الأمني في تونس.

هل ترون ان تونس ليست اليوم في موقع قوة... ألا يمثل ذلك تدخلا في خياراتها؟

صداقتنا وشراكتنا مع تونس تعودان إلى أكثر من قرنين من الزمان. وهذه الشراكة تعود بالنفع على الطرفين وتقوي بلدينا . والكلمة المفتاح في هذا هي الشراكة. فلا شيء في علاقتنا الثنائية مفروض من هذا الجانب أو من ذاك.

تحدثتم عن سعيكم لتحسين الوضع الاقتصادي.. بأية آليات يمكن للولايات المتحدة المساهمة في انعاش الوضع الاقتصادي؟

لنا مشاريع ناجحة بالشراكة مع الحكومة التونسية وهناك أيضا مشاريع جديدة في طور التنفيذ وفي ما يخص المشاريع الناجحة اذكر مجال الصناعات التقليدية من خلال تدخل الولايات المتحدة عبر توفير المعدات والتكوين وعبر فتح الاسواق الخارجية وذلك مكن المنتجين التونسيين او الحرفيين التونسيين من جعل الولايات المتحدة الامريكية الوجهة الأولى لتصدير منتجاتهم من الصناعات التقليدية وفي ما يخص زيت الزيتون قمنا بجهود ومساع مماثلة ولهذا تجدون زيت الزيتون التونسي المعلب باروقة المتاجر الكبرى بالولايات المتحدة حيثما ذهبت والولايات المتحدة هي المورد الثاني لزيت الزيتون المعلب التونسي حاليا وننوي ان شاء الله ان تصبح الأولى قريبا وحاليا تركز السفارة على ميدان انتاج التمور في تونس وهناك مشروع قيد التطوير باستثمار قيمته 35 مليون دولار حتى يساعد منتجي التمور على مواجهة التغيرات المناخية وسنساعد التونسيين على انتاج التمور.

هذا على مستوى التبادل التجاري الذي كان من الأولويات التي قدمتها بلادكم مع بداية تسلم مهامكم... السؤال عن الاليات الاقتصادية او المالية التي كانت متاحة سابقا على غرار الضمانة الامريكية للحصول على قروض التي منحت الى تونس في سنتي 2012 و2014 : لماذا توقفت رغم الصعوبات التي تواجهها تونس لتعبئة قروض اجنبية؟

ربما حتى في 3 مناسباتسنتثبت من ذلك، على كل حال اعتقد انه تم منح تونس في ثلاث مناسات ضمانات قروض ولكن خلال هذه الفترة من العلاقات الثنائية تغيرت بالطبع الاحتياجات والعلاقات قد تتغير وعلينا ان نتكيف مع هذه المتغيرات ويجب ان تواكب العلاقات هذه المتغيرات وكمثال على ذلك فترة الستينات من القرن الماضي، التقيت كثيرا من التونسيين الذين حدثوني عن المساعدات التي كانت تقدمها الولايات المتحدة الامريكية خلال تلك الفترة وكانت في شكل مسحوق الحليب الذييقدم الىالتلاميذبالمدارس وخلال نفس الفترة أيضا ساعدت الولايات المتحدة الامريكية تونس على انشاء مطار قرطاج وسد نبهانة ولكن تونس لا تحتاج لهذا النوع من المساعدات حاليا. ما تحتاجه تونس في هذه الفترة هو فتح الأسواق الخارجية وخاصة السوق الأمريكي الكبير امام عبقرية وابتكار التونسيين وخاصة الشباب منهم.

يعني تعتبر ان تونس لم تعد في حاجة الى ضمانة قروض من الولايات المتحدة الامريكية؟

صحيح.. تونس لا تحتاج الى ضمانات قروض من ناحية ومن ناحية أخرى ليس من سياسات الولايات المتحدة ان تقدم ضمانات قروض بشكل كبير... صحيح قد تقوم بذلك ولكن هذه ليست سياسات الولايات المتحدة ولا تنفذها بشكل كبير ليس فقط مع تونس او في هذه المنطقة بل في كل انحاء العالم. في المقابل يمكن الحديث عن الاستثمارات التي تضخها الولايات المتحدة في القطاع السياحي: لنا في تونس مشروع بقيمة 10 ملايين دولار امريكي كاستثمارات في الشركات الصغرى والمتوسطة والهدف من هذا البرنامج المساعدة على خلق تجارب فريدة يمكن للسائح الأجنبي ان يعيشها بعيدا عن السواحل التونسية. وهذه التجارب تجذب السائح الأمريكي وفي نفس الوقت السائح الأوروبي وتمكن من استكشاف ما تزخر به تونس ويصرف السياح أموالهم في هذه المناطق. وقد حقق هذا البرنامج نجاحا حسب ارقام وزارة السياحة التونسية اذ زار تونس خلال السنة الماضية ما يزيد عن 30 الف سائح امريكي وهذه السنة وحتى تاريخ 31 جويلية زار تونس 22 الف سائح امريكي وهذه ارقام قياسية سواء المسجلة في السنة الماضية او هذا العام حتى شهر جويلية بزيادة بنسبة 42 في المئة مقارنة بسنة 2022. أليس ذلك افضل من ضمانة القروض؟

ربما... لكن قد يفهم من سحب الضمانة الاستثنائية وكأنها كانت تعكس دعما سياسيا انتهى بخروج الإسلاميين من الحكم؟

تونس مستعدة لتصدير الامن على المستوى الاقليمي ومستوى القارة

لدي الدليل القاطع على انني سفير مرحب به

لم تُوجه لي دعوة احتجاج وهذا يعني عدم تدخلنا في شؤون تونس الداخلية

نتحادث مع الاتحاد الاوروبي واليابان والجزائر باستمرار عن تونس

لن يكون مناسبا على الاطلاق الحديث علنا عن تفاصيل محادثاتنا مع تونس حول موضوع تجريم التطبيع

مدرسة النفيضة اكبر مركز استثمرت فيه الولايات المتحدة الامريكية

عملية الانتقال الديمقراطي في تونس متواصلة

القول ان التغيير يُحدد في واشنطن مبالغ فيه

تدخل قوات فاغنر في ليبيا وراء زيارة المبعوث الامريكي الى تونس

نشارك الاتحاد الاوروبي المخاوف من تنامي النفوذ الصيني والروسي في تونس

تنامي النفوذ الصيني الروسي في تونس يهدد المنطقة

خلال 227 سنة من العلاقات الثنائية كانت هناك حكومات مختلفة وقيادات سياسية مختلفة في كلا البلدين وهذا يعني ان العلاقات ستختلف من سنة الى اخرى ولا يجب علينا ان نتوقع ان تتواصل العلاقات بنفس الشكل من سنة الى أخرى.

آلية أخرى تؤثر فيها بشكل هام الولايات المتحدة الامريكية هيالاقتراض من صندوق النقد الدولي.. بداية هل تعتبرون ان قرار عدم الاقتراض من صندوق النقد خيار صائب؟

هذا قرار سيادي يعود الى الشعب التونسي وللحكومة التونسية ولكن اذا قررت الحكومة التونسية ان تلجأ الى الاقتراض من صندوق النقد الدولي فستلقى الدعم الأمريكي مثلما حظيت بذلك في المرات السابقة.

كانت هناك فرصة حتى تبرهن الولايات المتحدة الامريكية عن ذلك نهاية العام الماضي عندما تدخلت إيطاليا كوسيط وتوجه وزير الخارجية الإيطالي الى واشنطن والتقى نظيره الأمريكي للمطالبة بمرونة في ملف اقتراض تونس من صندوق النقد؟

هذا غير صحيح بالمرة.

لماذا توجهت إيطاليا الى واشنطن.. هذا قد يعني ان مفتاح الموافقة على قرض من صندوق النقد موجود في أمريكا؟

يمكن الحديث مع الجانب الإيطالي لتبين ما قد يكون قد قام به وزير الخارجية الإيطالي بالنسبة للجانب الأمريكي... كانت الولايات المتحدة تدعم دائما ان تقدم تونس خطة لصندوق النقد. وفي ما يخص مشروع هذا الاقتراض... صندوق النقد لا يملي أية شروط على أية دولة ...ما يطلبه في هذه الخطة هو كيف يمكن لهذه الدولة المقترضة ان تسدد هذه القروض.. كانت هناك حوارات بين الجانبين، الجانب التونسي وصندوق النقد وفي الحقيقة قدمت تونس برنامجا ثم سحبته ولم تقدم حتى هذه اللحظة برنامجا اخر حتى ينظر فيه صندوق النقد.. السيد رئيس الجمهورية كان واضحا في ما يجب ان تتضمن هذه الخطة لكن الحكومة التونسية لم تقم بتقديم أي ملف جديد الى صندوق النقد الدولي.

لماذا اتصل الجانب الإيطالي بالجانب الأمريكي في علاقة بهذا الملف اذا كانت الصورة مثلما قدمتها.. الصندوق لا يتدخل..وأمريكا لا تضغط بل تدعم؟

في الحقيقة تتحدث الولايات المتحدة مع شركاء كثيرين... مع أوروبا ومع الجزائر كشريك ومع اليابان كشريك... نتحادث كل الوقت حول تونس لانها دولة مهمة لكل هؤلاء الشركاء ولكن اعيد وأكرر أن صندوق النقد الدولي يستجيب او يتعامل مع ملف يقدم له وحتى هذه اللحظة لم تقدم الحكومة التونسية ملفا لصندوق النقد الدولي حتى ينظر فيه لكن في ما يخص التعامل مع الشريك الإيطالي نحن نتحادث كثيرا خاصة في ما يتعلق بوزارة الدفاع التونسية وقد ساهمت الولايات المتحدة مع شركاء آخرين بما قيمته 160 مليون دولار لحفظ الحدود التونسية وإقامة نظام الكتروني على طول هذه الحدود ولكن هذه الحدود ليست مغطاة بالكامل... المشروع غطى حتى هذه اللحظة ثلثي هذه الحدود وهناك نقاشات لتمويل وتنفيذ بقية البرنامج وعلى ذكر كلمة تنفيذ وزارة الدفاع التونسية هي من قامت بتنفيذ هذا المشروع حتى يمكن او يحفظ تونس من مشاكل التهريب ونقل المخدرات او تهريب البشر.

رئيس الجمهورية طلب من وزير الخارجية دعوة سفراء أجانب للاحتجاج على تدخل بلدانهم في الشأن الداخلي التونسي، هل انت من بين هؤلاء السفراء؟

لا.

هل هذا يعني ان الولايات المتحدة لا تتدخل في الشأن الداخلي التونسي؟

نعم.

لم تتلق أية رسالة دبلوماسية كتعبير عن احتجاج أو رفض التدخل في الشأن الداخلي التونسي؟

لا...لا لم تكن هناك أية مراسلة في هذا الخصوص.. هناك فقط تعاون بين الجانبين التونسي والامريكي وكمثال على ذلك التقيت الكاتب العام لوزارة الخارجية مؤخرا وتحدثنا مثلما نتحدث عادة في مواضيع شتى تشمل التعاون وخاصة في المجالين الاقتصادي والأمني ومستقبل

هذا التعاون وبالحديث عن الجانب الاقتصادي وجهتِ لي السؤال عن امكانية توجه تونس نحو الشرق.. اود ان ادعوك للاطلاع على بعض الإحصاءات في مجال التجارة البينية التي حققت فائضا قيمته 1.6 مليار دينار تونسي بزيادة بقيمة 300 في المئة مقارنة بالعام الفارط.

هل تقاسمون مخاوف الاتحاد الأوروبي مما يسميه تنامي النفوذ الصيني والروسي والإيراني في تونس؟

نشاطر الاتحاد الأوروبي هذه المخاوف في ما يخص تنامي التاثير الصيني والروسي على التراب التونسي وهذا التاثير يزعزع الاستقرار في المنطقة وفي القارة لذلك ما نسعى اليه هو ان تكون تونس في وضع قوي وسيادي يسمح لها باختيار ما يطرأ على التراب التونسي وما يجب الا يطرأ ورئيس الجمهورية تحدث عن هذا بشكل واضح ومن بين الأشياء التي لا يريدها لتونس هو ان تكون منصة او منطلق لعمليات عسكرية لبلدان مجاورة.

هل كان هذا مطروحا؟ هل كان هناك طلب لتكون تونس منصة لعمليات عسكرية في بلدان مجاورة؟

(تحفّظ عن الإجابة) منذ سنوات قليلة دخلت داعش التراب التونسي وحاولت السيطرة على مدينة بن قردان ولم يكن هذا ببعيد ولكن بفضل تدخل القوات التونسية الباسلة وبفضل التكوين الذي امددناها به وبفضل الاستخبارات التي قدمناها الى الجانب التونسي وبفضل التجهيز الذي مكناها منه تمكنت هذه القوات الباسلة من دحر هذا التهديد ولو لم يتم ذلك لتزعزع استقرار تونس ولشهدت البلاد تدخل قوات أخرى تحاول ان تستثمر او تستغل هذا الوضع خلافا لما يرجو الشعب التونسي.

هل تشير إلى قوات فاغنر في ليبيا ؟

نعم بالتأكيد لنا مخاوف ويساورنا قلق من تدخل قوات فاغنر ومن ورائها الكرملين في القطر الليبي وهذا التدخل يهدف الى منع توحد الليبيين ومنعهم من تشكيل حكومة تعكس احتياجاتهم وخياراتهم وتمنع العملية السياسية التي تتوسط فيها الأمم المتحدة من التقدم في ليبيا وهذا نتشارك فيه مع الحكومة التونسية ولهذا السبب كان المبعوث الأمريكي موجودا على التراب التونسي وتحدث مع وزير الخارجية التونسية حول هذا الموضوع.

كيف تعاملت السفارة مع ورود أخبار عن لقاء واحد من موظفيها مع ناشطين سياسيين تونسيين في قضية من قضايا التامر الممنوع التداول الإعلامي فيها؟

هذا ليس صحيحا ومن جانبنا نؤكد ان هذا غير صحيح.

ما هو غير صحيح تحديدا؟

هناك بيان من وزارة العدل صدر خلال شهر افريل يقول ان السفارات الأجنبية تقوم بعملها وفي الحقيقة كل الدولة التونسية تساعد السفارة الامريكية على القيام بمشاريعها ولم يتغير أي شيء في ذلك وكما تعلمين لاي شخص او جهة ان تقول ما تشاء لكن من المهم اللجوء الى البيانات الرسمية التي تفصل بين الحقيقي وغير الحقيقي.

هل تدخلت وزارة الخارجية الامريكية بالنصح مثلما تقولون لمنع تمرير مشروع تجريم التطبيع مع إسرائيل؟

يتم التطرق خلف الأبواب المغلقة الى كل المواضيع ويتحدث الدبلوماسيون من الجانبين في كل المواضيع ولكن في الفضاء العام لا نتحدث عن التفاصيل حول ما تم الحديث عنه لان هذا غير مناسب للعلاقات التاريخية او لهذه الشراكة التاريخية.

يعني هذا اكثر من النصح في علاقة بما حصل وراء الأبواب المغلقة مثلما تقول.. طيب هل تؤكد او تنفي توجيه الخارجية الامريكية مذكرة الى تونس تضمنت جردا عما يمكن ان يترتب عنه في صورة تمرير مشروع تجريم التطبيع؟

في الحقيقة يتشارك الطرفان الأفكار والنصح ويخوضان في مختلف المواضيع بشكل يومي ولكن لن يكون مناسبا على الاطلاق التحدث في تفاصيل هذا الموضوع ولا تنسي ان دوري الرئيسي كسفير هو ان أكون المخاطب الأول بين الحكومة الامريكية والحكومة التونسية لأبلغ الجانب الأمريكي بما يفكر فيه الجانب التونسي وما يعتقده خاصة بالنسبة لمسائل حساسة كالنزاع بين الفلسطينيين وإسرائيل وأيضا ان ابلغ الطرف التونسي بما يقول الجانب الأمريكي في واشنطن.. لو خرجت كل هذه الحوارات الى وسائل الاعلام وللعموم لما احتجنا الى ان نكون دبلوماسيين او ان تكون هناك سفارة.

كيف تتابع مسار تنظيم الانتخابات الرئاسية التونسية؟

اهم من ذلك بكثير هو كيف ينظر الناخبون التونسيون الى المسار الانتخابي وسنرى ذلك من مشاركتهم في هذه الانتخابات من عدمها.

هل هناك تاثير للموقف الامريكي الداعم بقوة لإسرائيل على علاقتكم بمنظمات المجتمع المدني.. يعني هل هناك من رفض تمويلات ردا على هذا الدعم او هل قطعت السفارة تمويلات بسبب مناصرة جمعيات ومنظمات القضية الفلسطينية؟

من البديهي أن يكون للناس في مختلف أنحاء العالم آراء يتبنونها بقوة حول قضايا من هذا الصنف، بما في ذلك في تونس، حيث ناضل مواطنوها نضالاً شديداً لكسب حرية التعبير والحفاظ عليها، ونحن ننقل إلى واشنطن وننشر ما نسمعه من المجتمع المدني النشط في تونس.

كيف اثرت الحرب في غزة على موقف التونسيين من أمريكا.. الذي قد يتعدى الغضب الى الكره والمعاداة؟

لا اعتقد ان التونسيين يشعرون بكره.. ربما هو غضب او حنق على هذه المسألة ويساورهم قلق كبير حول هذا الموضوع وفي الحقيقة هناك امريكيون عديدون يشاطرونهم هذا الغضب وهذا القلق.. الهدف هو تحقيق وقف لاطلاق النار واطلاق سراح الرهائن وهذا ما تسعى اليه الولايات المتحدة الامريكية ولكن دوري كسفير هو ان انقل هذه الآراء او هذه المشاعر من الجانب التونسي سواء كان شعبا او حكومة الى الولايات المتحدة الامريكية. وخلال شهر ماي الفارط التقيت وزير الخارجية التونسي ونشرت وزارة الخارجية في ذلك الحين تدوينة على فايسبوك تقول ان هناك اختلافا كبيرا في وجهات النظر حول هذه القضية بين الجانبين ولكن هناك توافق على ان تظل هذه العلاقة علاقة متينة خاصة في ميدان التنمية الاقتصادية والامن وهذا ما يميز العلاقات الناضجة سواء بين البشر او بين الجهات الحكومية...يمكن لكلا الطرفين ان يختلفا اختلافا جذريا حول بعض المسائل لكنهما يتفقان في نفس الوقت على السعي الى تحقيق المصلحة المشتركة.

هل مازال من الممكن الحديث عن واقع الحريات وعن حقوق الانسان في تونس مثلما كان الحال سابقا بعد الدعم الامريكي لجرائم إسرائيل في حربها على غزة؟

أولا علينا ان ندافع عن حقوق الانسان داخل الولايات المتحدة نفسها وعلى التونسيين والحكومة التونسية ان يدافعوا عن حقوق الانسان في هذا البلد... ليس من واجبي ان ادافع او ان افرض احترام حقوق الانسان في هذا البلد ولكن عندما نشاهد قوات الامن التونسية او القوات المسلحة التونسية نلاحظ انها بشكل عام تحترم حقوق الانسان وبشكل عام تحترم حقوق الأجانب في هذا البلد وليس هناك تدخل في شؤون بلدان أخرى لذلك نعتمد هذه الاطراف أي قوات الامن التونسية والقوات المسلحة كشركاء ولذلك نستثمر كل هذه الأموال بما في ذلك المساعدات المخصصة لكلية التكوين بالنفيضة ومدرسة تكوين البحرية.

ماذا عن واقع الحريات من ايقافات وتتبعات.. هل هي فعلا محل متابعة أمريكية؟

يمكن ان أقول ان عملية الانتقال الديمقراطي في هذا البلد مازالت تتواصل وامتدت على 13 سنة ولكن هذه ليست بمدة طويلة مقارنة بتاريخ هذا البلد. رؤيتنا للديمقراطية ليست هي اهم شيء في هذا البلد... الأهم من ذلك هو رؤية التونسيين للديمقراطية وكيف ينظرون اليها ومن خلالها يمكن لهم ان يقيموا كصحفيين او كشعب ما يجري في تونس.. في أمريكا بعد مرور13 سنة على اعلان استقلال الولايات المتحدة لجأ الامريكيون الى تغيير الدستور تغييرا كاملا وتغيير شكل الحكومة لذلك 13 سنة ليست بمدة طويلة في مسار الديمقراطية وأيضا لو نظرنا الى التقييمات او كيفية تقييم وضع الحريات في تونس المعتمدة لدى المنظمات الدولية لوجدنا ان تونس تتقدم على كل بلدان المنطقة في هذا المجال وبشكل عام علاقات الولايات المتحدة تكون قريبة اكثر مع ديمقرطيات أخرى ولكن تحديد هيئة وشكل النظام الديمقراطي في بلد معين يعود الى الشعب المعني.

في تونس وربما في دول أخرى تتّهمون بالتدخل لتغيير موازين القوى وبأن التغيير قد يحدد في واشنطن، هل هذا مبالغ فيه ؟

صحيح يمكن قول ذلك (مبالغ فيه) وفي الحقيقة السلطة الكاملة في يد الشعب التونسي مثلما شاهدنا في سنة 2011 ولكن نحن كاصدقاء وشركاء هدفنا هو ان نؤمن البلد وأن يكون مستقرا وأن تكون هناك تنمية اقتصادية.. كيف نحقق هذه الأهداف؟ ذلك قد يتغير من سنة الى أخرى حسب الظروف المحلية في تونس وحسب الظروف في أمريكا وحسب ما يجري في العالم...يمكن القول اننا قمنا باشياء إيجابية وحققنا نجاحات كثيرة وان امامنا مستقبلا مشرقا.

رئيس الجمهورية قيس سعيد كان واضحا في رفض ان تكون تونس منصة لعمليات عسكرية لبلدان مجاورة

امريكا ستدعم تونس ان توجهت لصندوق النقد

بفضل الاستخبارات الامريكية والمعدات تمكن الجيش التونسي من دحر داعش ببن قردان

هناك نقاشات لتنفيذ بقية برنامج حفظ الحدود التونسية واقامة نظام الكتروني على طولها

لا يجب ان نتوقع تواصل العلاقات الثنائية بنفس الشكل من سنة الى آخرى

صداقتنا وشراكتنا تعود الى اكثر من قرنين وهذه الشراكة تعود بالنفع على الطرفين

صندوق النقد لا يملي أية شروط على أية دولة

نتحادث مع ايطاليا كثيرا في ما يتعلق بوزارة الدفاع التونسية

مدرسة النفيضة اكبر مركز تكوين تساهم فيه امريكا

التبادل التجاري مع تونس زاد بنسبة 300 في المئة

ارقام قياسية في اعداد السياح الامريكيين عامي 2023 و2024

هل هي فعلا حكومة «لا رجوع إلى الوراء»؟

صالح مصباح

لكأنّ إسناد المناصب الرسمية، على أيام" العلو الشاهق"، لا تتعدى مدتُه نهاية أسبوع أو عطلة صيفية. فقد يُعزَل المعينُ بعد يومين، وقد يعزل بعد أسابيع، وقد يعزل بعد أشهر قليلة. فإذا كان اختيارهم مصيبا، فَعلامَ الإسراع إلى إعفائهم ؟ ولماذا لا يُداوَرُونَ على مختلف المهام؟!. وإذا كان اختيارُهم خاطئا فَعَلاَمَ تتكرر الأخطاء؟ ألا تتبدل المقاييس؟!.

وإنّ هذا الأسراع في التعيين وفي التدارك عليه بالإعفاء يشمل أعلى المناصب في الدولة فضلا على خلافها. ومن المناصب العليا رئيس الحكومة والوزارات السيادية. ولعل رؤساء الحكومة والوزراء منذ 25 جويلية 2021 إلى الآن يقارب عددُهم عددَ نُظراتهم منذ الاستقلال إلى سنة 2011 أو طيلة عشرية الإخوان . وفي هذا التعاقب بين التعيين والإعفاء يندرج التحوير الأخير ؛ الأخير إلى حدّ هذه الساعة.

1/هل سياق التحوير ملائم؟:

هو تحوير وزاري موسع شبيه بحكومة جديدة، سبقه تعيين لرئيس حكومة ووزير داخلية جديدين. ولما كان تحويرا بهذا الاتساع ، فإنه ذو وجهين؛ وجه قانوني ووجه سياسي. أما من حيث الوجه القانوني، فليس يمتَنِع أن يُجريَ رئيس السلطة تحويرا حكوميا جزئيا أو موسعا أو شاملا. فهو إجراء في نطاق عهدته ووفق مسوِغات دستوره.

وأما من حيث الوجه السياسي فيبدو هذا التحوير غريبَ السياق وحمّالَ رسائل. هو غريب السياق لأنه بإرادة رئيس سلطة قي الأسابيع الأخيرة من عهدته وفي فترة انتخابية هو فيها مترشح. وتنص الأعراف السياسية الرائجة في الكرة الأرضية الديمقراطية أو الاستبدادية على أن يواصل الفريق الحكومي مهامَّه إلى نهاية العهدة، وأن يتولى الدفاع عن العهدة المنقضية دفاعا انتخابيا، وأن يحشد أسباب التأييد لرئيسه المترشح أو للجهة السياسية المتجدّر منها. ذلك أن هذا التحوير، بهذا القدر من الاتساع ، إنما هو من خصائص الافتتاح لعهدة جديدة بعد فوز انتخابي. ويكون الافتتاح بإشهار البناء على ما تقدم من مزايا وبالتدارك على فات من عيوب. ويكون اختيار الفريق الحكومي الجديد ، إبقاء أو إعفاء أو تدويرا، على مقتضى تلكم المزايا والعيوب.

ومن هذا التحوير الغريبُ زمانُه يبعث رئيس السلطة رسالتين ألى من يهمّهم الأمر. بيان الرسالة الأولى أن الانتخابات القادمة هي عنده مجرد مفصل زمني مضمونُ النتيجة معلومُها سلفا. وهذا التحوير في نهاية العهدة المنقضية إنما هو مُنزّل في فاتحة العهدة القادمة، أو إن هذه متصلة بتلك اتصالا لن تمر عليه حصيلة الانتخابات بأثَرٍ، ولو مرورَ الكرام.

موكب أداء الوزراء الجدد اليمين الدستورية

والرسالة الثانية التي يوجهها رئيس السلطة إلى من يهمه الأمر وإلى من لا يهمه مفادها أني أنا صاحب القول الفصل في كل تعيين وكل إعفاء، أجريهما في كل آن ولو" أثناء فتح صناديق الاقتراع"، وإني لا أعير اهتماما للفترة الانتخابية وللأعراف السياسية. ومن ينتظر خلاف ذلك عليه أن يُبطله في خاطره. إذ متى يُساءَل الملوك المتوّجون أو الأيمة المعصومون؟!

2/هل التحوير عَكسَ الرجوع إلى الإخوان؟:

من الفريق المنقضي أبقى رئيس السلطة على أعمدة جهازه. أبقى على رئيس الحكومة ووزير الداخلية المعينَين منذ أسابيع. وأبقى على وزيرة العدل، وإن راج بين أنصار العلو الشاهق إعفاؤها. ويبدو أن المهام القادمة الموكولة إليها قد اقتضت أن تحتفظ بمنصبها ولو إلى حين. وأبقى الرئيس على وزيرة المالية إبقاء لعله من باب " على خاطر الزيت تؤكل الفيتورة". كما أبقى على بعض الماسكين لوزارات تقنية كالتجهيز والطاقة والمناجم الخ...

لكن الذي يسترعي النظر والتّدبّر إنما هو بعض التعيينات الجديدة ، وهي لا تعبر ، في الظاهر على الأقل، إلا عن " عودة إلى الوراء"؛ عودة ما فتئ يردد رئيسُ السلطة رفضَه لها رفضا حاسما، وإن" منّ بها النفسَ" بعضُهم. فوزير الصحة الجديد وهو مصطفى الفرجاني كان قد اختاره في هذا المنصب رئيس حكومة الإخوان المعين الحبيب الجمني. وكانت حكومته الإخوانية قد اختارت خالد السهيلي وزيرَ خارجية، وهو المعين اليوم وزيرَ دفاع. وفي حكومة المشيشي الإخوانية كان محمد علي النفطي كاتب دولة في الخارجية، وهو المعين اليوم وزير خارجية. وعلى رأس وزارة الشؤون الدينية عين رئيس السلطة أحمد البوهالي. فمن هو؟

هو مدرس في جامعة الزيتونة الكائنة" برحبة الغنم" ، والتي هي معقل إخواني لا يخفى على أحد. ووفق الوثائق الأكيدة التي كشفها صديقُنا النّقّابةُ أنس الشابي، كان البوهالي يُمضي في العرائض الإخوانية بمعية الإخواني ونصير "التسفير" إلى سوريا نور الدين الخادمي،و فاطمة شقوت راعية وكر القرضاوي الاخواني، وعلي العشي عضو مجلس شورى الإخوان، والمختار الحبالي خطيب تنظيم أنصار الشريعة الإرهابي.

فهل عاد المعدن إلى أصله بعد جفوة التنازع في مقود القرار، وبعد أن أذنت بريطانيا في 2021 بأن تجدد تنظيمات الإسلام السياسي نفسها من الداخل تجديدا تكون به الإطاحةُ بالرؤس التي أفلست والإبقاء على الجسم حيا؟ لا نعلم على وجه الدقة، لكننا نسأل. وهل بهذه العودة إلى الوراء يمهد رئيس السلطة لتقوية جانبه بجسم منهك غير ذي مخالب، معدنه من معدنه، لا سيما أن الرئيس لن يكون ،بعد انتخابات تشوبها اليوم شتى الشوائب الصادرة عن " هيئتها"، لن يكون ذا شرعية ومشروعية مريحتين؟ لا نعلم على وجه الدقة، لكننا نسأل.

بين مصر وتونس أو بين السيسي وسعيّد

أنس الشابي

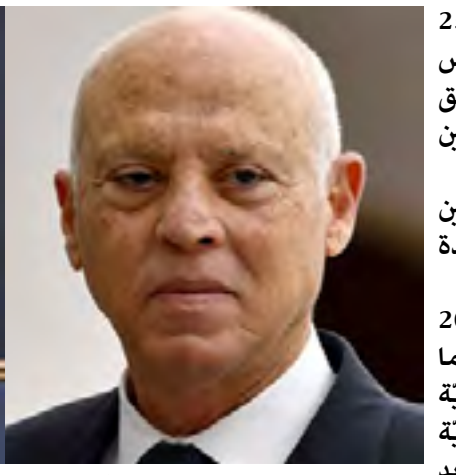

لم تتوقّف حركة النهضة منذ أن أُغلق البرلمان في 25 جويلية 2021 عن تشبيه الرئيس قيس سعيد بالرئيس المصري عبد الفتاح السيسي باعتبارهما انقلابِيَّيْن وفق ما يقولون، فهل فعلا تصحّ المقارنة بين الرئيسين والبلدين؟.

في تقديري أنّ ظروف البلدين ومسيرة الرئيسين مختلفة وأنه لا وجه للجمع بينهما في جملة واحدة وأسباب ذلك عديدة جدّا تبدو من خلال:

1) عرف البلدان أحداثا جساما بين سنتي 2010 و2012 أدّت إلى سقوط النظامين السابقين وحلّ محلّهما نظام يستند إلى حركتي الإخوان المسلمين المصريّة والتونسيّة، واللافت للنظر أنّ النخب الماليّة المصريّة كانت ذات أفق سياسي دفعها إلى مقاومة الوافد الجديد وذلك بالمساعدة على نشر الخطاب المناهض لحركة الإخوان المسلمين وفضح ممارساتهم السابقة واللاحقة من خلال مؤسّسات إعلامية وبرامج أنشئت للغرض. وإن ننسى فلن ننسى برامج إبراهيم عيسى وباسم يوسف اللذين استطاعا أن يجعلا من الحركة أضحوكة ومن رئيسها مسخرة وهو ما ساعد على إنهاء حكمها الذي لم يتجاوز السنة الواحدة. أمّا في تونس فيروي عزيز كريشان المستشار في رئاسة الجمهورية سنة 2012 أنّه تمت احالة ملفّات الفساد التي أعدّتها لجنة عبد الفتاح عمر إلى وزارة الماليّة لدراستها والبتّ فيها وأن جميعها تحوّل بفعل فاعل إلى حركة النهضة التي استغلّتها لتملأ خزائنها بالأموال المغصوبة وهو ما حدث فعلا بحيث كان عدد رجال الأعمال في البداية 140 نفرا ليقفز إلى 200 ومنه إلى 400 ليصل في ما بعد إلى 1000(1). وهو ما مكّن الحركة من دفع أصحاب رؤوس الأموال ممّن لم يدرجوا في القائمة العمريّة الموسّعة إلى التوجه زرافات ووحدانا إلى مبنى مونبليزير طلبا للحماية. وقد كان لانتفاخ خزينة الحركة أثره البيّن في الانحراف بالإعلام وفي صمت الكثير من الشخصيّات.

2) لم يتمكّن المرشد في مصر من البقاء في الحكم سوى سنة واحدة لأنّه استطاع بقدرة لا يُحسد عليها تجميع الخصوم ضدّه. فقد كان متسرّعا في محاولته السيطرة على المجتمع المصري. أمّا في تونس فإنّ الباجي قائد السبسي بتوافقه معهم بعد أن غدر بناخبيه أعطاهم فسحة خمس سنوات كاملة. ففي حمايته التقطوا أنفاسهم وتمكنوا من الانغراس والتمدّد في ثنايا الدولة ومؤسّساتها بتواطئ كامل معه ومع جماعته في حزبه وهو ما عبّر عنه صراحة الإخواني البحري العرفاوي في قوله: "كانت فرصة سانحة لحركة النهضة كي تستفيد من سنوات حكم الباجي قائد السبسي لتعيد ترميم نفسها وتكوين شبابها وتعميق حضورها بين الناس وتكثيف نشاطها الثقافي والاجتماعي. فقد كان الباجي رحمه الله غطاء سياسيّا للحركة حين خفّف عنها ضغط خصومها الاستئصاليّين، وحين شهد لها في منابر عالمية بأنها حركة معتدلة، وحين توّج موقفه ذاك بحضوره مؤتمرها العاشر يوم 20 ماي 2016 وبإلقاء كلمة فيه كانت تأكيدا لموقفه الإيجابي من الأستاذ راشد وحركته. كانت خمسة (كذا والبحري يدّعي أنّه شاعر) سنوات مريحة جدّا للحركة تخفّفت فيها من أعباء الحكم وتحرّرت من ضغوط المعارضة"(2). والمستفاد ممّا ذكر أنّ الإخوان في مصر لم يجدوا حليفا يتستّر على شناعاتهم فأطردوا في ظرف سنة واحدة. أمّا في تونس فلأسباب عدّة وجدوا في الباجي الشخص المناسب الذي استطاع أن يتسلّم عهدة الرئاسة على أساس إخراج النهضة من الحكم فإذا به يسلّمها للغنوشي إلى أن انتهى به الأمر متروكا في ركن قصيّ من قصر قرطاج بلا حول ولا قوّة يذوق ما أذاق ناخبيه من مرارة يوم غدر بهم.

3) في مصر خرج المواطنون إلى الشوارع في مظاهرات لم يشهد لها العالم مثيلا يوم 30 جوان 2013 للمطالبة بإنهاء حكم المرشد. لذا تدخّل الجيش استجابة لهذا المطلب المشروع حماية للشعب من عنف الإخوان ومنعا لقيام حرب أهلية ظهرت بوادرها في الأفق. كلّ ذلك بعد أن جمعت حركة تمرّد ما يفوق 22 مليون إمضاء تطالب بعزل مرسي. أمّا في تونس فإنّ الوضع مختلف إذ استطاع الحزب الدستوري الحرّ وزعيمته عبير موسي أن تفضح مؤامرات حركة النهضة على استقلال البلاد ورهنها لقوى أجنبيّة من خلال هاتفها الجوّال الذي كانت تنقل بواسطته جلسات مجلس باردو وما يحدث فيه من الاعتداءات التي تعرّضت لها على أيدي بعض نواب الحركة وحتى بعض الموظفين في المجلس الى جانب منع الحماية الأمنية عنها، الأمر الذي أثار غضب الشارع السياسي خصوصا بعد أن خرج عبد الكريم الهاروني مهدّدا بالويل والثبور إن لم تدفع الدولة التعويضات وهو الأمر الذي استغلّه رئيس الجمهورية لإسقاط الحكومة بعد أن غدر به رئيسها وحلّ البرلمان للتخلّص منها ومن الكتل النيابيّة مرة واحدة.

4) ما وقع في مصر بعد خطاب السيسي أنهى وجود الحركة فأغلب قياداتها في الخارج أو في السجون وافتكت منها الشركات والمؤسّسات والجمعيّات التي كانت تعود اليها بالنظر إذ وقعت مصادرتها جميعها. كما صدر يوم 23 سبتمبر 2013 قرار بحظر حركة الإخوان المسلمين وتصنيفها حركة إرهابيّة. أمّا في تونس فإن حكم 25 جويلية اكتفى بإغلاق البرلمان وإسقاط الحكومة وترك حركة النهضة تجول وتتحرك وتنظم الوقفات الاحتجاجيّة ولم يتجاوز تصرّفه معها حدود غلق مقرّاتها، وشتان بين تصنيفها تنظيما إرهابيّا وبين إغلاق مقرّ.

5) لأسباب تاريخيّة متعدّدة لم يستطع النظام في مصر إنهاء دور الأزهر وتعليمه الذي ينشئ في المجتمع جيلا يلبس الكاكولة ويشرب بول البعير ويرفض العصر في مواجهة جيل آخر يتعلّم في المدارس الحكوميّة وينخرط في العصر وقيمه، لينشأ في الوطن جيلان مختلفان أحدهما يلتفت إلى المستقبل والآخر يلوي عنقه إلى الماضي السحيق. أمّا في تونس فإنّ المدرسة العصريّة التي أسّستها دولة الاستقلال تتعرّض منذ سنة 2011 إلى محاولات لتدميرها وتعويضها بالمدارس القرآنية التي انتشرت انتشار النار في الهشيم من خلال تعليم مواز تشرف عليه حتى مؤسّسات الدولة كمركز حوار الحضارات في سوسة والدراسات الإسلاميّة في القيروان ووزارة الشؤون الدينيّة التي قفز فيها عدد الوعاظ من 150 قبل سنة 2010 إلى ما يفوق 650 واعظا اليوم. كلّ ذلك فضلا عن الجمعيّات والمنظمات والأحزاب التي تجد الرعاية والحماية من سلطة 25 جويلية مثل بؤرة القرضاوي ورابطة تونس للتعدّد والثقافة المملوكة لاحميدة النيفر وحزب التحرير وما يُسمى جامعة الزيتونة التي اختصّت في إسناد الشهائد لكبار الإرهابين بقصد السيطرة على التعليم الديني والوقوف ضدّ كلّ تطوير للتعليم أو منع للخرافة من الانتشار وهو ما نراه في البيانات والمظاهرات التي يقوم بها مدرّسوها نصرة منهم لحركة النهضة، وتأمّلوا مليا موقف هذه الجامعة من التسوية في الميراث ومن عزل الجوادي من إمامة جامع سيدي اللخمي ومن غيرهما.

6) الحديث عن انقلاب في مصر ينمّ عن جهل بطبيعة النظام الذي يحكم مصر من أيام محمد علي. ذلك أنّ العمود الفقري للدولة المصريّة هو الجيش الذي تجده حاضرا في كلّ مناحي الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة وعبثا تفتّش عن أسرة مصريّة ليس بها شهيد أو مجنّد. ومن الجدير بالملاحظة أنّ الجيش المصري لم يتدخل في العمليّة السياسيّة المشوّهة التي وقعت سنة 2011 إلا بعد أن أصبح أمن الوطن مهدّدا بحرب أهليّة. لذا لم يكن عزل المرشد عمليّة انقلابيّة بل تصحيحا تأخّر سنتين لأنّ الانقلاب يفترض وجود أقليّة تفتكّ الحكم غصبا ولكن الامر في حالتنا المصريّة مختلف تماما. أمّا في تونس فإنّ الوضع مغاير تماما فالجيش نأى بنفسه عن التدخل المباشر في السياسة إلى يوم الناس هذا. فلا يمكن وصف ما حدث يوم 25 جويلية بأنّه عملية انقلابيّة بل هو تصحيح مجهض لم يكتمل إلى يوم الناس هذا لأنّه حافظ على منظومة العشريّة السوداء وإن أطاح ببعض رؤوسها.

7) رغم صعوبة تناول المسألة الدينيّة في مصر لأسباب يطول شرحها فإنّ النظام هناك يحاول عن طريق ما يسمّى تجديد الخطاب الديني ودعوة الأزهر إلى الانخراط فيه إلى سدّ منافذ التطرّف والإرهاب، أمّا لدينا فإنّنا نشاهد تراجعا عن مكتسبات دولة الاستقلال إذ نصّ الفصل الخامس في دستور 25 جويلية في غفلة من التاريخ على أنّ الدولة تعمل على حماية مقاصد الإسلام وهذه في تقديري خطوة في اتجاه تطبيق الشريعة قطرة قطرة وهو ما لم تستطع حركة النهضة إدراجه في دستورها فاكتفت بما ورد في الفصل الأوّل من دستور دولة الاستقلال.

8) تعرض القضاء في تونس وفي مصر إلى مجزرتين أثناء حكم الإخوان إلا أنّ القضاء المصري استطاع المقاومة ولم يتمكّن الإخوان المسلمون من السيطرة عليه فبقيت المحكمة الدستوريّة العليا مستقلّة رغم محاصرتها من طرف ميليشيا الإخوان. كما أنّ إقالة النائب العام لم تمرّ دون مقاومة حيث حكمت محكمة النقض ببطلان قرار عزله. أمّا في تونس فإنّه لم يتم تكوين المحكمة الدستوريّة لأنّ حركة النهضة لم تحصل على الأغلبية فيها فبقي الحال على ما هو عليه إلى اليوم. وبالنسبة لـ"المجزرة" التي ارتكبها البحيري في حقّ الكثير من القضاة الذين حكمت المحكمة الإدارية ببراءتهم فإنّ القضاء لم يتعاف من آثارها الى حدّ الآن.

9) هيئة الانتخابات المسماة "إيزي" لدينا تكوّنت إثر توافق بين الأحزاب البرلمانيّة وفي نهاية الأمر قدّمت قضايا عدليّة مرّة في أحد أعضائها وأخرى في واحدة من المترشحين للانتخابات الرئاسيّة في سابقة لا نعلم لها شبيها تجعلها متفرّدة من بين الهيئات المستقلة التي ظهرت بعد أحداث ما يسمى "الربيع العربي" وهي بذلك تختلف اختلافا جذريا عن الهيئة المصرية التي يرأسها نائب رئيس محكمة النقض بعضوية أعلى الرتب القضائيّة في البلاد.

والذي نخلص إليه أنّ التسوية بين السيسي وقيس سعيد خاطئة من أساسها ولا تصحّ إلا في جانب واحد أتمّه إلى نهاياته الرئيس المصري وهو مقاومة حركة الإخوان المسلمين وتدميرها أمّا قيس سعيد فلم يتجاوز حدود اعتقال بعض القيادات دون أن يحاسب الحركة على الجرائم التي ارتكبتها بنشر قائمة الذين تحصّلوا على التعويضات من منظوري الحركة ومن غيرها.

هوامش

1) كتاب عزيز كريشان "La promesse du printemps" المنشور سنة 2018، بالفرنسيّة ص134 و135.

2) "تونس محنة الإسلام السياسي أو هل كانت عشرية حمراء" البحري العرفاوي، دار المنارة للنشر والتوزيع والطباعة، جندوبة 2024، ص132 و133.

«إلّي فكّها بالانقلاب ما يسلمهاش بالانتخاب»

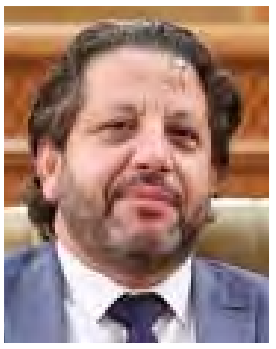

بقلم : خالد الكريشي

لنتفق اولا ان شعار "الي فكها بالانقلاب ما يسلمهاش بالانتخاب " شعار براق , مغري وجذاب لكل من يريد تغيير النظام السياسي داخل الدولة بالاعتماد على اسلوب آخر غير اسلوب الصندوق الديمقراطي ثم لنتفق ثانيا أن هذا الشعار في علاقة مباشرة بمحطة الانتخابات الرئاسية القادمة في اكتوبر 2024 مع دعوة صريحة الى مقاطعتها دون تقديم بديل جدي وواضح ولنتفق ثالثا على حسن نية ونضالية وصدقية رافعي هذا

الشعار ورغبتهم في التداول السلمي على السلطة عبر الصندوق الانتخابي الديمقراطي لكن غالبا ما تجري الرياح بما لا يشتهي ربان السفينة.

اعتمد هذا الشعار على مبدأ هام وراسخ في العلوم القانونية الادارية والسياسية وهو مبدأ "توزاي الصيغ والشكليات" أو "مبدأ تقابل الأشكال" كمبدأ غير مكتوب أقره فقه قضاء مجلس الدولة الفرنسي منذ اوائل القرن العشرين ويعني ان القرار الصادر بالغاء قرار اداري سابق يجب ان يراعى فيه ذات الشكل والاجراءات التي اتبعت في القرار الاول والا اعتبر باطلا لا عمل عليه وما بني على باطل فهو باطل وفي ذلك تأكيد على مبدأ المشروعية من ضرورة توافق وموافقة القرار اللاحق للقرار السابق من حيث جهة الاختصاص وصحة الاجراءات وهو ما أكد عليه الفقيه الفرنسي لافاريير بقوله :" يجب النظر الى شكليات القرار ليس على اساس كونها مجرد أجراءات شكلية وانما على اساس ان لها اهمية خاصة في القانون العام.."

وخلاصته مبدأ توازي الصيغ والإجراءات أو مبدأ الأشكال يعني أن إلغاء أو تعديل القرار الإداري يكون بقرار إداري آخر صادر من ذات السلطة التي أصدرت القرار الأول وبإتباع ذات الأشكال والإجراءات التي اتبعت عند إصداره".

فهل حافظ الشعار المذكور على مقومات هذا المبدأ وشروطه؟

رغم الشحنة الاخلاقية العالية التي اكتنز بها الشعار الموجه الى عموم الشعب حاثا له على المقاطعة ثم رأسا الى المترشح قيس سعيد الرئيس المنتهية ولايته الذي " لن يسلم في السلطة بالصندوق الانتخابي الديمقراطي مادام قد تحصل عليها بالانقلاب" حسبما ذهب إليه الشعار صراحة , فانه لم يكن مطابقا لا للواقع ولا للقانون مما جعله مختل شكليا وإصليا ولا تتوافق بدايته مع نهايته ولا تنسجم نتيجته مع تسبيبه , ضرورة ان قيس سعيد لم يصبح رئيسا للدولة ويدخل قصر قرطاج سنة 2019 على ظهر دبابة منقلبا على النظام القائم انذاك بل انتخب رئيسا عبر الصندوق الانتخابي الديمقراطي التعددي بحوالي ثلاثة ملايين صوت تونسية وتونسي وباجماع أغلب القوى السياسية والاجتماعية والحقوقية ليمارس صلاحياته كرئيس دولة خلال المدة الرئاسية الخماسية التي تنتهي في اكتوبر المقبل بما فيها تفعيله الخاطىء للفصل 80 من الدستور ثم ليعيد طرح نفسه كمنافس على قصر قرطاج الى جانب مترشحين اخرين عبر نفس الصندوق الانتخابي مع تعديل بعض شروطه وفق دستور 2022 الذي أصبح أمر واقع, والقول في الشعار بأنه افتك السلطة بانقلاب لا يخلو من اجحاف ومغالطات منهجية وسياسية , فهو ولئن دخل قصر قرطاج سنة 2019 بالصندوق الانتخابي فانه سيخرج منه في اكتوبر 2024 بالصندوق الانتخابي ايضا تطبيقا لمبدأ توزاي الصيغ والشكليات.

والمعلوم ان الشعار يقصد بالانقلاب ما وقع يوم 25 جويلة 2021 ويقصد بالانتخاب هو يوم الاقتراع في 6 اكتوبر المقبل وعلاوة على هذا الخلط المنهجي المؤدي الى خلل شكلي واصلي جعل من الشعار صعب التطبيق واقعا فانه لا فائدة سياسية عملية منه بعد أن تجاوزت اغلبية الطبقة السياسية معظلة 25 جويلة وصدمتها منها فما وقع في ذلك اليوم القائض ليس سوى تفصيل وجزء تابع الكل الممتد من اكتوبر 2019 الى اكتوبر 2024 , وتم الخروج بأمان من اشكالية تحديد الطبيعة القانونية لحدث 25 جويلة!, هل هو إنقلاب عسكري؟ , هل هو حركة تصحيحية؟ , هل هو إنقلاب دستوري؟ لتترك ذلك للمؤرخين والباحثين في العلوم القانونية والسياسية على مدارج كليات الحقوق والاداب ومحورا من محاور الاطروحات والرسائل الاكاديمية للطلبة, ثم لينخرط أغلب من كان يعتبر 25 جويلة "إنقلابا" في المعركة الانتخابية الرئاسية متنافسين على الدخول لقصر قرطاج على نفس القواعد التي وضعها المترشح الرئيس المنتهية ولايته وفي حدودها الدنيا إيمانا منها بأن لم يعد هناك أي وسيلة أخرى لاحداث التغيير السلمي على أعلى هرم في السلطة غير الصندوق الانتخابي وان قيس سعيد ولئن دخل قصر قرطاج سنة 2019 بالانتخاب فانه لن يخرج منه ألا بالانتخاب في اكتوبر المقبل.

لذلك انخرط كل المترشحين للانتخابات الرئاسية وانصارهم سواء كانوا من المساندين ل 25 جويلية أو من معارضيه في هبة مواطنية كبرى من اجل الفوز فيها واسقاط قيس سعيد بالصندوق الانتخابي بنفس الطريقة والأسلوب الذي تم به انتخابه رئيسا سنة 2019 وتم كل ذلك كله ضمن منظومة 25 جويلة وقوانينها ولم يتوقف معارضي 25 جويلية كثيرا عند احداث ذلك اليوم بدون حاجة لتقديم مراجعاتهم أو نقدهم الذاتي حول هذا التحول في المواقف من مقاطعة الانتخابات البرلمانية والمحلية الى المشاركة بقوة في الانتخابات الرئاسية بنفس الشروط القانونية وفي نفس المناخ الانتخابي والسياسي وضمن نفس المنظومة السياسية التي حددت لوحدها مربعات اللعبة الانتخابية سابقا واليوم وغدا,وقبلوا بشروط الترشح الجديدة التي جاء بها دستور 2022 خاصة شروط السن والجنسية والبطاقة عدد 3 وعملوا على التقيد بها وتنفيذها وممارسة حقهم في الطعن امام المحكمة الادارية على أساسها ثم يزايدون على غيرهم في القبول بدستور 2022 ومطالبين بالعودة لدستور 2014!؟ وربما ضغط استحقاق 6 اكتوبر جعل كل الطبقة السياسية تنخرط في السباق الرئاسي لتمارس من خلال ذلك المراجعات السياسية الضرورية والنقد الذاتي دون عن الإعلان عن ذلك بصراحة مكابرة وانتصارا لتضخم الأنا السياسي لديها تهربا من الاعتراف انها ارتكبت خطايا سياسية قاتلة في الماضي عبر مقاطعتها للانتخابات التشريعية والمحلية تسعى اليوم الى تجاوزها وتداركها عبر المشاركة بقوة في الانتخابات الرئاسية القادمة , فالرجوع الى الحق خير من التمادي في البطل وقطعا لن ينفعها الندم وقضم اصابعها بعد 6 اكتوبر لو قاطعت الانتخابات الرئاسية مثلما لم ينفعها الندم وقضم اصابعها اليوم على مقاطعتها التشريعية والمحلية السابقة !؟ ولكم ان تتخيلوا حجم الفائدة السياسية والانتخابية التي كانت ستجنيها المعارضة لو كان لها نوابا بالمجلس التشريعي بغرفتيه!؟.

والمعارضة بطم طميمها , بصقورها قبل حمائمها عجزت عن تعبئة الشارع خلال ثلاث سنوات لاسقاط ما تسميه " بانقلاب 25 جويلة" ومع استبعاد خيار التدخل الخارجي الذي لا أظن ان أحد فكر فيه سابقا أو قد يفكر فيه مستقبلا فانه لم يبق امام الجميع ألا خيار الصندوق الانتخابي الديمقراطي في اكتوبر المقبل لاحداث التغيير السلمي على أعلى هرم السلطة في قصر قرطاج ..وقد كتب عليهم جميعا الصندوق الانتخابي وهو كرها لكم.

وبعد تيقنهم ان أي دعوة لمقاطعة الانتخابات – ولو ضمنيا – هي دعوة لتأبيد الوضع المأزوم خمس سنوات أخرى وادخال البلاد في المجهول وفتح الطريق لخمس سنوات أخرى من الدمار والعبث وان من يريد التغيير السلمي في قرطاج فليتوجه بكثافة لصناديق الاقتراع يوم 6 اكتوبر بعد أن تخلصوا من وهم "الثورة الثانية ", والاسطوانة المشروخة " انه يترنح" , وسنسقطه بالشارع وبعد ان جربوا كل هذا طيلة ثلاث سنوات خلت وفشلوا فشلا ذريعا صاروا معه اضحوكة للتندر في تونس والعالم .

لم يبق اليوم الا تحميل دعاة مقاطعة الانتخابات مسؤوليتهم التاريخية بعدم ارتكابهم نفس أخطاء الماضي, حتى لا يكونوا شركاء في " الجريمة " وقتها لن ينفعهم الندم في ظل غياب أي بديل عقلاني حول تصورهم " لليوم التالي" لما بعد 6 اكتوبر 2024 في صورة التجديد لقيس سعيد رئيسا لتونس (2024/2029) عبر الصندوق الانتخابي , فهل سيعولون على الشارع لاسقاط سعيد ؟ بعد أن ثبت فشل هذا الخيار في الماضي , أم سيستعدون للانخراط في الاستحقاقات الانتخابية البرلمانية سنة 2027 والمحلية سنة 2028 والرئاسية 2029 !؟ أم أنهم سيعولون على قيام ثورة شعبية قادمة يوم 14 جانفي 2097 !؟

ومن المعلوم أن مقاطعة الانتخابات يوم 6 اكتوبر المقبل لن يحل الأزمة السياسية في البلاد ولن تفرغ السجون من المساجين السياسيين ومساجين الرأي ولن تتحسن الوضعية الاجتماعية والسياسية للتونسيات والتونسيين بل العكس هو الذي سيقع لو استمر الوضع على ما هو حاليا , فستتعمق الازمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية اكثر وتزداد سوءا وانغلاقا , ولن يغادر المساجين السياسيين ومساجين الرأي زنازناتهم بل سيفتح باب السجن على مصراعيه بعد 6 اكتوبر ليستقبل المزيد من سجناء الرأي والكلمة والموقف السياسي ,وان المقاطعة النشيطة تتطلب وضوح رؤية بعدم القيام بها أصلاً فهي لن تتعدى في اقصى الحالات القيام بوقفات احتجاجية ومسيرات وتوزيع البيانات والمطويات الداعية لعدم التصويت وهي اساليب جربت سابقا واثبتت فشلها المدقع في ظل نفور الشعب من كل ما هو "سياسي" وتوابعه وان القيام بثورة شعبية ليس مجرد نزهة بين ثنايا الطبيعة كل شهر أو الذهاب الى موعد غرامي كل نهاية اسبوع .

وفي كل الحالات دعوة مقاطعة الانتخابات تتقاطع مع رغبة المترشح قيس سعيد الرئيس المنتهية ولايته في تجديد انتخابه رئيسا للدولة والايحاء بذلك عبر قيامه بتحوير وزاري شبه شامل, فكلاهما يلتقيان في استمرار بقاء الوضع على ما هو عليه حتى وان اختلفت الاسس والمنطلقات والأسلوب والنوايا.

لكن حتما ستكون حكومة السيد كمال المدوري الحكومة الاقصر عمرا في تاريخ تونس المعاصر فلن يتجاوز عمرها الثلاثة أشهر لتخلفها حكومة وحدة وطنية أما الشعار فسيبقى مجرد شعار .

الاتحاد العام التونسي للشغل:

استفحال أزمة القيادة

بقلم : خميس عرفاوي، مؤرّخ

يتغافل البعض عن الأزمة التّي يعيشها الاتّحاد العام التونسي للشغل ويتجاهل وجود معارضة نقابيّة داخله. والحال أنّ الوضع الذي آل إليه الاتّحاد من انقسام، وعجز لم يعد خافيّا على أحد وأنّ المعارضة لتوجّهات القيادة النقابية الموسومة بالبيروقراطيّة النقابيّة تعود إلى منتصف السبعينات. وقد خاض نشطاؤها نضالهم من داخل الاتّحاد العام التونسي للشغل(نقابة التعليم الثانوي في سبعينات القرن العشرين، واليسار النّقابي في الثّمانينات، وجامعة البريد في التّسعينات، والتيار النقابي الديمقراطي(2))، والأطراف المكوّنة، حاليا،ل»اتحادنا للمعارضة النقابيّة»، ومن خارجه مثلما فعل مؤسّسو الكنفدراليّة الديمقراطيّة للشغل (1) التّي أعلن عن ميلادها يوم 5 ديسمبر 2001.

ولقد شكلّت المسألة الديمقراطيّة داخل الاتّحاد أهم محور في الصراع بين المعارضين والماسكين بالجهاز. وإن تعلّق الصراع بالفصل العاشر من القانون الأساسي طيلة السنوات العشر الأولى من هذا القرن فإنّ الصراع الحالي يدور حول الفصل العشرين.

ودون العودة إلى وقائع الفصل العاشر(3) سنقوم في هذه الورقة برصد أهم المحطات التّي تخلّلت المعركة ضد الفصل العشرين.

تحوير الفصل العشرين

نص الفصل العاشر للقانون الأساسي المصادق عليه من طرف نوّاب المؤتمر الاستثنائي المنعقد بجربة في 7 8- و9 فيفري 2002 على أنّ أعضاء المكتب التنفيذي للاتحاد يتم انتخابهم لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد مرّة واحدة.

غير أنّ التمسّك بالكرسي دفع بعض الأعضاء إلى السعي من أجل تعديل الفصل المذكور. كاد علي بن زمضان المسؤول عن النظام الدّاخلي بعد مؤتمر المنستير 2006 أن ينجز مؤتمرا استثنائيّا غير انتخابي وحدّد له تاريخ أفريل 2011 لكنّ ثورة 17 ديسمبر14- جانفي أحبطت مساعيه وذهبت به وبالحالمين بالانقلاب على الفصل 10. ثمّ تواصلت المحاولات بعد رحيله. ففي مؤتمر 2017 الذي أفرز قيادة يتصدرها السيد نور الدّين الطبوبي أُدخلت تعديلات على القانون الأساسي وتمّ تحويل الفصل العاشر إلى الفصل العشرين دون تغيير في محتواه.

وفي وضع معيّن تميّز بتنامي دور قيادة الاتحاد في الحياة السياسيّة خلال العشريّة السابقة وخاصة إحكام قبضتها على كافة هياكل المنظمة وتراجع المسار الثوري في البلاد عزمت القيادة على المضي قدما في تعديل الفصل العشرين والتخلّص من تقييد عضويّة المكتب التنفيذي بدورتين. ولهذا الغرض دعت إلى انعقاد المجلس الوطني الذي التأم بالحمامات من 24 إلى 26 أوت 2020 وأقرّ الدعوة إلى عقد مؤتمر استثنائي غير انتخابي الغاية منه تنقيح القانون الأساسي قبل انعقاد المؤتمر العادي الانتخابي.

إنّ اللافت للنظر خلال هذا الطور من حياة المنظمة هو التغيير الكبير الذي حدث في تركيبة الاتحاد. فقد خلا آنذاك من القطاعات والجهات المناضلة التي عرفتها الساحة النقابية مثل قطاعات التبغ والوقيد والسكك الحديدية وتونس الجويّة والبريد وجهتي بن عروس وجندوبة وتمكنت القيادة في شخص السيد نور الدّين الطبوبي الذي شغل قبل ذلك منصب الأمين العام المسؤول عن النظام الداخلي من تدجين الهياكل من خلال فبركة مؤتمرات على القياس يتم خلالها تصعيد الموالين وأكثرهم من أتباع النهضة والقادمين الجدد أو من النقابيين المحسوبين علي اليسار أصحاب نظريّة التّموقع أو الموقع قبل الموقف والذين لقوا حظوتهم داخل هياكل الاتحاد مع إسماعيل السّحباني وفترة عبد السّلام جراد والّذين تغاضوا عن كلّ تجاوزاتهما والأضرار الّتي ألحقاها بالعمل النّقابي. ولضمان تمرير تنقيح الفصل 20 قامت قيادة الاتّحاد بتصفيّة المناضلين والمناضلات الرافضين للانقلاب على قوانين المنظمة وأدخلت تعديلات على تركيبة المجلس الوطني بحيث لا يشارك فيه إلاّ من كان سهل الانقياد.

ورغم خطورة ما أقدم عليه أعضاء المجلس الوطني فإنّهم صادقوا على الدعوة إلى عقد مؤتمر استثنائي غير انتخابي بنسبة 96 بالمائة، أي بموافقة 505 من أصل 560 من المشاركين(4). وهي نتيجة تبعث على الحيرة خصوصا في الظروف التّي تمّت فيها عمليّة الاقتراع (علني وأمام أنظار الأمين العام).

وفعلا انعقد المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي يومي 8 و9 جويلية 2021 بسوسة، في أوجّ الأزمة الوبائية وتمّ تعديل الفصل العشرين في اتّجاه السماح بتحمّل المسؤوليّة أكثر من دورتين صلب المكتب التنفيذي.

وتوّج هذا المسار بانعقاد المؤتمر الوطني ال25 للاتحاد في آجاله أيام 16 و17 و18 فيفري 2022 بصفاقس وانبثقت عنه قيادة تتركّب من خمسة عشر عضوا من بينهم خمسة أعضاء تولوا المسؤوليّة داخل المكتب التنفيذي للمرّة الثالثة من بينهم يساريّون طالما ساهموا في مقاومة تجاوزات قيادات الاتّحاد.

ولقد تزامن هذا المسار مع تفريط القيادة في مكاسب الشغالين وإهمال مشاغلهم ومطالبهم ونشأت أزمة متعدّدة الأوجه داخل الاتّحاد أفرزت معارضة نقابيّة كانت حاضرة في مختلف المحطات المذكورة.

المعارضة النقابية والمعركة ضد تنقيح الفصل العشرين

في البداية يجدر التعرّض لتركيبة هذه المعارضة. في الحقيقة تقلّصت قاعدة المعارضة النقابيّة نظرا إلى العوامل التّي ذكرناها سابقا. بحيث اقتصرت على مستوى الهياكل النقابيّة القائمة على المكتب التنفيذي للجامعة العامة للتعليم الثانوي الذي انتهت ولايته في بداية أكتوبر 2023. ولا يفوتنا أن نذكّر بموقف قطاع التّعليم الأساسي الذي قدّم مؤتمره توصيّة تدعو إلى رفض المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي ولكن الكاتب العام لم يلتزم بها.وتشكّلت تيارات نقابيّة معارضة من نقابيين ومجموعات نقابيّة في تنسيقيات مثل «لقاء القوى النقابيّة الديمقراطيّة» الذي اندثر ولم يعد له وجود ربما لأسباب سياسيّة ليس هنا مجال لذكرها و «حراك بن عروس» و»الملتقى النقابي من اجل ترسيخ الممارسة الديمقراطية واحترام قوانين المنظمة» و»الشارع النقابي بصفاقس» و»حركة التصحيح النقابي بتطاوين». ولقد توحّدت هده المجموعات باستثناء «حركة التصحيح النقابي بتطاوين» ضمن «إتّحادنا للمعارضة النقابيّة»(5). وتضمّ هذه التنسيقيّة الجديدة نقابيين من مشارب مختلفة يجمعهم قاسم مشترك يتمثّل في معارضة الانقلاب على قوانين المنظمة.

وقد تعدّدت ردود الفعل على توجّه القيادة النقابيّة لتنقيح الفصل العشرين وعقد المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي. فتوالت التجمعات ومنها التجمع أمام النزل الذي احتضن أشغال المجلس الوطني وكان آخرها تجمع 29 ماي 2024 ببطحاء محمد علي.

ووجّهت بعض مكوّنات المعارضة النقابيّة رسالة إلى أعضاء المكتب التنفيذي بتاريخ 17 أكتوبر 2020 أي بعد انعقاد المجلس الوطني ببضعة أيام تعلمهم فيه «أنه في حالة انعقاد المؤتمر الاستثنائي الانتخابي فإنّ كل ما سيصدر عنه يعتبر باطلا وما بني على باطل فهو باطل». وذكّرتهم أنّ «المؤتمر العام هو سلطة القرار الأولى والمرجع الأول للاتحاد وفق ما ينص عليه الفصل 8 من القانون الأساسي والفصل 19 من النظام الداخلي» وأنّ «الدعوة لعقد مؤتمر غير انتخابي هو خرق للقانون الأساسي والنظام الداخلي اللذين لا وجود صلبهما لصيغة مؤتمر استثنائي غير انتخابي»(6).

ونظرا إلى إصرار المركزية النقابيّة على عقد المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي التجأت نفس المكوّنات إلى القضاء إذ قامت برفع قضيتين عدليتين الأولى استعجالية والثانية أصلية لدى المحكمة الابتدائية بتونس لإبطال مخرجات المجلس الوطني وإلغاء قرار عقد المؤتمر الاستثنائي غير الانتخابي.

ولئن لم تستجب المحكمة للشكوى الاستعجاليّة فإنّها أصدرت حكما يقضي ببطلان المؤتمر الاستثنائي في 25 ديسمبر 2021. غير أنّ القيادة النقابيّة طعنت في الحكم وحكم لفائدتها في طوري الاستئناف والتعقيب. ومن المضحكات المبكيات أنّ محاميي الدفاع تعلّلوا أمام المحكمة بانعدام الصفة النقابيّة للشاكين بدليل أنّه ليست بحوزتهم بطاقات انخراط في الاتّحاد واستظهروا فقط ببطاقات خلاص.

ومن ناحية أخرى وجّهت المعارضة النقابيّة بيانا إلى الإعلام والشخصيات الوطنيّة والمجتمع المدني للتدخّل من أجل احترام قانون المنظمة النقابيّة وقوانين البلاد(7). ولكن لا مجيب لأنّ البعض من هذه الأطراف كانت تربطه علاقات مصلحة مع قيادة الاتحاد والبعض الآخر لحسابات سياسيّة.

واشتدّ الضغط على القيادة النقابيّة بمناسبة انعقاد المؤتمر الاستثنائي بسوسة من جهة الهياكل المعنيّة بالوضع الصحّي في الجهة وهي المطالبة بتطبيق البروتوكولات الصحية القاضية ب»منع جميع التظاهرات التي تستقبل عددا كبيرا من المشاركين سواء كانت ذات طابع ثقافي أو رياضي أو سياسي أو علمي» ومن جهة القضايا المرفوعة من أجل إيقاف أشغال

رأي

المؤتمر الاستثنائي لأسباب صحيّة وعددها ثلاث قضايا حكم فيها القضاء لفائدة قيادة الاتحاد معلّلا رفضه بعدم جديّة المطلب (بالنسبة إلى القضيّة التّي رفعها النقابيون)(8). ولكن إرادة السلطة ممثلة آنذاك في حكومة الوزير الأوّل هشام المشيشي العالق في براثن حزب حركة النهضة اقتضت مخالفة البروتوكولات الصحيّة وتعريض نواب المؤتمر وأهالي مدينة سوسة للخطر فصدر ترخيص من قبل وزير الصحة يسمح بعقد المؤتمر الاستثنائي.

لقد أدّى هذا المسار الذي أفضى إلى تولي القيادة الحاليّة إلى وضع الجميع في زنقة حادة. ولعل أبرز مظهر من مظاهر هذه الأزمة هو أنّ القلّة القليلة من النقابيين المعارضين سلّطت عليهم عقوبة الطرد من الاتّحاد والكثير أحيل على التقاعد ولم يبق في الاتّحاد سوى الموالين.

ورغم ذلك فالمعارضة النقابيّة ما تزال يحدوها الأمل في حلّ مشرّف يتمثّل في رفض الحلول الترقيعيّة ورحيل القيادة الحالية وتشكيل هيئة تسيير مؤقتة.

الخاتمة

إنّنا لا نأتي بجديد عندما نقول إنّ القيادات النقابيّة المركزيّة والجهويّة المكوّنة لشريحة البيروقراطيّة النقابيّة وجّهت العمل النقابي تاريخيّا في خدمة السلطة والأعراف ووظفتها في خدمة مصالحها نظرا إلى ما يمثله الموقع النقابي من امتيازات ومن نفوذ. ولتحقيق هذه الأهداف استعملت الترهيب والترغيب لتركيع النقابيين والتخلّص من النزهاء والتزوير لترقيّة الموالين في المسؤوليّة النقابيّة. وإن أفلتت بعض القطاعات سابقا من قبضتها فإنّ الأمين العام الحالي قام بتطويع كافة الهياكل تقريبا لإرادته وتحوّل إلى وقت وجيز إلى الحاكم بأمره.

ويبدو أن الوضع الذي أصبح عليه الاتحاد والمتميّز بعجز كامل لهياكله عن الدفاع عن منظوريهم يلائم السلطة ويطلق يدها أو على الأقلّ لا يشكّل لها مصدر إزعاج.

لقد كان يمكن للاتحاد أن يكون مدرسة للديمقراطية ومثالا في حسن التسيير وتمثيل منظوريه والالتزام بخط الأوّلين. ويمكن له أن يسير في هذا الاتجاه لو تمّ إلغاء كافة المغريات لتحمّل المسؤوليّة النقابيّة وتكرّست الاستقلاليّة التامة عن السلطة والاحتكام للديمقراطية في المؤتمرات وللشفافية في التسيير المالي والإداري. يبدو ضروريّا تجسيد فكرة النضال النقابي القائم على التطوّع وخدمة الغير والالتزام دوما بمصالح المنخرطين وقراراتهم.

الإحالات

عرفاوي، خميس، الحركات الاجتماعيّة في تونس من الاحتجاج إلى الثورة، تونس، دار سحر للنشر، 2020، ص 125- 182.

منهم على سبيل المثال: حبيب بن عاشور، الطاهر الشايب، منير كشوخ، منصور بريمة وخليفة مبارك والتحق بهم نقابيون يساريون. مجهول، «محاولة تقييمية :حول تجربة الكنفدرالية»، الشيوعي، العدد 14 - فيفري 2004.

نفس المرجع.

قاطع البعض جلسات المجلس الوطني مثل الجامعة العامة للتعليم الثانوي.

أنظر الأرضية في صفحة اتّحادنا للمعارضة النقابيّة.

الرسالة بإمضاء حراك بن عروس والملتقى النقابي من اجل ترسيخ الممارسة الديمقراطية واحترام قوانين المنظمة وحركة التصحيح النقابي بتطاوين. أرشيف اتّحادنا للمعارضة النقابيّة.

رسالة إلى كلّ مكوّنات المجتمع المدني في تونس، بتاريخ 30 ديسمبر 2020، نفس المصدر.

قضية رفعتها المعارضة النقابيّة أمام الدائرة الاستعجاليّة بالمحكمة الابتدائية بتونس وقضيتان رفعهما النائب ياسين العياري والمحامي وسيم الكوكي لدى محكمة تونس ومحكمة سوسة.

TunisieValeurs
LA MAISON DE L'EPARGNANT

التقرير الأسبوعي لـ «التونسية للأوراق المالية» :

للـ BIAT الريادة... TAWASOL يقفز وUBCI يهوي

منحى السوق

- متأثرا بتوجه سيء لأغلب المؤشرات القطاعية أنهى السوق الأسبوع الممتد من 19 الى 23 أوت 2024 في حالة تراجع وانحدر المؤشر المرجعي الى – 0,6 مقفلا عند النقطة 9762 عائدا بأدائه السنوي الى + 11,6 ٪.

- تميّز الأسبوع بتسارع ملحوظ في نسق التداولات جامعا حجم أموال هاما بـ 50,4 مليون دينار بما مثل معدلا يوميا بـ 10,1 ملايين دينار. واستفادت التداولات من 7 تبادلات بالكتل بفضل محفظة اجمالية بـ 33,5 مليون دينار. وشملت أهمّ التداولات أسهم بنك تونس العربي الدولي BIAT (تداول بحجم 18,3 مليون دينار) وشركة صنع المشروبات بتونس SFBT 4) تداولات بمبلغ 13,1 مليون دينار) حسب تحليل الوسيط الرسمي ببورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطوّر الأسهم

- سجل سهم مجمع تواصل القابضة TAWASOL GROUP HOLDING أفضل نتيجة. ووسط مدّ محدود جدا بـ 59 ألف دينار حقق سهم المجمع التابع لمجمع شبشوب قفزة بـ 10,8 ٪ بسعر 0,720 دينار.

- حقق سهم الشركة التونسية لصناعة الورق SOTIPAPIER بدوره أداء طيبا على امتداد الأسبوع المذكور. وحقق سهم الشركة المختصة في صناعة ورق "كرافت" وTest Liner ارتفاعا بـ 8,9 ٪ بسعر 5,150 دينار. وأنعش السهم السوق بتداولات بحجم 669 ألف دينار على طول الأسبوع.

- كان سهم آي تاك AETECH أكبر المتضررين على مستوى تونيداكس. وفي غياب أية تداولات له سجل السهم تراجعا بـ 11,5 ٪ بسعر 0,230 دينار.

- كان سهم الاتحاد البنكي للصناعة والتجارة UBCI أكبر الخاسرين خلال الأسبوع المذكور. وسجل سهم فرع مجمع

CARTE انحدارا بـ 4,4 ٪ بسعر 21,600 دينار وسط حجم تداولات شبه منعدم بألفي دينار.

- كان سهم بنك تونس العربي الدولي BIAT من بعيد الأفضل أداء وأنعش السوق بـ 18,5 مليون دينار.

مستجدات السوق

• المعهد الوطني للإحصاء : النمو الاقتصادي خلال الثلاثي الثاني من 2024 :

أظهرت تقديرات الحسابات الوطنية الثلاثية أن الناتج المحلي الخام سجل نموّا بـ 1,0 ٪ على امداد عام وذلك خلال الثلاثي الثاني من العام الجاري. ومقارنة بالثلاثي الأول من نفس العام حقق النموّ بذلك تحسنا ملحوظا (0,3 ٪).

وبحساب الانزلاق الثلاثي، أي مقارنة بالثلاثي الأول من العام الجاري يكون الناتج المحلي الخام قد ارتفع بـ 0,2 ٪ مقابل 0,6 ٪ خلال الثلاثي الأول.

وعلى هذا الأساس سجل الاقتصاد التونسي خلال السداسي الأول من هذا العام نموا بـ 0,6 ٪ بينما لم يبلغ الناتج المحلي الخام بعد المستوى الذي بلغه مع نهاية عام 2019 قبل أزمة كوفيد.

• المعهد الوطني للإحصاء : نسبة البطالة خلال الثلاثي الثاني من 2024 :

قُدر عدد العاطلين عن العمل خلال الثلاثي الثاني من 2024 بـ 661,7 ألفا مقابل 669,3 الفا خلال الثلاثي الأول. وانخفضت بذلك نسبة البطالة لتستقر عند 16,0 ٪ (مقابل 16,2 ٪ خلال السداسي الأول من نفس العام). وبذلك لم تتغير نسبة البطالة بالنسبة للرجال (13,6 ٪ خلال الثلاثيتين الأولى والثانية من عام 2024) بينما انخفضت النسبة في ما يخص النساء (21,3 ٪ خلال الثلاثي من 2024 مقابل 22,0 ٪ خلال الثلاثي الاول).

إشهار

رسالة مفتوحة إلى الهيئة الإدارية الوطنية للاتحاد العام التونسي للشغل

بقلم : جيلاني الهمّامي

الأخ الأمين العام
الأخوات والإخوة أعضاء المكتب التنفيذي الوطني
الأخوات والإخوة أعضاء الهيئة الإدارية الوطنية

يسرّني وأنتم تستعدّون لاجتماع الهيئة الإدارية الوطنية يوم غد الثلاثاء 27 أوت الجاري أن أتوجّه إليكم بهذه الرسالة.

إنّني النقابي، جيلاني الهمامي، الكاتب العام الأسْبق للجامعة العامّة للبريد والاتصالات قضيّتُ أربعين سنة من النّشاط صُلب الاتّحاد العام التونسي للشغل وتدرجت في المسؤوليات النقابية من النقابة الأساسية إلى الكتابة العامة لجامعة البريد وترشّحت أكثر من مرّة لعضوية المكتب التنفيذي الوطني ودخلت السّجن في مناسبتين، الأولى سنة 1984 بسبب الإضراب التّاريخي للبريديين (إضراب العشرة أيام) والثانية سنة 1997 بسبب الخلاف مع قيادة الاتحاد والأمين العام آنذاك إسماعيل السّحباني الذي رفع ضدّنا شكاية للقضاء على خلفية عريضة أمْضيناها (عدد من النقابيين منهم أعضاء هيئة إدارية وطنية مثلي أذكر منهم المرحوم حبيب بسباس وصديقي منجي صواب ورشيد النجار وأعضاء مكتب تنفيذي سابقين، أحمد بالرميلة وعبد المجيد الصحراوي) مطالبين بانعقاد المجلس الوطني.

وقد كنت طوال هذه المسيرة التي «ولد الاتحاد» ولا زلت أتشرف بهذه الصّفة التي تبعث في كلّ مشاعر الاعتزاز والتعلّق بمنظمة حشاد. وقد دونت ذلك في كتاب كنت أصدرت منذ سنوات بعنوان «الاتحاد العام التونسي للشغل: نظرة من الداخل».

وعلى هذا الأساس أراني دائم الاهتمام بأحوالها وبما يجدّ داخلها وبما يحاك ضدّها ولا أتمالك عن التّعبير عمّا يخالجني حيال ذلك من أحاسيس ومواقف كواحد من «أولاد الاتحاد». وهو ما دفعني اليوْم إلى التوجه إليكم بهذه الرسالة.

لا أذيعكم سرّا بالقول إنّ الاتّحاد يمرّ اليوم بـأزمة حادّة، هي على ما أعتقد من أخطر الأزمات التي عرفها في تاريخه. لأنّها أزمة مركّبة ومعقّدة يتشابك فيها عامل الاستهداف من الخارج وبالتحديد من نظام الحكم مع عامل سوء التصرف الداخلي الذي يضاهي في أثره ونتائجه التّخريب إن كان عن وعي أو غير وعي. وأرى شأني شأن الكثير أن هذه الأزمة تحمل في طياتها تهديدات جدية. وحتّى لا يؤخذ كلامي على أنه مجرّد مبالغة غير ذات وجاهة سأحاول فيما يلي تفصيل رأيي في الوضعيّة لأختم بتوجيه نداء إليكم عسى أن يلقى لديكم قليلا من الاهتمام.

قيس سعيد يتربص بالاتحاد

لا أحد ينكر أن قيس سعيد يسْتهدف الاتّحاد ضمْن خطته العامّة في القضاء على الأجسام الوسيطة، أحزابا ومنظمات وجمعيات. وقد بات واضحا للعيان أنه يتّبع في ذلك خطّة على غاية من الدّهاء تمْزج بين عدّة آليات وأدوات وأساليب. فقد عمل من جهة على تحْجيم وزن الاتّحاد في الساحة عبر تشويهه ونشر ادّعاءات مضللة ضده كالقول بأن كثرة الإضرابات أدت إلى تراجع الاستثمار وانهيار النمو وبالتالي فإن الاتحاد هو المسؤول عن الازمة الاقتصادية التي تتخبط فيها البلاد. وتبعا لذلك فلا حل للأزمة إلا بالتخلص من «الاتحاد والإضرابات». وهكذا نجح في تأليب جزء من الرأي العام ضد المنظمة.

من جانب آخر جمّد سعيّد كل آليات الحوار الاجتماعي والتفاوض حول المسائل المادية والقانونية والاجتماعية للعمال وقرّر من جانب واحد وفي غياب الطرف النقابي الزيادة في الأجر الأدنى الصناعي والفلاحي وفي أجرة التقاعد كما أحال على «البرلمان» تنقيحات في مجلة الشغل دون تشريك الاتحاد وأصدرت حكومته المناشير المعروفة (20 و21) وعطّل الاتفاقيات القديمة وتنكّر لمحاضر الجلسات المُمْضاة وشجّع على دوْس الحقوق والحرّيات النقابية (سحب التفرّغات ومنْع الرّخص النقابية) وراح يهدّد بالتراجع في المكتسبات القديمة (الخصْم المباشر) وبتحريك بعض «النقابات» الموازية في إشارة إلى تنْشيط التعدديّة النقابية للتّضييق على الاتحاد.

أكثر من ذلك أعطى سعيّد إشارة الانطلاق لإثارة قضايا عدْلية ضدّ النقابيين لأسباب نقابية (نقابيو النقل وأنيس الكعب وغيرهم) وغير نقابية بدعوى مقاومة الفساد. ومع كلّ ذلك أطلق عنان ميليشياته الفايسبوكية لتنظيم حملات التهجم على الاتحاد والنقابيين لتشويههم والتشهير بهم. والأخطر من كل ذلك أنه زرع أتباعه داخل هياكل الاتحاد، من فوق إلى تحت، لاختراقه وزعزعة وحدته من الدّاخل. وبطبيعة الحال مازالت هذه الخطة في مراحلها الأولى في انْتظار استكمالها ومن المتوقّع أن تمرّ إلى نسق متقدّم إثر الانتخابات الرئاسية.

القيادة الحالية شريكة في الازمة

إنّ الأمر الذي لا يرقى إليه الشك هو أن الاتّحاد قد تردى في أزمة حادة وخطيرة قد تؤدي به إلى التفكك والاندثار إذا استمرت لفترة أخرى ولكن ليس فقط بسبب ما ذكرناه أعلاه وإنما أيضا لأسباب أخرى.

ينبغي أن نعترف أن الازمة ناتجة أيضا عن عوامل داخلية تتصل بمنهج التسيير التي اتبعته القيادة ممثلة أساسا في المكتب التنفيذي الوطني الحالي وهو منهج بيروقراطي موروث عن تجربة طويلة ترسخت فيه تقاليد مركزة القرار النقابي وتهميش دور الهياكل التقريرية والقطاعية والجهوية وإلغاء دور القواعد العمالية التي استحالت إلى مجرد حطب لحملات التسخين والتبريد علاوة على أساليب التلاعب بالقوانين الداخلية وبالمؤتمرات وتوزيع النيابات وتركيز الاتباع وتصفيه المخالفين في الرأي والخصوم من النقابيين. ويعتبر المسار الذي زجت فيه القيادة الاتحاد لإلغاء الفصل 20 من النظام الداخلي (المجلس الوطني ومؤتمر سوسة غير الانتخابي ثم مؤتمر صفاقس) هو المنعرج الذي أدخل الاتحاد في منطقة زوابع حقيقية. هذه حقيقة لا يمكن نكرانها. إن المكتب التنفيذي الوطني شريك، كهيكل، في صنع الازمة وله نصيب كبير من المسؤولية فيها.

ما العمل؟

المحصلة والنتيجة أن الاتحاد يتخبط اليوم في أزمة حادة وخطيرة. وإذا استمر الحال على ما هو عليه سيكون عرضة لكل احتمالات الانفجار والتفكك. والواضح اليوم أن لا أمل في قدرة الفريق القيادي الحالي على تدارك الوضع بالنظر لما هو عليه من انقسامات وتكتلات وصراعات وحسابات شخصية باتت معلومة لدى النقابيين وحتى لدى جزء واسع من الرأي العام المهتم بالشأن النقابي والشأن العام. وقد بات متأكدا أن المكتب التنفيذي الحالي لن يستطيع مواصلة مهمته إلى غاية انتهاء مدة ولايته بداية 2027 لذلك يتحتم التفكير الآن وهنا في مخرج من هذه الوضعية بغاية الحفاظ على المنظمة والحيلولة دونها ودون الانشقاقات والانقسامات والسقوط في دوامة صراعات من نوعية جديدة قد تؤدي بها إلى الاندثار. لا بد من حل جريء وسريع. والوضع الاستثنائي يتطلب حقا حلا استثنائيا.

ويتمثل الحل الاستثنائي في أمرين اثنين:

أولا وقبل كل شيء سياسات واختيارات جديدة مختلفة تماما عن السياسات والاختيارات القديمة. والمقصود بذلك أن ينبني الحل المطروح على موقف واضح وجريء وصريح من اختيارات السلطة في المجال الاقتصادي والاجتماعي ونمط التنمية المتبع وتباين واضح مع الأسلوب الشعبوي الاستبدادي في تنظيم وتسيير شؤون الدولة والإدارة والاعلام وكل المؤسسات ورفض منطق الحكم الفردي المطلق والدفاع المستميت عن استقلالية الاتحاد ضمن منظور ديمقراطي تقدمي ينتصر لاستقلالية المؤسسات الدستورية وكل الاجسام الوسيطة أحزابا وجمعيات مدنية ومنظمات مهنية والدفاع عن الحقوق والحريات النقابية كجزء من الحريات العامة والفردية. وعلى الصعيد الداخلي مراجعة قوانين المنظمة باتجاه مراجعة المركزة المشطة وإعادة الاعتبار للهياكل التقريرية ووضع آليات تطوير فاعلية القرارات القاعدية وأخرى لمنع كل أساليب التلاعب بالمؤتمرات والنيابات وبطبيعة الحال العودة للفصل 20 إلى جانب ضبط خطة نضالية للدفاع عن المطالب المادية والمقدرة الشرائية وظروف العمل وغيرها من الاستحقاقات الاجتماعية الأخرى وللتصدي للإجراءات المتخذة في شأن منظومة الحوار الاجتماعي والتفاوض وشراكة الطرف النقابي في عديد المنظومات.

ثانيا تغيير الفريق القيادي بشكل ديمقراطي ووفق أحكام الفصل 20.

هذا الحل الاستثنائي (بعناصره المذكورة) لا يمكن أن يقع إلا بشكل مؤسساتي ومن خلال أعلى مؤسسة ملزمة للمنظمة، هياكل وقواعد، وهي المؤتمر الوطني.

إن الاتحاد في حاجة ماسة ومتأكدة إلى نقلة نوعية في مسيرته يدشنها مؤتمر وطني ينبغي أن ينعقد في أقرب الأوقات، ويتعين الانكباب على إعداده من الآن إعداد جيدا دون إضاعة الوقت تحسبا لكل ما يمكن أن يحصل بعد الانتخابات الرئاسية. ومن البديهي أن المسؤولية كل المسؤولية ملقاة على الأكثر وعيا من غيرهم، مهما كان موقعهم، بخطورة الوضع كي يتولوا إنجاز هذه المهمّة الملحّة.

لا للحلول المغشوشة

يختلف هذا الحل عن الحلول الأخرى التي تندرج ضمن خطة استهداف الاتحاد تحت غطاء معاداة القيادة ولكنها في الحقيقة تقوم بدور مشبوه في خدمة قيس سعيد وتهدف إلى ربط الاتحاد بعجلته انطلاقا من مناصرتهم لمقاربة سعيد وخياراته وأهدافه. ومن المؤسف أن يلقى هذا التيار أنصارا مندسين في هياكل الاتحاد يعوّل على البعض منهم أن يكونوا قادة انقلابات قادمة وبدائل «الغد». لهؤلاء نقول لهم أن التاريخ الذي حفظ أسماء كل القادة الذين باعوا ضمائرهم وقبلوا بمهمة في الانقلاب على منظمتهم، بشير بلاغة سنة 1965 والتيجاني عبيد 1978 وعبد العزيز بوراوي وغيره سنة 1985 سيضع في خانتهم من سيقبل اليوم بذات المهمة القذرة.

كما يختلف هذا الحل عما يطرحه البعض من مؤتمر استثنائي فقط لإزاحة القيادة الحالية بصرف النظر عما سيحصل في المستقبل.

إن المؤتمر الاستثنائي مهمة خطيرة وسلاح ذو حدين فبقدر ما يمكن أن يحقق أهدافه في تدشين مسار إنقاذ المنظمة بنفس القدر يمكن أن يذهب بالمنظمة إلى المجهول. ولتلافي هذا المآل لا بد أن ينعقد المؤتمر الاستثنائي تحت شروط واضحة ومحددة. فإذا لم يكن مناسبة للقطع مع أسباب الازمة أي إذا لم يكن مناسبة للقطع مع سياسة التهادن مع النظام والأعراف والنهج البيروقراطي، وإذا لم يصدر لوائح وتوصيات وقرارات جريئة في ذلك وفي مقدمتها قرار العودة إلى الفصل 20 (وغيره من الفصول التي تستحق المراجعة) فإنه سيكون مجرد عملية شكلية تستبدل «زيد» بـ«عمر» وتنتقل بالاتحاد من أزمة إلى أخرى.

إن مسؤوليتكم كبيرة وتاريخية وأرجو، كما يتطلع إلى ذلك الكثير، أن تكونوا في مستواها وأن تفوتوا الفرصة على أعداء منظمة حشاد الذين يريدون تخريبها والتخلّص منها كي يكرسوا مشاريعهم المعادية للشغيلة والشعب والوطن.

أرجو لأعمالكم التوفيق،

والسلام.

تونس في 26 أوت 2024

وكالة «فيتش»:

معدل حياة التونسيين في تراجع منذ 2010

بقلم : مختار العماري (دكتور في الاقتصاد وأستاذ جامعي في كندا)

يوم الجمعة الماضي، كشف تقرير صادر عن وكالة فيتش-سوليوشن (28 صفحة) أن الأمل في الحياة لدى التونسيين شهد تراجعاً مستمراً منذ عام 2010، مشيراً إلى أن سياسات الصحة العمومية ونقص الأدوية ليست وحدها المتسببة في ذلك. ورغم تواصل الاعتقاد بأن مدة الحياة تعتمد على إرادة الله فإن «فيتش» تسوّق إحصائيات يجب أخذها بعين الاعتبار لضبط سياسات الصحة العمومية في تونس. كيف ذلك ولماذا؟

سنلقي نظرة فاحصة على هذه الأرقام الخاصة بالرجال والنساء، قبل العودة إلى الأسباب التي تفسر هذه النزعة الضارة لتونس ما بعد 2011.

الرجال يعيشون لفترة أقصر

يُفيد تقرير فيتش-سوليوشن أن الأمل في الحياة تراجع منذ عام 2011 لدى عدة شرائح من السكان، خاصة بالنسبة للرجال.

• بين عامي 1990 و2000: زاد الأمل في الحياة بمعدل 3.6 سنوات، من 70.1 إلى 73.7 سنة. أي بمعدل ارتفاع يناهز سنتين كل 5 سنوات.

• بين عامي 2000 و2010، ارتفع الأمل في الحياة إلى 75.4 سنة. أي ما يناهز زيادة بنحو سنة إضافية كل 5 سنوات.

• لكن بين عامي 2010 و2020، لم يزد الأمل في الحياة بالنسبة للرجال فحسب، بل تراجع معدله ليصبح 75.3 سنة.

لو تواصل مسار السنوات 2010-1990، لكان أمل الرجل التونسي في الحياة اليوم يقارب 78.5 سنة (2024). نحن اليوم عند 75 سنة فقط، مقارنة بـ 79.9 سنة في الجزائر، و82.9 سنة في إيطاليا أو كندا.

لقد تسببت العشرية التي تلت سنة 2011 في فقدان الرجال التونسيين ما بين 2 و3 اعوام من الامل في الحياة(78.5 عاما - 73.3 عاما) .

كيف يمكن تفسير هذه الظاهرة المميتة؟ بالتأكيد، أرسلت السنوات السوداء لحكم الإسلاميين العديد من الشباب التونسيين للجهاد والموت في صحارى العراق وليبيا أو سوريا (2016-2012).

كما قضى أو اختفى عشرات الآلاف من الشباب والرجال خلال «الحرقة» عبر البحر إلى إيطاليا وأوروبا بشكل عام.

أما سياسات الصحة العمومية فقد كانت مدمرة خلال الـ 12 سنة الماضية. وتعاقب اكثر من 10 وزراء على وزارة الصحة العمومية منهم عدد كبير منهم من غير الأكفاء وقليلو الاهتمام بجودة الحياة والرعاية المقدمة للتونسيين.

وتركت جائحة كوفيد- 19 بدورها أثراً لا يمحى في سجلات الوفيات. لكن يمكن أن نتصور أن كوفيد19- لم يميز حتما بين الرجال والنساء.

النساء يعشن أطول من الرجال

وفقاً لتقرير فيتش-سوليوشن، يزداد فارق متوسط العمر بين الرجال والنساء تعمقا. فقد كانت النساء يعشن في المتوسط 4.2 سنوات أكثر من الرجال في عام 2000، وهنّ يعشن حالياً 8 سنوات أكثر. معنى ذلك ان الفارق في مدة الحياة بين الرجال والنساء تضاعف. وهذا يخلق مشاكل اجتماعية ضخمة، مع العلم أن لواحدة من كل أربع نساء فقط وظيفة، ومنحة تقاعد وبالتالي تعيش النساء التونسيات عمراً أطول وهن ارامل مع ما يرافق ذلك من فقر .

- بين عامي 1990 و2000، ارتفع أمل الحياة لدى النساء من معدل 72.5 إلى 76.4 سنة، محققاً زيادة قدرها 4 سنوات.

- بين عامي 2000 و2010، سجل الأمل في الحياة لدى النساء زيادة بعامين، ليبلغ 78.6 سنة.

- بين عامي 2010 و2020، ارتفع الأمل في الحياة لدى النساء من 78.6 إلى 79.3 سنة فقط، أي بزيادة قدرها 7 أشهر.

لو استمر مسار التسعينات، لكانت المرأة التونسية تعيش اليوم في المتوسط 84 سنة (مقابل 79.3 سنة طبقا لما هو مذكور في تقرير فيتش).

وهكذا يتضح ان انعكاس سوء الحوكمة في قطاع الصحة العمومية بعد 2011 قد يكون أثر سلبا على طول حياة النساء بما لا يقل عن 5 سنوات.

انحراف هيكلي في الصحة العمومية

يقدم تقرير «فيتش-سوليوشن» معطيات أخرى قد تفسر تراجع معدل اعمار التونسيين :

- يتعلق السبب الرئيسي بنقص الأدوية. يُخبرنا التقرير بأن ما لا يقل عن 300 دواء أصبح غير متوفر. فالأزمة المالية والديون المزمنة تقلل من القدرة على توريد الأدوية الحديثة.

- أزمة مرض السكري تتفاقم، حيث يعاني فعلا 1 من كل 9 بالغين من هذا المرض، دون القدرة على الحصول على العلاج بشكل صحيح ومستمر. ويفيد التقرير بأن هناك حوالي 500,000 مصاب تونسي بداء السكري لا علم لهم بحالاتهم.

- تدهور نظام الصحة هو أحد الأسباب. ويمثل عدم الوصول إلى رعاية جيدة وأدوية في المتناول ومستشفيات مجهزة عاملا رئيسيا في تدهور صحة المواطنين.

- تتلقى نخب الدولة العلاج في المستشفيات العسكرية والفئات الثرية في المصحات . لقد عمق نسق الخوصصة المتسارع وغير المدروس الفجوات الاجتماعية في مجال الرعاية الصحية اذ يعيش حوالي 30% من السكان تحت خط الفقر، وهؤلاء تُركوا لمصيرهم دون إمكانية الحصول على العلاج أو الخدمات الصحية الأساسية.

- يغادر العاملون في مجال الصحة البلاد بشكل جماعي. وتغري الهجرة الأطباء الذين يبلغ عددهم 18,500 (حسب ارقام 2023) وكذلك الممرضين البالغ عددهم 34,000 وذلك بسبب نقص الموارد وفقدان الأمل. وتنتدب الدول الغربية بشكل مكثف الاطارات الطبية وتعرض عليهم ظروف عمل بامتيازات اكثر من تلك المعروضة في تونس.

- يتسع العجز في الميزان التجاري للأدوية باستمرار وبلغ 500 مليون دينار، فيما تراجعت النفقات المخصصة للصحة العمومية مقارنة بالناتج المحلي الخام اذ لا تتجاوز وفقاً لتقرير «فيتش» 6%.

على المترشحين للانتخابات الرئاسية في تونس التحلي هنا والآن بالشجاعة للخوض في انحرافات قطاع الصحة العمومية وتقديم رؤاهم واستراتيجياتهم لمواجهة الافات والأوبئة والمخاطر التي تؤدي إلى تراجع مدة حياة التونسيين.

مبلّغون عن الفساد يسردون فصولا من «عذابات» التصدي لنهب المال العمومي

محمد الجلالي

بين مُشّرَدٍ ومَعْزُولٍ ومُنَكَّلٍ به يمرّ عديد المبلغين عن الفساد بوضعيات نفسية واجتماعية ومالية قاسية فيما يشدّد الخطاب الرسمي على «ضرورة مواصلة الحرب على الفساد» .

احساس بالضيم والقهر بات يخيّم على عديد المبلغين بعد اثارة ملفات ثقيلة تتعلق بصفقات مشبوهة أو بانتدابات بالمحسوبية والمحاباة او باستيلاءات على أموال عمومية في ظل مفارقة غريبة بين بطء لافت في البت في قضايا فساد كانوا قد أثاروها أو رفعوها بعصابات داخل الادارة وخارجها وبين سرعة قياسية في التعاطي مع ما اعتبرها العديد منهم قضايا كيدية ضدهم.

أمال التليلي موظفة الوكالة الوطنية للتبغ والوقيد موقوفة عن العمل هي واحدة ممن سعوا للتصدي لتجاوزات بالمؤسسة. تقول التليلي «بلّغت على فساد مالي واداري وهو فساد يرتقي الى مستوى الجريمة المنظمة عبر عقد صفقات مشبوهة وفرض تعيينات في غير محلها».

وتضيف متسائلة «هل يعقل ان يتم انتاج السجائر ثم ترويجها بالسوق فيما لا يزال مخبر الشركة مغلقا مما يعني انه يتم بيع بضاعة قد تكون مضرة بصحة المستهلك؟»

كشفتُ فسادهم فطردوني تعسفيا

الموظفة المذكورة أفادت في تصريح لـ «الشارع المغاربي» بأنها أعلمت الشرطة الاقتصادية بتفاصيل مختلف التجاوزات مشددة على تورّط ما يعرف بالدولة العميقة ممثلّة في وفاق يضم وزيرة وشقيقتها ومديرين ومسؤولين بوزارات أخرى في تعطيل محاسبة الضالعين في جرائم مالية وادارية بالوكالة.

وأوضحت أن احد المتورطين كان يشغل خطة كاتب عام بإحدى الوزارات قبل ان يعفيه الرئيس قيس سعيد بسبب شبهة التورط في اربع قضايا منها قضيتان تتعلقان بفساد مالي واداري في الاملاك المصادرة وتم رغم ذلك تعيينه على رأس مجلس ادارة الوكالة ومصنع التبغ بالقيروان.

واستغربت الموظفة من عدم تحرّك الوزارة ازاء عدم اخضاع السجائر للتحاليل قبل ترويجها بالسوق واكتفائها بانجاز بحث حول المسؤول دون اتخاذ أي قرار في شأنه مشيرة الى ان مدير عام الوكالة اختار بدوره الخروج في عطلة مرضية وتجديدها أكثر من مرة بعدما كشفت عن مختلف التجاوزات.

وذكّرت الموظفة بأن المدير العام الحالي كان في 2008 من المشرفين على صفقة مشبوهة من الهند قالت انها كبّدت الوكالة خسائر بـ 100 مليون دينار لافتة الى انه تمت آنذاك ترقيته بعد توقيعه على الصفقة دون ان تكون له اية صفة قانونية تخوّل له التدخل فيها.

وأفادت بأنه تم بعد أن كشفت عن التجاوزات ايقاف صرف منحها المالية في مناسبة أولى ثم احالتها منذ يوم 6 أوت الجاري على مجلس التأديب (بعد خروجها في عطلة سنوية) بدعوى تصريحها بمغالطات من شأنها الاساءة الى سمعة الوكالة قبل ان يتم طردها لمدة ستة أشهر.

وابرزت انها تقدمت بمطلب للمحكمة الادارية للنظر في قانونية القرارات المتّخذة في شأنها

وأضافت ان ما يهمها فضلا عن انصافها ان تأخذ السلطة بعين الاعتبار المعطيات التي بلّغت عنها لإنقاذ الوكالة وعدم الاكتفاء بفرض تغيير على رأس ادارتها وانما اعادة النظر في هيكلها التنظيمي مع القطع مع طرق التسيير القديمة وايقاف تدخل بعض النقابات في اتخاذ القرار.

وتطرقت الى الحريق الذي شب مؤخرا بأحد مستودعات الشركة مرجحة أن يكون مفتعلا وأن وراءه محاولة من بعض الاطراف لطمس معالم جريمة ما.

عزلوني ونكّلوا بي

حاتم البجاوي الموظف المعزول من شركة مختصة في تصنيع المحولات الكهربائية أكد من جانبه انه لاحظ ان عددا من الصفقات التي ابرمتها الشركة مع «الستاغ» غير مطابقة للمواصفات الفنية المنصوص عليها في كراس الشروط.

وأوضح ان عملية الغش تتمثّل أساسا في توفير محوّلات غير مطابقة لما تم الاتفاق عليه وأن ذلك يتسبب في اهدار الطاقة مضيفا انه يتم بيع 80 بالمائة من المحوّلات المصنوعة لـ «الستاغ» بقيمة جملية تناهز سنويا 25 مليون دينار.

يقول البجاوي لـ «الشارع المغاربي» انه احاط هيئة مكافحة الفساد منذ 2018 بكل المعطيات وان الهيئة رفعت إثر ذلك دعوى قضائية بالشركة.

البجاوي أكد ان المشاكل انطلقت منذ أن كشفت هيئة مكافحة الفساد عن هويته عبر مطالبة الشركة التي يشتغل بها بمدها بملفه التأديبي عندما تقدم بمطلب للتمتع بالحماية ملاحظا انه لم يطلب الكشف عن هويته.

واعتبر ان الكشف عن هويته كان نتيجة ثغرة قانونية خطيرة تضمنها القانون عدد 10 المتعلق بالإبلاغ عن الفساد وحماية المبلغين.

المصدر أكد انه تمت احالته على مجلس التأديب بتهمة مغادرة مكان العمل والتغيب ليوم واحد مشددا على انه كان من أكثر الموظفين مواظبة على الحضور طيلة فترة عمله التي امتدت على 18 سنة .

واتهم ادارة الشركة بعدم تمكينه من آليات الدفاع عن نفسه عند احالته على مجلس التأديب قبل اتخاذ قرار بفصله نهائيا عن العمل مثله مثل زميله الذي شارك في التصدي للتجاوزات.

وقال الموظف المعزول انه ظل منذ جوان 2018 يتردد على اروقة المحاكم لاسترجاع حقوقه مبيّنا انه لم يحصل بعد على اي قرار قضائي بات.

واضاف ان المحكمة الادارية انصفته مؤخرا برفض الطعن الذي تقدمت به الشركة لاسقاط حقه في الحصول على الحماية القانونية معتبرا ان ذلك يعد اعترافا من القضاء بجدية الملفات التي سبق له ان كشف عنها لدى الهيئة.

وتطرق الى مشكل عدم تنفيذ قرارات المحكمة الادارية مشيرا الى انه اضحى منذ 2018 عاطلا عن العمل.

وأوضح ان التعسف الاداري الذي تعرض له تسبب له في طلاق وتشتيت افراد عائلته وتحويله من عنصر منتج (مدير بمرتب يناهز 5 آلاف دينار) الى متشرد عاجز حتى عن التكفل بمصاريف علاجه ومهدّد بالسجن في صورة عدم دفع 670 دينارا كـ «نفقة» لمطلّقته.

وقال «كل ذلك لم يشف غليل البعض فعمدوا الى تحريض بعض زملائي على مداهمة منزلي والاعتداء عليّ بالشتم

والثلب اضافة الى الاعتداء على سيارتي.. وقس على ذلك مع مبلغين آخرين ممن تم ضربهم والتنكيل بهم».

وذكّر بأن هيئة مكافحة الفساد رفعت سنة 2019 قضية بمدير عام الشركة بتهمة عدم تطبيق قرار الحماية وبأنه تم البت فيها بعد اغلاق الهيئة بحفظ الشكاية لعدم كفاية الحجة دون العودة الى المبلّغ باعتباره متضررا لمد القضاء بكل المؤيدات.

واعتبر ان إغلاق الهيئة مكّن البعض من التلاعب بالقضية وساهم في افلات مدير عام الشركة من المحاسبة ملوّحا بمقاضاة كل من نكّل به وتعسّف عليه.

وتابع «الغريب في الأمر انه لا يتم خلال التقاضي مراعاة وضعية المبلغين الهشة الى جانب امكانية التلاعب بمصير بعض المطرودين منهم عبر ارتكاب اخطاء لا تحصى ولا تعد عند رقن الاحكام القضائية».

واعتبر ان أطرافا كانت تتعامل مع هيئة مكافحة الفساد ومن المجتمع المدني استغلت وضعيات مبلغين للمتاجرة بملفاتهم وتوظيفها لأغراض سياسية أو شخصية.

وبيّن أنه بالإمكان اليوم بفضل تظافر جهود عديد الفاعلين النزهاء تحقيق نتائج ايجابية في ملف مكافحة الفساد وانعاش ميزانية الدولة في صورة التسريع في آجال البت في القضايا وتنقيح القانون المتعلق بحماية المبلغين وتحيين الملفات المودعة لدى هيئة مكافحة الفساد مع تفعيل الجانب الرادع والقطع مع ثقافة الافلات من المحاسبة عبر حلحلة ملفّات الفساد المودعة لدى القضاء واحدا تلو الاخر.

هرسلة ادارية ونقابية

يقول محمد علي العياري الموظف بشركة الفولاذ انه راسل سنة 2016 وزارتي الداخلية والصناعة لإعلامهما بوجود اخلالات عديدة في الشركة وانه توجه سنة 2017 الى هيئة مكافحة الفساد مشيرا الى ان الملفات التي حاول الكشف عنها تمثلت في فساد اداري ومالي ونقابي.

ويؤكد الموظف انه لاحظ بعد مرور 7 سنوات على تبليغه أنه لم يتم ايلاء الامر الاهمية اللازمة معتبرا انه لو لم تكن الملفات جدية لما مكنته هيئة مكافحة الفساد من قرار لحمايته.

ويلاحظ ان ادلاءه سنة 2023 بتصريح لإحدى وسائل الاعلام دفع النيابة العمومية الى فتح تحقيق في حصول موظفين على امتيازات غير مستحقة وصفقات فاسدة والتفرغ النقابي بما أثّر بشكل كبير على وضعية الشركة المالية.

وأفاد بأنه لم يتمتع منذ سنة 2003 تاريخ التحاقه بالشركة بأية ترقية مهنية بالنظر الى اعتباره دخيلا عليها.

وذكر انه اكتشف بعد انتخابه سنة 2015 عضوا بالنقابة الاساسية لأعوان المؤسسة إخلالات جمّة في المكتب النقابي مشددا على انه رفض انذاك ملازمة الصمت ازاء تواطؤ عدد من النقابيين مع المدير العام السابق للمؤسسة وعلى ان ذلك ادى الى ابعاده عن النشاط النقابي عبر سحب انتسابه الى الاتحاد العام التونسي للشغل.

وأكد محدثنا ان مسلسل التنكيل به لم يتوقف عند محاصرة نشاطه النقابي وانه امتد الى نقلته تعسفيا الى خطة أخرى قبل ان تتم مقاضاته بتهمة سرقة حاسوب على ذمة الشركة اضافة الى ايقافه عن العمل لشهرين ثم نقلته خارج الشركة مع حرمانه من منحه المالية.

وعرج المتحدث على زيارة رئيس الجمهورية الى الشركة مرجحا ان تكون نتيجة ابلاغه عن الفساد معتبرا ان ادارة الشركة صارحت الرئيس بنصف الحقيقة وأنها تصر على تعيين مسؤولين غير اكفاء تتعلق بهم شبهات فساد في مناصب حساسة.

وقال ان القضاء أصدر تساخير للتثبت من مهمّات أداها

أشرف بن عائشة

أعوان بالخارج وان ادارة الشركة تحرّكت اثر ذلك لمطالبة بعض الاعوان بإعادة اموال كانوا قد تسلّموها قبل أكثر من عشر سنوات دون ان يسافروا او يعيدوا ما تسلموا.

وذكّر المُبلّغ بأنه كان وراء اثارة هذا الملف منذ سنة 2016 مشيرا الى انه بات منذ سنة عاطلا عن العمل ورهن المراقبة الادارية بعد ان اضطر الى الخروج في عطلة مرضية مؤكدا انه اصبح مع ذلك عاجزا عن الايفاء بالتزاماته المالية اضافة الى معاناته من فبركة ملفات ضده وهرسلته من طرف ادارة المؤسسة ومن بعض النقابيين.

ولفت الى انه سبق له ان نبّه في شكايات سابقة وجّهها الى رئاسة الجمهورية ووزارة الصناعة من امكانية تعمّد اطراف بالمؤسسة فبركة ملفات ضده لتضييق الخناق عليه ومعاقبته على كل ما بذل للتصدي للتجاوزات المالية والادارية والنقابية.

وقال انه دخل في حلقة مفرغة من الهرسلة الإدارية والتردد المتواصل على اروقة القضاء اضافة الى اقتطاع أكثر من 700 دينار من راتبه.

وختم بالقول ان المبلغين باتوا محاصرين وان أطرافا مما أسماها الإدارة العميقة اضحت تلاحقهم في مسارهم المهني وتتفنّن في التنكيل بهم وتسارع في المقابل الى تتبعهم قضائيا اذا كشفوا عن جانب ضئيل مما يتعرّضون له على أعمدة الصحف بعد سنوات من الانتظار.

مجلس تأديب مريب وطرد تعسفي

يواجه عصام البناني الموظف المعزول من الشركة الوطنية للنقل بين المدن عديد القضايا نتيجة تبليغه عن الفساد في 2017 رغم تأكيد التقرير الصادر عن هيئة الرقابة العامة لاملاك الدولة خلال سنة 2023 كل التجاوزات التي سبق للبناني ان أثارها.

المبلّغ افاد بأنه تفطن بعد تصديه قبل سبع سنوات لصفقة فاسدة لشراء حافلات من قبل الادارة العامة السابقة للشركة الى ان التجاوزات طالت أغلب انشطتها والى أن الفساد شمل التصرف المالي والمناظرات المشبوهة وصفقتي حافلات والات التذاكر اضافة الى الاستيلاء على الوقود.

البناني أضاف انه كان من المبلّغين المتضررين من اغلاق مقر هيئة مكافحة الفساد في اوت 2022 بعد ان تسبب قرار الغلق في حرمانه من الحصول على قرار حماية جاهز منذ شهور لافتا الى ان عديد الخروقات شابت عملية طرده من المؤسسة منها إحالته على مجلس التأديب بينما كان مقيما بمستشفى الرازي للأمراض النفسية.

وأكد انه اضطر الى قطع العلاج بعد انتهاء صلوحية دفتر العلاج مشيرا الى انه دفع ثمن تبليغه عن الفساد من مستقبله المهني الذي قال انه تم تحطيمه كيديا وقبل ذلك من صحته.

يشار الى أن المبلّغ دأب منذ سنوات على مقاضاة عديد المسؤولين بالشركة رافعا بهم منذ سنة 2017 أكثر من 12 شكاية.

وكانت اسبوعية "الشارع المغاربي" قد كشفت في مقالين سابقين عن وجود تجاوزات بالشركة طالت حوكمة مناظرات الانتداب واستغلال حافلة عمومية للاستيلاء على ملك خاص.

هجمة ممنهجة

يوم 11 أوت 2023 صدر بالرائد الرسمي خبر تأسيس الجمعية التونسية للمبلغين عن الفساد من طرف ثلاثة مبلغين هم سامية بوحامدي الطبيبة البيطرية وحاتم البجاوي الموظّف المطرود من شركة مختصة في تصنيع المحوّلات الكهربائية وأشرف بن عائشة الاطار المعزول من شركة السكك الحديدية.

بن عائشة أكد انه تم عزله من المؤسسة بعد رفعه قضايا تتعلق بـ 40 ملفا في شبهات فساد بالشركة وأن من بينها ملفا يكشف تلاعبا بقضايا التعويض عن حوادث القطارات وفبركة وثائق للسطو على مقدرات الشركة.

وأوضح أن الملف الذي كبّد الشركة خسائر ناهزت 10 ملايين دينار بات من انظار القضاء وانه تم ايقاف مديرة واحالة أطراف أخرى على القيس في انتظار محاسبة بقية الضالعين فيه.

واعتبر ان ادارة المؤسسة العمومية لم تسع الى محاسبة المتسببين في الاخلالات وانها سارعت في المقابل الى طرده بدعوى تسريب وثائق ادارية مشدّدا على ان تحقيقات داخلية اثبتت صحة ما كشف عنه.

وطالب بن عائشة بإيقاف ما اسماه مجالس تأديب كيدية ضد عديد المبلغين والاحتكام الى القضاء للنظر في ملفاتهم ومحاسبتهم ان ثبت عكس ما بلغوا عنه داعيا الى التسريع بالغاء كل القرارات الصادرة عن تلك المجالس.

وحث السلطات على الانتباه الى هجمة ممنهجة قال ان المبلغين يتعرّضون اليها عبر رفع عشرات القضايا الكيدية بهم.

وكانت الجمعية قد نظمت أكثر من وقفة احتجاجية لمطالبة وزارة العدل بالتصدي لنهب المال العام عبر التسريع في البت في القضايا المرفوعة من قبل عديد المبلغين وعقد جلسة حوار مع عدد منهم لتدارس الأوضاع التي وصفوها بـ«الخطيرة في ظل هرسلتهم وملاحقتهم».

واقترح بن عائشة تمكين المبلّغين من ضمانات اجتماعية مع ضرورة نقلتهم الى مؤسسات أخرى حتى لا يكونوا عرضة للتشفي والتنكيل اضافة الى رد الاعتبار إليهم لنشر ثقافة مكافحة الفساد واعلاء مبدأي النزاهة والشفافية.

وتطرّق في جانب آخر إلى ضلوع ادارات تفقد وتدقيق في التستر على الفساد صلب مؤسسات عمومية مؤكدا على سبيل المثال ان تقريري تفقد تم انجازهما سنة 2021 بشركة السكك الحديدية اثبتا كل ما سبق له ان بلّغ عنه من فساد في ملف التعويضات عن حوادث القطارات.

واستغرب من عدم مبادرة ادارة الشركة بمد السلطات الامنية بالتقريرين خلال تحريها في الملف مطالبا في نفس السياق بتطهير التفقديات من الفاسدين ثم تمكينها من استقلالية القرار.

المتحدث ختم حديثه لـ «الشارع المغاربي» متسائلا عن تأخر البت في قضايا الفساد التي كشف عنها عديد المبلغين معتبرا أن ذلك يكرّس عادة الإفلات من العقاب وخدمة مافيات ولوبيات متغلغلة في الادارة.

الهوية الفلسطينية بين ادوارد سعيد وسلمان رشدي

بقلم : حسونة المصباحي

في عام 1986، أي قبل سنة من اندلاع انتفاضة الحجارة" الشهيرة، التقى الكاتب البريطاني من أصل هندي، سلمان رشدي، المفكر الفلسطيني الكبير ادوارد سعيد الذي كان آنذاك يتمتع بشهرة عالمية واسعة بعد صدور كتابه المثير للجدل حول الاستشراق. وتلك الشهرة أتاحت له اقتحام المنابر الإعلامية الأمريكية الكبيرة للتعريف بالقضية الفلسطينية. وفي تلك الفترة كان بنيامين نتنياهو سفيرا لبلاده في العاصمة الأمريكية واشنطن. وعندما دعته قناة تلفزيونية للتحاور مع ادوارد سعيد حول الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، رفض ذلك قائلا :"أرفض الجلوس في نفس القاعة مع إرهابي". وبسبب مواقفه المدافعة عن قضية شعبه، تلقى صاحب كتاب "الاستشراق" العديد من التهديدات من منظمات مساندة لإسرائيل مثل "الجمعية الأمريكية للدفاع عن اليهود".

وفي البداية، يُقدّم سلمان رشدي ادوارد سعيد على النحو التالي:" بالنسبة لبعضنا الذين ينظرون إلى الصراع بين التوصيفات الشرقية والغربية للعالم كما لو أنها صراع داخلي وخارجي، يكون صوت ادورد سعيد مهما بصفة خاصة. أستاذا في جامعة "كولومبيا" بنيويورك، ومؤلفا للعديد من الأطروحات الأدبية، منها بالخصوص ما هو متعلق بجوزيف كونراد، يمكن القول أن ادوارد سعيد يختصّ بميزة قراءة العالم بانتباه شديد تماما مثلما يفعل مع الكتب". وعن كتاب ادوارد سعيد:

After The Last Sky

يكتب سلمان رشدي قائلا:" بعد السماء الأخيرة، ليست هناك سماء. وبعد الحدود الأخيرة، ليس هناك وطن". ويضيف سلمان رشدي:" القسم الأول من الكتاب الذي بعنوان "دول" تأمّل مثير ومشوب بالعاطفة حول التهجير، وغياب الوطن، والمنفى، والهوية. وهو يتساءل مثلا : في أيّ معنى يمكن أن نقول إن الفلسطينيين موجودون. هل نحن موجودون؟ وأية حجة لنا لإثبات ذلك؟ وكلما ابتعدنا عن فلسطين، وعن ماضينا، إلاّ وأصبح وضعنا أشدّ هشاشة، ويزداد كياننا تهشّما، وحضورنا تقطّعا. متى أصبحنا شعبا؟ ومتى لم نعد كذلك؟ أو هل أننا بصدد أن نصبح شعبا؟ وما هي العلاقة بين هذه الأسئلة الكبيرة وعلاقتنا الحميمية مع كل واحد ومع الآخرين؟". ويعتبر سلمان رشدي أن كتاب :"ما بعد السماء الأخيرة" يهتم أساسا بمعنى التجربة الفلسطينية من خلال الأعمال الفنية التي يبدعها الفلسطينيون. ويرى ادوارد سعيد أن المحن والمصائب المنجرّة عن التهجير، وعن اغتصاب الأرض، وعن غير ذلك تنعكس في كل هذه الأعمال شكلا ومضمونا. كما يرى أن تاريخ فلسطين حوّل الفلسطيني الذي كان يعيش داخل وطنه، إلى فلسطيني يعيش خارجه. مع ذلك، لم يفقد الفلسطينيون المهجّرون، والذين أجبروا على ترك منازلهم وقراهم ومدنهم للعيش في مخيّمات اللاجئين هويتهم وثقافتهم وتقاليدهم، بل هم ازدادوا تشبثا وتعلقا بها. وفي القسم الأخير من الكتاب، يبرز ادوارد سعيد أن المنفى الفلسطيني له معنى يتناقض تماما مع معنى المنفى في الغرب الذي غالبا ما يُحيل إلى حالة أدبية وبورجوازية. أما في المعنى الفلسطيني فهو يعني التهجير الاجباري والعنيف لشعب بأسره. ثم يكتب ادوارد سعيد قائلا:" إن وضعنا الأشدّ أصالة يُعبر عن نفسه في طريقة تنقلنا من مكان إلى آخر. ونحن مهاجرون أو ربما كائنات هجينة إلاّ أننا لا ننتسبُ إلى أي واحدة من الأوضاع التي نتحرك فيها. إنه التواصل الأشد عمقا لحياتنا كأمة في المنفى ودائما في حالة عبور".

ويشير ادوارد سعيد في حواره مع سلمان رشدي إلى أن وضع الفلسطيني في نيويورك، وفي الولايات المتحدة بصفة عامة، معقّد للغاية لأن أغلب المهتمين بفلسطين وبالفلسطينيين من بين الأمريكيين، ليست لهم أية تجربة مباشرة. لذا لا يفكرون إلاّ انطلاقا من ما تقدمه وسائل الاعلام التي تربط الفلسطينيين باختطاف الطائرات،وبالعمليات والجرائم الإرهابية من دون أن تبرز أدلة على ذلك. وحين يطرح القضية الفلسطينية للنقاش، يُلاحظ أن محاوريه يهتمون بعمله كأستاذ للغة الإنجليزية. وهناك مفكرون ومثقفون أمريكيون نادرون مثل نعوم شومسكي وألكسندر كوك بورن يريدون طرح موضوع القضية الفلسطينية بجدية إلاّ أنهم يصطدمون بعراقيل كثيرة. بل قد يحدث أن ينعتهم البعض ب"المجانين".

وعن سؤال: أنت تقول بإنك لا تريد أن تتحدث عن "دياسبورا فلسطينية"، لماذا؟ يُجيب ادوارد سعيد قائلا:" أحدهم كتب لي من القدس : نحن "يهود العالم العربي". إلاّ أنني أعتقد أن تجربتنا مختلفة تماما بحيث لا يمكن أن يكون هناك تطابق. ربما لأن بُعْد قضيتنا أقل تواضعا. وعلى أية حال، أعتقد أن فكرة الوطن المنقذ لا تتطابق مع رؤيتي الشخصية للأشياء".

وحين يردّ عليه سلمان رشدي قائلا: وإذن دعْني أطرح سؤالك. هل أنتم موجودون؟ وإذا ما كان الأمر كذلك، فأية دلائل وأية حجج؟ وبأي معنى توجد أمة فلسطينية؟ يجيب ادوارد سعيد : قبل كل شيء بمعنى أن كثيرا من الناس لهم ذكريات، أو انهم يُظهرون اهتماما كبيرا بخصوص النبش في الماضي بحثا عن إشارة تدلّ على مجموعة مُنْسجمة. وكثيرون أيضا-خاصة جامعيون من الجيل الجديد-يحاولون ان يكتشفوا أشياء تتصل بالتجربة السياسية والثقافية للفلسطينيين، والتي تُميزهم عن بقية العالم العربي. ومن ثم، تقليديا، يتمّ إنشاء منظمات فلسطينية طبق الأصل، في أماكن غير متوقّعة مثل أستراليا وأمريكا الجنوبية. ومن الغريب مثلا أن يأتي فلسطينيون للعيش في " يونغستاون"، أو في "أوهايو" ، وهي مدينة لا أعرفها، لكن يمكن تصورها بوضوح، ويظلون على صلة بآخر الأحداث في بيروت، أو بالخلافات الراهنة بين "الجبهة الشعبية" و"فتح" من دون أن يعرفوا شيئا عن عُمْدة المدينة، ولا عن الطريقة التي انتخب بها. وفي النهاية يمكن أن نُلاحظ في صور جان موهر الموجودة في كتابي "بعد السماء الأخيرة" أن الشعب الفلسطيني يتنقل كثيرا ، وأنه يحمل أمتعته دائما من مكان إلى آخر. وهذا يمنحنا معنى إضافيا لهويتنا كشعب. ونحن نعلن عن ذلك بصوت عال، وقويّ جدا ومصمّ للآذان خصوصا وأنهم لم يتمكنوا من التخلص منا. إنه إحساس هائل-يمكنكم أن تصفوه بالإيجابي أو بالسلبي-أن ينهض الفلسطيني كل صباح ليقول:" إذن...هم لا يتمكنوا من تصفيتي". ويقرّ ادوارد سعيد أن هناك فترة لم يُحسن فيها الفلسطينيون كتابة تاريخهم والعناية به ويقول :" من المهم جدا أن نلاحظ أن ما كان يكتبه الفلسطينيون حتى سنة1948، كان يعبّر عن خوفهم من فقدان وطنهم. والتوصيف الذي يقدمون به المدن والأماكن الأخرى، يشبه مُرافعة أمام محكمة. لكن بعد تشتّت الفلسطينيين، كانت هناك فترة صمت مُريبة تواصلت إلى أن ظهر في الخمسينات، وخصوصا في الستينات أدب فلسطيني. ونظرا لأهميته، فإنه من الغريب أن لا نعثر على أي قصة من قصص التاريخ الفلسطيني مُجسّدة في عمل أدبي. فكما لو أنه لم يكن هناك وقت لإنجاز ذلك، أو لكأن العدو -أي إسرائيل-يسعى لحرماننا من أرشيفنا. وبالنسبة لي، أعتقد أن الصورة الأشد ترويعا في عام1982، هي صورة الإسرائيليين وهم يحملون في باخرة أرشيف مركز الدراسات الفلسطينية في بيروت".

ومتحدثا عن بعض الكتاب الفلسطينيين الذين انعكست في أعمالهم المأساة الفلسطينية، يُضيف ادوارد سعيد قائلا:" هناك تجارب فلسطينية مختلفة لا يمكننا أن نُجمّعها في تجربة واحدة. وأنا لست مختصّا في الأدب الفلسطيني، ولا في الأدب العربي بصفة عامة. لكني مفتون بالتأثير الذي أحدثته رواية" رجال تحت الشمس" لغسان كنفاني التي لا ندري إن كانت تتحدث عن الماضي أم عن الحاضر. وواحدة من رواياته وهي بعنوان" عائد إلى حيفا"، تروي قصة عائلة نزحت في عام1948، لتستقر في رام الله. ثم يعود أفراد تلك العائلة بعد ذلك إلى حيفا لزيارة البيت القديم، ويلتقون بالابن الذي تركوه هناك في ساعة الفرار الكبير والذي تبنته عائلة إسرائيلية. من خلال هذه الرواية، هناك شعور قوي بحركة زمنية لامتناهية فيها يتداخل الحاضر والماضي والمستقبل من دون أن يلتقوا في نقطة مركزية واحدة".

وعن حضور النساء في فيلم: "الذاكرة الخصبة" للمخرج ميشال خليفي، يقول ادوارد سعيد:" لقد كان لهذا الفيلم (يقصد الذاكرة الخصبة) تأثير قوي عليّ. ومن بين المشاهد المثيرة تلك التي تتكلم فيها امرأة عجوز هي في الحقيقة خالة ميشال خليفي. هي تملك قطعة في الناصرة عليها تعيش عائلة يهودية منذ سنوات طويلة. وذات يوم جاء صهرها ليخبرنا أن العائلة اليهودية تريد شراء قطعة الأرض لتصبح ملكا لها. وعلى ذلك ترد العجوز قائلة:" الآن أنا لا أرض لي. لكني أعلم ما سيحدث. كنا هناك. ثم جاء اليهود، وآخرون سيأتون بعدهم. أنا أملك الأرض وسوف أموت لكن الأرض سوف تظل رغم رواح وجيء الناس". ويرى ادوارد سعيد أن هذا المشهد يدل على الحضور الدائم للمرأة في الحياة الفلسطينية.

وعن الصهيونية، يقول ادوارد سعيد:" بحسب رأيي، أعتقد أن المسألة الصهيونية هي حجر الزاوية في الحكم على السياسة المعاصرة. كثيرون من أولئك الذين ينتقدون الميز العنصري وتدخّل الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا الوسطى ليسوا مُستعدين لمناقشة الصهيونية، وما تفعله بالفلسطينيين . أن تكون ضحية لضحية أخرى يجعلنا بالفعل أمام صعوبات خارقة. لأنه إذا ما نحن سعينا للحديث عن الضحية الكلاسيكية لكل العصور-اليهودي وحركته- فإن تقديم الضحية الثانية لنفسها كما لو تتماثل معها، يكون بمثابة كوميديا هزلية. أما الآن فهناك بعد آخر مثلما نُعاينُ ذلك في غزارة الكتب والمقالات التي يبدو فيها كل نقد لإسرائيل كما لو أنه قناع لمعاداة السامية، وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية حيث كل ما ينطق به العربي المسلم يتمّ الحاقه بمعاداة السامية الغربية أو الأوروبية الكلاسيكية. وإذن أصبح من الضروري التركيز على التاريخ، وعلى المضمون الخاص للصهيونية حين نتحدث عن ما تمثله بالنسبة للفلسطيني"

هل كان فشل مشروع الوحدة بين تونس وليبيا وراء قطع العلاقات الديبلوماسية ؟

بقلم : منصف سلطاني (أستاذ وباحث في التاريخ المعاصر)

توترت العلاقات الديبلوماسية بين تونس ومصر منذ نهاية الخمسينات بسبب دفاع الزعيم جمال عبد الناصر عن صالح بن يوسف الذي لجأ اليه بعد انتصار الشق البورقيبي وحصول البلاد على استقلالها . ولجأ الأستاذ صالح بن يوسف إلى مصر لما طلب إلى المحاكمة من طرف الدولة التونسية بسبب الفتنة التي أحدثها وتخوين الزعيم بورقيبة وأنصاره لكن ذلك لم يمنع عودة العلاقات التونسية المصرية إلى الانفراج خلال الستينات غداة الاحتفال بعيد الجلاء ببنزرت إذ حضر الرئيس المصري مراسم الاحتفال بنفسه لتعود العلاقات إلى مربع القطيعة بعد الخطاب الذي ألقاه الزعيم بورقيبة في أريحا 1965.

والمتأمل في طبيعة العلاقات بين تونس وليبيا في عهد العقيد معمر القذافي يلاحظ اختلافا تاما عن نظيرتها المصرية. وللتذكير فإن معمر القذافي تمكن من الوصول إلى السلطة في ليبيا بواسطة انقلاب عسكري على الملك إدريس السنوسي عكس نظيره الزعيم الحبيب بورقيبة الذي تولى السلطة بطريقة سلمية عبر الانتخابات في محطات مختلفة .

وكانت العلاقات التونسية الليبية في بداياتها عادية إلى حدود سنة 1974 ، لكن بوادر التوتر انطلقت منذ سنة 1972 عند زيارة العقيد معمر القذافي وواقعة البلماريوم الشهيرة . وبدت خطابات القذافي انذاك للزعيم بورقيبة مجرد شعارات رنانة تخلو من العقلانية وهو يتحدث عن القومية العربية وأحلام الوحدة. وتطرق الزعيم بورقيبة إلى الحديث غاضبا عن حاجة الأقطار العربية إلى الدول الغربية التي حققت تقدما تكنولوجيا وعلميا ولعل خير دليل على ذلك ما قاله الرئيس بورقيبة للقذافي :" تتحدى أمريكا تاكل طريحة ".

لم يعجب العقيد معمر القذافي بخطاب بورقيبة الذي تميز بالواقعية والعقلانية في آن واحد حيث بين فيه بورقيبة أن الوحدة العربية مجرد حلم في ظل التأخر العلمي الذي تشهده الدول العربية.

اتفاقية الوحدة بين تونس وليبيا وتوتر العلاقات الديبلوماسية

كان الزعيم بورقيبة في جل خطاباته السياسية يعتبر الوحدة القطرية بديلا عن الوحدة العربية إذ كرر في مناسبات عديدة عبارتي " الأمة التونسية " و" القومية التونسية " ، فهو يدرك جيدا أن الوحدة العربية تظل فكرة طوباوية رغم بعض الأسس المشتركة مثل اللغة والدين .

لكن الملفت للانتباه في هذا السياق هو ما وقع سنة 1974 في جربة ونعني اتفاق الزعيم الحبيب مع العقيد معمر القذافي على مشروع الاندماج بين تونس وليبيا في دولة واحدة تسمى "الجمهورية العربية الإسلامية"، لكن هذا الاتفاق لم يدم إلا 24 ساعة بفضل معارضة الوزير الأول التونسي الهادي نويرة.

وجاء مشروع الوحدة بين البلدين في إطار تمسك العقيد معمر القذافي بأحلامه الثورية الوحدوية تأثرا بالزعيم المصري جمال عبد الناصر الذي تمكن سنة 1958 من تحقيق وحدة بين مصر وسوريا في إطار دولة

لحظة توقيع اتفاقية جربة بين الزعيم بورقيبة والعقيد معمر القذافي

واحدة سميت " الجمهورية العربية المتحدة " ودامت ثلاث سنوات لتنتهي إثر حدوث انقلاب عسكري في سوريا.

وإن ما يثير التساؤل في هذا السياق هو ما الذي غير موقف الزعيم بورقيبة من رفض الوحدة واعتبارها فكرة طوباوية إلى القبول بمشروع " الجمهورية العربية الإسلامية " بجربة بعدما رفض ذلك في خطاب البلماريوم وسخر من أفكار العقيد القذافي التي بدت بعيدة كل البعد عن الواقعية ؟

عديد السياسيين التونسيين الذين عاصروا الرئيس الحبيب بورقيبة أكدوا أن إعلان الوحدة بين تونس وليبيا كان مجرد مؤامرة وقع جر بورقيبة إليها من بعض المحيطين به في القصر خلال غياب الوزير الأول الهادي نويرة الذي كان في زيارة عمل إلى طهران.

وقرر الزعيم بو قيبة بعد نقاش طويل مع وزيره الأول التراجع عن مشروع الوحدة بين البلدين ولم يتمكن العقيد معمر القذافي من إبقاء المشروع قائما على أرض الواقع حتى أنه سافر إلى جنيف ليلتقي بورقيبة ويحاول اقناعه بتنفيذ ما جاء في اتفاق جربة 1974 .

وأدى فشل مشروع الوحدة إلى توتر العلاقات الديبلوماسية بين تونس وليبيا وبدأ القذافي في إعداد مؤامرت للإطاحة بالنظام البورقيبي.

مؤامرة القذافي على تونس : أحداث قفصة 1980 نموذجا

تتمثل أحداث مدينة قفصة 1980 في قدوم مجموعة مسلحة إلى المدينة قبل القيام بالعملية بأيام معدودات واستقرت بمنزل في أحد أحياء المدينة لتجميع الاسلحة والتدرب.

وتعرفت هذه المجموعة على المدينة وطرقاتها ومداخلها جيدا قبل القيام بتنفيذ العملية.

وكان معظم القائمين بهذه العملية تونسيين يعملون بليبيا في البناء والدهن والنجارة والفلاحة وغيرها من المهن. كما لعب انصار صالح بن يوسف دورا في هذه المؤامرة المسلحة على تونس. ولم يكن الاختيار على مدينة قفصة أمرا اعتباطيا بل تم لعدة دوافع أهمها قربها من الحدود الجزائرية والليبية فهي لا تبعد عن الجزائر إلا 100 كلم وعن ليبيا 70 كلم فقط . كما تعد المدينة معقل أهم المعارضين للنظام البورقيبي مثل القائد الأزهر الشرايطي الذي تم اعدامه بعد كشف ملابسات المحاولة الانقلابية سنة 1962 والزعيم النقابي أحمد التليلي الذي اختلف مع الرئيس بورقيبة حول مسألة تكريس قيم الديمقراطية والتعددية بتونس .

وبعد القضاء على منفذي العملية المسلحة على قفصة من طرف الجيش التونسي وقوات الشرطة والحرس الوطني انكر نظام العقيد معمر القذافي تورطه في عملية قفصة المسلحة وقال وزير الخارجية الليبي انذاك :"الجماهيرية الليبية غير متورطة بصفة مباشرة أو غير مباشرة في الأحداث الجارية بمدينة قفصة ".

وختاما، كانت عملية قفصة المسلحة 1980 من أهم المؤامرات التي أعدها العقيد معمر القذافي للإطاحة بالنظام البورقيبي بتونس . وتسبب ذلك في قطع العلاقات الديبلوماسية بين البلدين من 1980 إلى 1987 تاريخ تولي الوزير الأول زين العابدين بن علي السلطة في تونس . وكانت تجمع بين الرئيس السابق بن علي والعقيد القذافي علاقات طيبة منذ السبعينات بل يقال إنه كان عين القذافي في تونس رغم ان الامر يبقى غير واضح لغياب أدلة دقيقة.

المصادر والمراجع

خطاب البلماريوم 1972

القليبي، (الشاذلي) ، أضواء من الذاكرة : الحبيب بورقيبة ، دار ديميتير ، تونس ، 2014

بن يوسف ، (عادل) ،" حتى لا ننسى المحاولة الانقلابية بقفصة (-26 27 جانفي 1980) : قراءة في الأسباب والتداعيات ، ليدرز ،تونس ، 27 جانفي 2022 .

بنية الشعبوية

د.نوفل حنفي

يهدف هذا المقال إلى البحث في البنية المشتركة بين جميع الخطابات الشعبوية التي تعاظم تأثيرها في الساحة الفكرية والسياسية في تونس وفي العالم، وذلك بسبب أزمة العولمة وتفاقم مشاكل العدالة الاجتماعية والديمقراطية التمثيلية وظهور القضايا الأمنية والهوياتية المرتبطة بحقوق المهاجرين، التي سارع التيار اليميني في العالم إلى استغلالها لتوظيفها في مصالحه السياسية والانتخابية. وقد حاول التيار اليميني في العالم أن يستغل هذا السياق الاجتماعي والسياسي والثقافي بالاعتماد على نوع من الشعبوية اليمينية التي ترتكز على معاداة النخب الثقافية والسياسية والمجموعات الخارجية مثل المهاجرين، وتعزيز سلطة الدولة والحفاظ على القيم التقليدية، والتركيز على قيم النظام والأمن والحفاظ على الهوية الوطنية، التي انزلقت نحو نوع من العنصرية تجاه الأجانب في العديد من دول العالم بدرجات متفاوتة، وهو ما دفع التيار اليساري في العالم إلى تبني «شعبوية بديلة» تركز على معاداة الأثرياء والطبقات المرفهة ومكافحة الفساد الاقتصادي.

كيف نفسر الاختلاف بين الشعبوية اليمينية والشعبوية اليسارية؟ ألا تخفي هذه الاختلافات النظرية بنية مشتركة بين جميع التيارات الشعبوية مهما كانت سياقاتها الاجتماعية والسياسية والثقافية؟

تستمد الشعبوية أصلها من الكلمة اللاتينية «populus»(1)، التي تعني «الشعب». وقد ظهر هذا المفهوم في سياقات مختلفة، ورغم عدم وجود مصطلح «الشعبوية» في العصور القديمة، فإن الحركات والأشخاص والسياسيين استخدموا خطابات قريبة من الشعبوية من خلال التركيز على مصالح الشعب ضد مصالح النخب. على سبيل المثال، كان الأباطرة الرومانيون مثل تيبيريوس غراكوس يسعون للدفاع عن مصالح الطبقات الشعبية ضد النخب الأرستقراطية.

وفي الولايات المتحدة، ارتبطت الشعبوية في القرن التاسع عشر بحزب الشعب (أو الحزب الشعبوي). وكانت الحركة الشعبوية تتكون بشكل أساسي من المزارعين والعمال الذين عارضوا الشركات الكبرى والسياسات الاقتصادية التي تنحاز إلى النخب الصناعية. أما الشعبوية الروسية التي ظهرت في نفس الفترة، فقد كانت شعبوية زراعية. وقد تم استخدام مصطلح «الشعبوية» (نارودنيشتفو، narodnichestvo) لأول مرة في روسيا للإشارة إلى حركة كانت تهدف إلى تمثيل مصالح الفلاحين ضد الأرستقراطية والحكومة القيصرية(2).

في أمريكا اللاتينية، اعتمد قادة مثل خوان بيرون Juan Perón في الأرجنتين وغيتوليو فارغاس Getúlio Vargas في البرازيل خطابات شعبوية لتحفيز الجماهير وتعزيز سلطاتهم، حيث قدموا أنفسهم كمدافعين عن الشعب ضد النخب. وظهرت حركات شعبوية أيضًا في أوروبا استجابةً للأزمات الاقتصادية والتغيرات الاجتماعية السريعة، وغالبًا ما عارضت هذه الحركات النخب السياسية والاقتصادية، داعية إلى العودة إلى القيم التقليدية وتعزيز السيادة الوطنية(3).

ومع أن الشعبوية عرفت انتعاشة كبيرة في بداية القرن الحادي والعشرين نتيجة لعوامل متعددة مثل العولمة، وأزمة الاقتصاد عام 2008، وارتفاع مستويات عدم المساواة، فإن وجودها في العالم العربي كان متأخرًا، خاصة وأن كلمة «شعب» بالمعنى الحديث والمعاصر ليست شائعة في اللغة العربية مقارنة بكلمات مشابهة مثل «الأمة» و«القوم» و«الأهل». حتى أن النص القرآني لم يستعملها إلا مرة واحدة في صيغة الجمع بشكل مختلف عن دلالتها الحديثة: «شعوبًا وقبائل».

والحقيقة أن البلاد التونسية كانت سباقة في الاعتماد على كلمة «شعب»، خاصة من خلال عبد العزيز الثعالبي في كتابه «تونس الشهيدة»، وأيضًا الشاعر أبو القاسم الشابي الذي ألهم الحركة الاحتجاجية التي عرفتها تونس في 17 ديسمبر 2010، مما شكل سياقًا مناسبًا لمزيد من بلورة الشعبوية التونسية. وقد ظهرت الشعبوية التونسية خلال حركة التحرر الوطني، وعرفت ديناميكية جديدة خلال الاحتجاجات على الرئيس بن علي، وما زالت مستمرة إلى العصر الراهن بفضل استفادتها من أزمة الانتقال الديمقراطي وغياب ثقة التونسيين في النخب السياسية والثقافية والمالية.

يمكن القول إن الشعبوية التونسية التي نشطت في السنوات الأخيرة كانت في أساسها شعبوية يمينية، رغم أنها لم تهمل خاصية هامة من خصائص الشعبوية اليسارية، وهي معاداة الأثرياء ورجال الأعمال. كيف نميز بين الشعبوية اليمينية والشعبوية اليسارية؟ تختلف الشعبوية اليمينية عن الشعبوية اليسارية في المفاهيم التالية:

1.طبيعة الأعداء :

تركز الشعبوية اليسارية عادةً على معاداة النخب الاقتصادية والمالية(4)، في حين أن الشعبوية اليمينية تستهدف غالبًا النخب الثقافية والسياسية، بالإضافة إلى مجموعات خارجية مثل المهاجرين. وإذا كانت الشعبوية اليسارية معروفة بمكافحة الفجوات الاقتصادية واحتكار الثروة من قِبل أقلية من المواطنين في الوقت الذي يعاني فيه الشعب من البطالة والفقر، فإن الشعبوية اليمينية تركز على القضايا الهووية والوطنية. وقد تأخذ الشعبوية اليمينية بعدًا محافظًا يحرص على حماية مقدسات الشعب «شعبوية دينية» والقيم التقليدية، وغالبًا ما تكون معارضة للعولمة والتيارات الثقافية التي تُعتبر غريبة عن الثقافة التقليدية.

2. الأهداف السياسية:

تهدف الشعبوية اليسارية إلى إعادة توزيع الثروات بين الطبقات والمناطق وتوسيع الحقوق الاجتماعية، مستنكرةً احتكار رؤوس الأموال للثروات الطائلة وللقطاعات الاقتصادية «الاقتصاد الريعي»، في الوقت الذي يعاني فيه الفقراء والعاطلون عن العمل من الفقر والتهميش. أما الشعبوية اليمينية، فلا تهتم بالأهداف الاقتصادية والاجتماعية بقدر ما تركز على تعزيز سلطة الدولة والسيادة الوطنية والحفاظ على القيم التقليدية، وهو ما قد يؤدي إلى عدم الاعتراف بحقوق المهاجرين إذا تناقضت حقوقهم مع أمن البلاد واستقرارها. ففي حين تسعى الشعبوية اليسارية إلى تغيير الهياكل الاقتصادية وتعزيز العدالة الاجتماعية، نجد أن الشعبوية اليمينية تحرص على تعزيز الحدود الوطنية وحماية المؤسسات من اللوبيات الداخلية والخارجية وترويج السياسات المحافظة(5).

3القيم والأيديولوجيا:

تركز الشعبوية اليسارية على قيم المساواة والتضامن والعدالة الاجتماعية، بينما ترتبط الشعبوية اليمينية غالبًا بقيم النظام والأمن والحفاظ على الهوية الوطنية(6). تهدف المساواة، كقيمة أساسية، إلى تقليل الفوارق الاقتصادية والاجتماعية من خلال سياسات إعادة التوزيع وتدخل الدولة المتزايد. أما التضامن، فيتمثل في دعم الفئات المهمشة والضعيفة والترويج لسياسات اجتماعية شاملة، وقد يمتد إلى ما وراء الحدود الوطنية من خلال دعم القضايا العادلة، مما يؤكد على أن العدالة تبقى قيمة مركزية في الشعبوية اليسارية، وتشمل محاربة الفقر والإقصاء، والتشكيك في الهياكل والامتيازات التي تكرس الظلم وغياب تكافؤ الفرص.

في المقابل، تبقى هذه القيم المذكورة ثانوية في الخطاب الشعبوي اليميني، الذي يدعو إلى إجراءات صارمة للحفاظ على النظام والانضباط الاجتماعي،

وسياسات تعزيز سلطة الدولة ومؤسسات الأمن، مع التركيز على الهوية الوطنية ودعم التقاليد والعادات والقيم الوطنية في مواجهة العولمة والتأثيرات الخارجية.

4أساليب التحشيد

تتوجه الشعبوية اليسارية إلى الحركات الاجتماعية والطبقات المحرومة والمناطق الداخلية المهمشة، بينما تحشد الشعبوية اليمينية بشكل متكرر المشاعر الوطنية وحركات معارضة للهجرة(7). تختلف استراتيجيات التحشيد بناءً على الأهداف المطلوبة؛ حيث تعتمد الشعبوية اليسارية على الشبكات الاجتماعية الفاعلة مثل النقابات، وجماعات الدفاع عن الحقوق المدنية، والمنظمات القاعدية، والحركات البيئية. في المقابل، تستخدم الشعبوية اليمينية الخطابات الوطنية وحماية الصناعات المحلية، معولة على التكامل بين الأدوات التقليدية والأدوات الرقمية للتواصل. بمعنى أنها تعول على خطابات تبرز ضرورة حماية الهوية الوطنية، والثقافة، والقيم التقليدية من التهديدات الداخلية أو الخارجية.

كيف يمكن أن نصل إلى بنية مشتركة بين كل هذه التيارات الشعبوية التي تختلف من حيث السياق الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي؟ هذه مهمة صعبة تحتاج منا البحث عن الحد الأدنى من الخصائص المشتركة بين الشعبوية اليسارية والشعبوية اليمينية لكي نقترب من التعرف على بنية الشعبوية. تتركب بنية الشعبوية من الخصائص التالية:

1الصراع الثنائي بين «نحن وهم»

تلتقي معظم التيارات الشعبوية، وخاصة الشعبوية اليسارية واليمينية، حول الصراع الحاد بين «نحن» (أي الشعب) و«هم» (أي النخب الاقتصادية والسياسية والثقافية). وتعتبر هذه المعارضة الثنائية من العناصر الأساسية في الخطابات الشعبوية، حيث يتميز الشعبويون بالهجوم على النخب التي يرونها فاسدة، غير فعالة، أو غير وفية لاهتمامات الشعب.

2تعبئة الإحباطات الاجتماعية

تعمل الشعبويات اليسارية واليمينية على تعبئة الإحباط والاستياء الناتج عن المطالب الاجتماعية غير المُلباة. عادةً ما يُستخدم هذا الإحباط كرافعة من أجل تعبئة الدعم وجذب الانتباه إلى الظلم الذي يعاني منه أفراد الشعب نتيجة فشل النخب الاقتصادية والسياسية والثقافية في تطبيق وعودها. المشكلة هي أن التداول الديمقراطي في أوروبا وفي تونس لم يُحدث أي تغيير في أوضاع الشعب، مما أفرز شعورًا بالإحباط الاجتماعي، الذي يُعتبر أرضية مناسبة لكل مشروع شعبوي.

3استخدام العلامات الفارغة

تعوّل جميع أشكال الشعبوية على علامات فارغة وشاملة مثل «الشعب» أو «الأمة» لتوحيد المطالب المختلفة التي تنادي بها الطبقات والقطاعات المهنية والعاطلين والمتقاعدين. من عناصر قوة التيار الشعبوي أنه لا يمثل أي فئة محددة من الشعب، ولذلك يصعب تصنيف الزعيم الشعبوي من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية، لأنه يتماهى مع الشعب، مما يسمح له بمرونة خطابية لا يضاهيها أي زعيم آخر. إلى جانب قدرته العجيبة على جمع المجموعات المتباينة داخل مجموعة موحدة، خلافًا لبقية الزعماء الآخرين الذين يُعرفون بانتماءاتهم الجماعية والإيديولوجية، مما يجعلهم غير قادرين على تمثيل الشعب بشكل شامل.

*الزعيم الشعبوي:

يتميز الزعيم الشعبوي بقدرته الكبيرة على استغلال الصراعات الحادة التي نشأت بين النخب خلال المعارك الانتخابية السابقة، مما أدى إلى حالات من غياب الثقة في النخب والمؤسسات القائمة، بل إلى «كراهية الديمقراطية»، وفق تعبير جاك رانسيار (Jacques Rancière). وهذا يفسر الحذر الكبير من النخب، بما في ذلك النخب التي تتزلف له وتبحث عن الفرص لتقديم فروض الطاعة. عادة ما يحرص الزعيم الشعبوي على أن تكون كلماته فارغة لا محتوى لها، وذلك حتى يكون لديه القدرة على ملئها بمحتويات مختلفة وفقًا للسياقات السياسية والاجتماعية، وهي كلمات «فارغة» بمعنى أنها لا تحمل معنى ثابتًا أو مستقرًا. وبهذا الشكل، تصبح أداة قوية لبناء هويات سياسية مرنة وشاملة. وهذا ما جعل أكبر منظري الشعبوية، إرنستو لاكلاو (Ernesto Laclau)، في كتابه «العقل الشعبوي» (2005)، يعتبر أن «الشعب» هو مصطلح فارغ يمكن استخدامه من قبل مجموعات سياسية مختلفة لتمثيل أفكار ومطالب متنوعة، وأحيانًا متناقضة، ويمكن تعبئته ليشمل نضالات اجتماعية مختلفة تحت راية واحدة.

.....

(1)Jan-Werner Müller, «What Is Populism?» (2016)

(2)Cas Mudde et Cristóbal Rovira Kaltwasser, «Populism: A Very Short Introduction» (2017).

(3) Crettiez, Xavier. «Les populismes européens : entre autoritarisme et critique démocratique.» Critique internationale, vol. 46, no. 1, 2010, pp. 163-176.

(4) Chantal Mouffe, «Pour un populisme de gauche» (2018); Jan-Werner Müller, «What Is Populism?» (2016)

(5) Cas Mudde et Cristóbal Rovira Kaltwasser, «Populism: A Very Short Introduction» (2017).

(6) Chantal Mouffe, «Pour un populisme de gauche» (2018); Jan-Werner Müller, «What Is Populism?» (2016).

(7) Cas Mudde et Cristóbal Rovira Kaltwasser, «Populism: A Very Short Introduction» (2017).

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال» شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

mahindra Rise
SUN & FUN
UN ÉTÉ EXCEPTIONNEL !
DU 01 AU 31 AOÛT
PLEIN D'AVANTAGES & DE CADEAUX
AUTOMOBILES
WWW.MAHINDRA-TUNISIE.COM
APPELEZ NOUS AU 70 130 130

ماذا يعطّل المفاوضات بين «حماس» وإسرائيل؟

الحبيب القيزاني

ما هي شروط نتنياهو للموافقة على وضع حدّ لإطلاق النار والتوقيع على اتفاق في ذلك مع "حماس"؟
ما موقف الإدارة الامريكية الحالية من انسداد أفق التفاوض؟ ما موقف القاهرة أحد الوسطاء في المفاوضات أو لماذا انقلب موقفها من رفض بقاء قوات إسرائيلية في محور فيلادلفيا الى الموافقة على ذلك؟ ما دور الرئيس الأمريكي جو بايدن في ذلك؟ ولماذا يرفض السنوار شروط نتنياهو؟ هل لذلك علاقة بسيناريو حرب إقليمية يرى أنها تصبّ في صالح محور المقاومة بالمنطقة؟ وزيادة على ذلك أين هو الردّ الإيراني؟ هل لتأخّره علاقة بالجهود المبذولة لانجاح المفاوضات وما سبب إصرار واشنطن على ضرورة نجاحها؟

دبابات اسرائيلية في محور فيلادلفيا

نتنياهو

السنوار

ان سبب تعطّل سير المفاوضات هو إصرار كل من "حماس" وتل أبيب على التشبث بموقفه. موقع صحيفة "معاريف" الإسرائيلية أكد أن عدة بنود من مسودّة الاتفاق بين "حماس" وإسرائيل وراء تعطل المفاوضات ووقوعها في طريق مسدود هي أن:

– إسرائيل تريد الاحتفاظ بتواجد عسكري في محور فيلادلفيا بينما ترفض "حماس" ذلك.

– نتنياهو يريد الاحتفاظ بتواجد عسكري في ممرّ نتساليم الذي هو عبارة عن طريق بنته تل أبيب يقسّم قطاع غزة الى شمال وجنوب وطوله 6,5 كلم.

– إسرائيل تريد ادراج شرط يمنع عودة الأهالي من جنوب القطاع الى شماله.

– هدنة على 3 مراحل : مرحلة أولى – وهذا اقتراح أمريكي – أن تسلّم خلالها "حماس" إسرائيل 30 رهينة مقابل 100 أسير فلسطيني وأن تدوم الهدنة 6 أسابيع ثم يتم الانتقال الى مرحلة ثانية تفرج خلالها "حماس" على بقية الاسرى والجثث مقابل انسحاب إسرائيل من كل قطاع غزة. ثم تأتي مرحلة ثالثة لا يتبقى معها لإسرائيل أي تواجد عسكري بالقطاع مقابل الشروع في إعادة إعماره.

وفيما تصر إسرائيل على أن يكون كل الرهائن الثلاثين الذين من المفروض تسليمهم اليها أحياء ترفض "حماس" ذلك وترفع تل أبيب مقابل هذا الرفض فيتو على تسليم الـ 100 أسير وتطالب بتسفيرهم الى الخارج وتتمسك بحقها في الاعتراض على بعض الأسماء.

يشار الى أن محور فيلادلفيا يقع على الحدود الفلسطينية-المصرية والى أنه بطول 14 كلم وبعرض 100 متر. وبموجب اتفاقيات كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل من المفروض ألاّ يكون في هذا المحور أي تواجد عسكري إسرائيلي.

ثم ان اتفاقية عام 2005 الموقّعة بين الرئيس المصري الراحل حسني مبارك ورئيس حكومة اسرائيل انذاك آرييل شارون تنص هي الأخرى على عدم تواجد عسكري إسرائيلي بالمحور المذكور.

وحسب ما كشفت صحيفة "وول ستريت جورنال" ترفض إسرائيل اليوم الانسحاب من هذا المحور فيما يعترض المصريون على ذلك بشدّة.

أما موقع AXIOS الأمريكي فقد كشف أن الرئيس بايدن اتصل بنتنياهو وطلب منه سحب قوات بلاده كيلومترين بعيدا عن محور فيلادلفيا بما يمهّد لتوقيع اتفاق وقف اطلاق النار مع "حماس".

وأكد الموقع أن المصريين تعهدوا بضمان هذه الحدود وأن نتنياهو رفض ذلك أيضا.

ودائما حسب AXIOS اتصل بايدن بعد ذلك بالرئيس المصري عبد الفتاح السيسي وطلب منه في اطار حرصه على إرضاء الطرفين ابداء بعض المرونة في ما يتعلق بهذه المسألة مشيرا الى أن موقف القاهرة كان بدل رفضها نقل هذا الاقتراح الى "حماس" ستقبل بابلاغها بفحواه ملاحظا انه في كلا الحالتين تغيّر موقف مصر من الرفض الى القبول.

الجديد في الموضوع انه حتى بعد ابداء المصريين مرونة مازالت المفاوضات في طريق مسدود بسبب تعنّت نتنياهو.

وقد أكدت هيئة البث الإسرائيلية انه رغم حضور كل الوفود الى الدوحة بما في ذلك وفد "حماس" ووصول رئيس المخابرات الامريكية ومعه مفوض من البيت الأبيض مكلف بشؤون الشرق الأوسط إضافة الى رئيسي "الموساد" و"الشاباك" يتمسك نتنياهو بشروطه و"حماس" بمطالبها.

والواضح أن هناك طرفين يحرصان كل الحرص على إنجاح صفقة بين إسرائيل و"حماس" هما الولايات المتحدة الامريكية من جهة ومصر من جهة أخرى.

فأمريكا تريد نجاح المفاوضات بأي ثمن لأسباب انتخابية اذ ان الحزب الديمقراطي يتطلع الى انتخاب كاملا هاريس رئيسة للبلاد لقطع الطريق على حرب قد تتحوّل الى حريق إقليمي يسمح لدونالد ترامب بتحميل الحزب الديمقراطي مسؤوليته في ذلك والنيل بالتالي من حظوظ مرشحته للبيت الأبيض.

أما القاهرة فأملها انهاء المفاوضات والتوصل الى صيغة سلام بين "حماس" وإسرائيل لأنها ترى أن اقتصادها يدفع ثمن حرب لا تخوضها بلاده (تراجع عدد السياح، هروب الاستثمارات باعتبار أن المنطقة باتت غير آمنة الى جانب تواجد قوافل من المهاجرين الهاربين من جحيم الحرب في السودان زيادة على مخاطر التوتر السائد بليبيا على حدودها).

هذا الى جانب انه ليس من مصلحة أية دولة في المنطقة ان يغنم نتنياهو مكاسب بالمفاوضات باعتبار ان ذلك سيشجعه على رفع سقف مطالبه.

الغالب ان "حماس" تريد حربا إقليمية باعتبار أن السنوار مقتنع بأن نتنياهو لن يقبل البتة بالتفاوض تحت تهديد مسدس موجه الى رأسه (الردّ الإيراني المحتمل) بمعنى ان ايران ستنفّد في حال فشلت المفاوضات تهديدها بضرب إسرائيل وهذا ما سيشعل حربا إقليمية يبحث عنها السنوار باعتبار انها ستوحد بين قوى المقاومة في المنطقة ضد العدوّ وحلفائه.

لكن السؤال هو ماذا سيكون ردّ موسكو وبكين في حال حصول عدوان غربي على ايران؟

موضوع للمتابعة.

رأي

رد محور المقاومة:

السيناريوهات المحتملة

مصطفى البعزاوي

الشيء الثابت والمؤكد هو قرار محور المقاومة بالرد على عمليات الإغتيال التي قام بها العدو الصهيوني في طهران ولبنان وكذلك قصف خزانات الوقود في ميناء الحديدة باليمن. هذا لا نقاش فيه.
ما يتساءل عنه الكثير من المتابعين هو لماذا ربما تأخر الرد وكذلك متى سيكون الرد؟

1. لماذا يتأخر الرد؟

قرار رد محور المقاومة هو قرار إستراتيجي يترتب عليه اعتماد خطة إستراتيجية كذلك. الحرب الإقليمية لم تعد مجرد احتمال بل أصبحت مؤكدة. لذلك على محور المقاومة أن يعد أشكال الرد وخاصة الدفاعات المناسبة بإعتبار أن دخول الولايات المتحدة الأمريكية للدفاع على الكيان الصهيوني مؤكد وليس مجرد فرضية.
نشوب حرب إقليمية تشارك فيها الولايات المتحدة الأمريكية مقابل محور مقاومة قوي وقادر يمكن ان تتوسع إلى حرب عالمية ثالثة حسب كل الخبراء العسكريين الذين يعتبرون ان الحروب تبدأ وأن لا أحد يعرف متى وإلى أين تنتهي. لذلك أعتقد ان محور المقاومة يستعد لكل الخيارات وهو تجهيز يتطلب الكثير من الإستعدادات الجادة والمتكاملة. ومحور المقاومة سيرد مهما كان الثمن مثلما عبر عن ذلك حسن نصر الله في آخر خطاب له.
لكنه لماذا لا يرد الآن.
ربما يراهن محور المقاومة على الإستنزاف الكبير الذي يتعرض له الجيش الصهيوني حتى يضغط هذا الإستنزاف على نتانياهو للقبول بوقف العدوان على غزة ويرتاح الغزاويون من القصف والقنابل وتفتح المعابر للغذاء والماء والدواء وربما البدء في عملية إعادة الإعمار.
كما ان الإستنزاف بقطع النظر عن وقف العدوان هو مزيد من إرهاق الكيان الصهيوني الذي تتعاظم خسائره كل يوم على جميع المستويات وتقريبا سيصبح كيانا من دول العالم الثالث بعد إنتهاء الحرب على غزة.
يتعرض الكيان الصهيوني إلى نزيف حاد طال كل قواه العضوية حيث غادره المستثمرون والنخب والعقول وتعطل الاقتصاد وتفاقمت الديون وتوقفت جميع مرافق الحياة. وهذا وضع ذاهب إلى مزيد التدهور ربما يصل حد العجز التام. لذلك ربما يختار محور المقاومة الرد في الوقت المناسب والكيان غير قادر على الرد بالمثل.

2. متى سيكون الرد

سيكون هنالك إذا ردان. رد في حالة حصول إتفاق بين الكيان الصهيوني وحركة حماس يكون محسوبا ولا يتجاوز أسقفا معينة للمساهمة في رفع المعاناة على الفلسطينيين.
ورد آخر في حال تمادى نتانياهو في الإصرار على المضي في قتل الأبرياء ومواصلة حربه العبثية ضد المدنيين. هذا الرد سيكون مدمرا ومتكاملا وربما يؤدي إلى زوال الكيان الصهيوني مرة واحدة سواء شاركت أمريكا ام لم تشارك.
والأرجح ان محور المقاومة يتحضر لمثل هذا الرد الذي سيمطر تل أبيب بآلاف الصواريخ التي ستلحق بها دمارا كاملا إضافة إلى إستهداف كل القدرات العسكرية للكيان الصهيوني التي يعرف محور المقاومة تفاصيلهاعبر العديد من الهداهد التي كشفت المقاومة عن جزء يسير منها.
هذا السيناريو يتطلب من محور المقاومة تقسيم كل خارطة الكيان بين أطراف المحور بحيث يضرب الكيان من أقصاه إلى أقصاه ضربة واحدة في توقيت واحد من الأطراف الأربعة حتى يعجز عن الإستيعاب ولا يقوى على النهوض لا هو ولا حلفاؤه. هذه الإستراتيجية التي ربما يعتمدها محور المقاومة ستشل حلفاء الكيان لأنهم سيقفون على عدم جدوى الإنخراط في أي عمل عسكري للدفاع على كيان سقط بالضربة القاضية وسيجنب العالم حربا عالمية أخرى تأتي على الأخضر واليابس.
بقي إحتمال ثالث وهو مواصلة حرب الإستنزاف إلى ان يعجز الجيش الصهيوني عددا وعدة على مواصلة المعارك ويصيب الشلل التام كل مقومات الكيان الصهيوني وهذا أيضا سبيل من سبل تداعي وإنهيار دولة الاحتلال.
إذا مسالة الرد وتوقيت الرد مسألتان لكل واحدة منهما إحتمال واحد وهو التوصل لإتفاق وقف العدوان من عدمه. إلى متى سيصبر محور المقاومة لتحديد ساعة الصفر هذا جوابه عند غرفة العمليات المشتركة.

حزب الله : في انتظار الساعة الصفر

إله لليهود... إله للعرب

نبيه البرجي

لكأننا أمام اله لليهود واله للعرب. من أعطى اليهود كأقلية مبعثرة في أصقاع الدنيا، صلاحية الامساك بمفاصل القوة في العالم ؟ ومن زرع الشقاق ـ الشقاق الأبدي ـ في صدور العرب الذين لا وزن لهم، حتى وزن الذبابة، في ادارة القرن. الانقليزي مارك سايكس، أحد طرفي اتفاقية سايكس ـ بيكو تحدث عن "اللغز اليهودي". اذ كيف تسنى لليهود الوعي بطريقة ادارة الأزمنة؟
حتى الاسلام الذي نزل على العرب (بالذات) لنقلهم من الحالة القبلية الى الحالة الكونية، تحوّل الى ايديولوجيا جعلت العرب ذئاب العرب. في القرن الحادي والعشرين، كحلبة للصراعات الكبرى وللتحولات الكبرى، لم يتمكن من زحزحة أي من تماثيل الشمع التي على ظهورنا، بثقافة الأقبية وبثقافة العصا، ليسخر الأمريكيون منا حين نقول ان مشكلتنا في وجودهم على أرضنا...
المستشرق جيل كيبل تبنى الرأي القائل ان الأميركيين أقفلوا أبواب القرن في وجهنا. لماذا لم يقفلوها مثلاً في وجه نمور شرق آسيا ؟ هنا "اسرائيل" وهنا النفط.
روبرت كاغان، أحد منظّري المحافظين الجدد، يسأل بسخرية طبعاً، اذا كانت الأمبراطورية العربية ستقوم، ومن المحيط الى الخليج "اذا خرجنا من بلادهم... ما سيحدث أن الايرانيين والأتراك الذين ما زالوا على اجترارهم للوثة الأمبراطورية، سينقضون في الحال لاسقاط العروش ولاسقاط الدول، ثم ادارة شعوب المنطقة كما تدار القوافل في الصحارى".
ها هي غزة أمامنا. من تراه يسمع صراخ تلك الجثث؟ لكنه زمن العار. ذاك التواطؤ بين "حاخامات" اليهود و "حاخامات" العرب. الفيلسوف الهولندي - اليهودي باروخ سبينوزا كان يصف "الحاخامات" بـ "قتلة الوعي".
هؤلاء الذين يصلون لـ "الملائكة المدمرة" لمحق تلك الديدان البشرية (أي العرب)، اياهم يقفون وراء من يصفون المقاتلين ضد "اسرائيل" بـ "مجانين الله" الذين ينبغي، صيانة للحضارات البشرية اجتثاثهم من "الأراضي المقدسة". أولئك الذين أبادوا الهنود الحمر لاغتصاب أراضيهم وثرواتهم على الضفة الأخرى من الأطلسي، وأولئك الذين أشعلوا الحربين العالميتين، كيف يمكن أن يكون لديهم الحد الأدنى من الحس البشري؟
المفكر الفرنسي ريمون آرون قال، لدى الاعلان عن قيام الاتحاد الأوروبي ، "في هذه اللحظة نعيد الى الله صلاحية صناعة التاريخ". حين نرى ما رأي غالبية القادة الأوروبيين من الأهوال التي تحدث في غزة، يفترض تعديل عبارة آرون لتصبح "في هذه اللحظة نعيد صلاحية صناعة التاريخ الى الشيطان". أما محمد أركون فكان يسأل "تريدون أن تعرفوا ما مصيرنا كعرب، عودوا بذاكرتكم الى اليوم الذي دخلنا فيه الى الأندلس، ثم الى اليوم الذي خرجنا فيه من الأندلس".
اسحاق دويتشر، صاحب كتاب "اليهودي واللايهودي" تحدث عن "المنطقة الملتبسة في الشخصية اليهودية". كيف يستطيع اليهودي أن يجمع بين النزعة العدمية في النص التوراتي والقول بجدلية الأزمنة ؟ تيودور هرتزل شق في مؤتمر بال عام 1897 الطريق نحو التأويل الدموي، ليجعلوا من "يهوه" الاله الذي يتقيأ الجثث، بعدما ذكرت الميتولوجيا العبرية أنه كان يرشق السابلة من كهفه بالحجارة ؟ الآن أبدل الحجارة بالصواريخ النووية.
أمنية ذلك الائتلاف الجهنمي، أن يرى القنبلة البرتقالية وهي تزيل الفلسطينيين، بل والعرب، ربما كل الآخرين. هذه كانت دعوة "الحاخام" مائير كاهانا "لن ننسى أن معركتنا كيهود، معركتنا الكبرى ضد العالم". هذا على كل حال ما تقوله التوراة، وما يقوله التلمود...
سواء خرج الأمريكيون من الشرق الأوسط (أيها الايرانيون الأعزاء) أم عاد اليهود الى البلدان التي أتوا منها (أهلاً بهم في بيروت ودمشق وبغداد والقاهرة) لا بد أن يعود العرب الى زمن الغساسنة والمناذرة، أو الى زمن قايين وهابيل، مروراً بزمن داحس والغبراء.
لو مرة واحدة نكشف عن صدورنا، وكم تعبت صدورنا منا، ونصرخ في وجه العالم "اجل اننا ارهابيون". هنا ذروة الوعي بوجودنا، وبكوننا كائنات بشرية ترفض أن تجثم الآلهة، أو أنصاف الالهة على ظهورنا.
لا تأخذوا مثلنا باستراتيجية اليأس. ثمة تفاعلات زلزالية تحدث حتى داخل قبورنا. هذا ما يخيف دنيس روس الذي يسأل " اذا كان علينا أن نخرج من هناك في الحال، أم نترك جثثنا تحت الركام"... ؟ حتى ايهود أولمرت، الليكودي القديم ، واثق من أن نهاية بنيامين نتنياهو ستكون قريباً في الزنزانة أو في المقبرة...

400...

بعدما تعهدت المانيا العام الماضي بنشر وحدات عسكرية في ليتوانيا التي تجمعها حدود بروسيا، شرعت يوم الاثنين 19 أوت الجاري ليتوانيا في بناء قاعدة عسكرية قادرة على إيواء 4000 جندي الماني يكونون جاهزين للقتال اثر انتهاء اشغال البناء عام 2027 وذلك في اطار أول عملية انتشار عسكري الماني خارج الحدود منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

وكالة رويترز نقلت في هذا الصدد عن وزير الدفاع الألماني بوريس بستوريوس مقارنته هذه الخطوة بعملية نشر قوات تابعة الحلفاء بألمانيا الغربية خلال سنوات الحرب الباردة للدفاع عن أوروبا الغربية في صورة تعرضها لهجوم سوفياتي على حدّ تعبيره.

تفكيك

أثار البروفيسور البريطاني ديفيد ميلر مؤخرا جدلا واسعا اثر تصريحاته الأخيرة التي القى فيها باللوم على إسرائيل واتهمها بتجنيد أعوان في خدمتها لتحويل المظاهرات السلمية التي شهدتها بريطانيا ولا زالت تنديدا بحرب الإبادة الجماعية التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة الى مسرح للشعب والصدام بين انصار القضية الفلسطينية من جهة والشرطة ومؤيدي المشروع الصهيوني من جهة أخرى.

وقال ميلر أن الناشط البريطاني باليمين المتطرف سومي روبنسون هو من يحرّض على العنف مشيرا الى وجود علاقات بين روبنسون والصهيونية العالمية والى ان غضب جماعاته ينبع أساسا من التعاطف مع الفلسطينيين.

وأضاف ميلر في حوار مقتضب أجرته معه قناة "الجزيرة مباشر" أن روبنسون ينتمي الى حركة صهيونية متطرفة تروّج لفكرة أن الإسلام هو التهديد الفعلي للحضارة الغربية مشيرا الى أنها حركة منتشرة في أوروبا تموّلها إسرائيل ودوائر وشخصيات صهيونية عالمية توظفها للضغط على الحكومات والمجتمعات الغربية.

واعتبر ميلر أن تفكيك إسرائيل وإقامة دولة فلسطينية هو السبيل الوحيد للحدّ من العنصرية.

لغز

مجلة "البريد العالمي" Le courrier international نقلت عن النشرية العلمية The new scientist في مقال لها صادر بتاريخ 19 أوت الجاري تحت عنوان : The Atlantic is cooling at record speed and nobody knows why تأكيد العلماء على أنه لا علاقة للانحباس الحراري بنشاط البشر واستدلالها على ذلك بأن مياه المحيط الأطلسي تسجل منذ أشهر برودة قياسية وبأن كل المختصين في شؤون الطقس عاجزون عن تفسير ذلك رغم كمّ التجهيزات المتطورة جدا التي يملكونها وحساباتهم الرياضية والأقمار الاصطناعية الموظفة لخدمة أبحاثهم.

النشرية العلمية أشارت الى أن برود مياه المحيط الأطلسي في ظل انحباس حراري وذوبان جبال الجليد وموجات الجفاف التي باتت تضرب العديد من مناطق الكرة الأرضية يمثل لغزا محيّرا للعلماء مستدركة بنبرة ساخرة أن هؤلاء لن يجدوا تفسيرا لذلك إلا التأكيد على أن الأمر يتعلق باختلالات مناخية.

ونقلت النشرية العلمية عن محطة CBC تأكيد الحكومة الكندية أن مياه شواطئ La Nouvelle Ecosse سائرة في طريق البرود وأن القائمين على إدارة الصيد والمحيطات لاحظوا ذلك منذ العام الماضي مضيفة أن عالمة الأحياء ليندساي بيزلاي لفتت من جانبها الى أن درجة برودة مياه بعض شواطئ الإقليم المذكور انخفضت تحت مستوى المعدل العادي.

نقطة ضعف

سكوت ريتر Scott Ritter الضابط السابق بالمخابرات الامريكية الذي كلّف خلال التسعينات من القرن الماضي بالتفتيش عن "أسلحة الدمار الشامل العراقية" كشف ان الأقمار الاصطناعية الغربية ستكفّ عن العمل في صورة دخول دول الحلف الأطلسي في حرب شاملة مع روسيا.

ريتر أكد أن أول عمل سيقوم به الروس في حال حدوث سيناريو مماثل هو تدمير الأقمار الاصطناعية الغربية. واعترف ريتر بأن ذلك يمثل نقطة ضعف الحلف الأطلسي وبأن موسكو تدرك ذلك جيّدا.

موقع The Inter Drop الذي نقل كلام ريتر ذكّر بأن روسيا أثبتت أنها تملك أقوى سلاح للحروب الالكترونية وبأن السلاح معروف بمنظومة Murmansk-BN وبأنه سبق له شلّ أجهزة كمبيوتر تابعة لسرب من طائرات أف 35 الامريكية كانت قد تسلّلت الى أجواء البحر الأسود وبحر البلطيق على مقربة من الحدود الروسية.

كما ذكّر الموقع بقيام روسيا بالتشويش على أجهزة التوجيه الخاصة بالقنابل الحوّامة بعيدة المدى التي أمدّ بها الحلف الأطلسي سلاح الجوّ الاوكراني في بداية الحرب وكذلك على شبكة الأقمار الاصطناعية التابعة لشركة ايدموند موسك التي وضعها في خدمة الجيش الاوكراني.

غربال...

مجلة The Economist تساءلت عن سرّ عدم تأثير العقوبات المفروضة من طرف الدول الغربية على الاقتصادي الروسي مؤكدة أنه حقق خلال الثلاثي الثاني من هذا العام نموا بـ 4 ٪ وأنه سجل خلال الثلاثي الأول من نفس العام نموّا بـ 5,4 ٪.

وللاجابة عن سؤالها دعت المجلة الى ضرورة الالتفات الى من أسمتهم بـ "وسطاء خفيّين" قالت أنهم "حوّلوا العقوبات الى مجرّد غربال".

وذكرت المجلة عددا من دول آسيا التي كانت سابقا تابعة للاتحاد السوفياتي منها كازاخستان مؤكدة أن قيمة صادراتها الى روسيا ارتفعت من 40 مليون دولار عام 2021 الى 298 مليون دولار سنة 2023.

وأضافت المجلة ان الأمر لا يقف عند هذا الحدّ وأن قيمة صادرات كازاخستان الى روسيا من السلع الالكترونية التي تشتريها من أوروبا تطورت هي الأخرى من 250 مليون أورو الى 709 ملايين أورو لافتة الى أن الأمر يتعلق بالالتفاف على العقوبات الغربية.

وأقرت المجلة بأن اقتصادات أرمينيا وأذربيجان وجورجيا وتركيا وأزباكستان وغيرغستان وطاجاكستان وتركمانستان تشهد هي الأخرى انتعاشة غير مسبوقة بفضل التجارة مع روسيا وذلك عبر بيعها كل ما يرفض الغرب بيعه لموسكو.

وحسب المجلة ارتفعت صادرات دول الاتحاد الأوروبي الى هذه البلدان بـ 46 مليار أورو في عام 2023 بما مثل زيادة بـ 50 ٪ عما كانت عليه عام 2021 وانخفاضا بثلاثة ارباع الصادرات الأوروبية الى روسيا في نفس الفترة.

وخلصت المجلة الى ان دور الوساطة الذي تلعبه دول أوروبا الوسطى في امداد روسيا بمختلف السلع التي تحتاجها حوّل العقوبات المفروضة عليها الى مجرد غربال داعية دول الغرب الى انتهاج سياسة اكثر حزما تجاه بعض الحكومات حتى تكف عن غضّ النظر عن الالتفاف على العقوبات وبالتالي افشالها.

دوغلاس ماكغريغور :

زيلنسكي حزم حقائبه وحوّل مليارات استعدادا للفرار

قال مستشار البنتاغون السابق، العقيد، دوغلاس ماكغريغور ان الرئيس الاوكراني فلاديمير زيلنسكي حزم أمتعته وحوّل مليارات الى بنوك غربية وأنه يستعد للفرار من أوكرانيا في ظل زحف القوات الروسية.

وأضاف ماكغريغور في تصريح لقناة Daniel Davis/Deep Dive على اليوتيوب يوم الثلاثاء الماضي : «نعرف أن زيلنسكي أعدّ حقائبه وحوّل مليارات الى حسابات في قبرص وألمانيا وسويسرا واشترى ممتلكات في إيطاليا وشقة في فلوريدا وبات جاهزا للهروب».

وتابع ماكغريغور : «بعدما يتأكد زيلنسكي من أن القوات الروسية أصبحت قريبة جدا من العاصمة كييف سيستقلّ الطائرة ويغادر البلاد على طريقة «السيناريو الأفغاني».

ولم يستبعد ماكغريغور احتمال تطوّر الأحداث وفق سيناريو «تنتفض فيه القوات الأوكرانية على زيلنسكي قبل هروبه».

من جهتها ذكرت وكالة الاستخبارات الخارجية الروسية أن واشنطن تدرس خيارات استبدال زيلنسكي بشخصية أوكرانية قابلة للإدارة وأقل فسادا.

وحسب ماكغريغور فإن النخبة الأمريكية «لا توافق على خطوات مجنونة قد يقدم عليها زيلنسكي بما يهدّد باتساع النزاع الى خارج أوكرانيا».

وكان وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف قد كشف يوم الاثنين 19 أوت الجاري أن الغرب يسعى لاستبدال زيلنسكي واتهم الولايات المتحدة الأمريكية بالوقوف وراء فكرة التسلل الى إقليم كورسك الروسي.

وأضاف لافروف أن الغرب ليس راضيا على زيلنسكي وأن الصحافة الغربية باتت تحطّ من قدره وتؤكد أن المراهنة عليه أثبتت أنه حصان خاسر.

وأشار لافروف الى أن الغرب بدأ يتملّص من مسؤوليته في اندلاع الحرب الأوكرانية وامداد نظام كييف بمختلف أنواع الأسلحة الى جانب المساعدات المالية واللوجستية مذكّرا بأن مسؤولين رسميين من واشنطن ولندن وبعض العواصم الأوروبية كانوا قد صرّحوا مؤخرا بأن أوكرانيا وحدها هي من يقرّر كيفية الدفاع عن سيادتها معتبرا ذلك محاولة لفسخ بصماتها وتورطها في الحرب في محاولة لتدمير بلاده.

يذكر أن جهاز الاستخبارات الخارجية الروسية كان قد كشف أن عنطزة زيلنسكي والحاحه على امداد بلاده بصواريخ بعيدة المدى دفعا الولايات المتحدة الى برمجة طائرات الـ «أف 16» التي أمدت بلاده بها بشكل لا يسمح لها بالطيران أكثر من 40 دقيقة حتى تقطع على جيشه فرصة مهاجمة أهداف داخل الأراضي الروسية. وأشار نفس المصدر الى ان بريطانيا مازالت تمنع على كييف استخدام صواريخ «ستورم شادو» (ظلّ العاصفة) لقصف مناطق في الداخل الروسي.

مغامرة نظام كييف في كورسك بدأت فعلا تتحول إلى كارثة

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

جزء فقط من الحدود الروسية الأوكرانية المشتركة هو خط المواجهة، فيما كانت الدفاعات على الحدود الروسية الأوكرانية في منطقتي كورسك وبريانسك ضعيفة على كلا الجانبين.

مغامرة نظام كييف في كورسك بدأت فعليا في التحول إلى كارثة محققة

ويعود السبب في ذلك للأهمية الثانوية، وهامشية هذه المناطق، لهذا لا يمنح تقدم قوات أي من الجانبين في تلك المناطق سوى تأثير دعائي قصير المدى لا أكثر، يتحقق على حساب خسائر فادحة.

والوضع أسوأ بالنسبة للجانب الأوكراني في ما يخص الهجوم على منطقة كورسك، حيث كان عليه سحب أفضل وحداته من على الجبهة، بما في ذلك من الاتجاه الاستراتيجي بالقرب من بوكروفسك، حيث يتحدد مصير مجموعة الجيش الأوكراني على الضفة اليسرى من نهر الدنيبر. بمعنى أن أوكرانيا اختارت تحقيق نجاح مؤقت في كورسك، غير ذي أهمية من وجهة النظر العسكرية، ولكن بصوت جهوري من وجهة نظر الدعاية والعلاقات العامة، على حساب تسريع الكارثة الاستراتيجية في المسرح الرئيسي للعمليات العسكرية في الوقت الراهن.

ولا شك في أن السيطرة على القوات الأوكرانية في منطقة كورسك تتم على أقل تقدير بدعم ومشورة من مستشاري "الناتو"، إن لم يكن بأوامر مباشرة منهم. وتعمل القوات الأوكرانية هناك في مجموعات صغيرة تتكون من عشرات الجنود وعدة مركبات، غالبا ما تكون مركبات مدنية. أي أنهم ببساطة يقودون سياراتهم في كل الاتجاهات من موقع الاختراق، ويصلون إلى قرية ما، ويلتقطون الصور، ويحرقون بعض السيارات، ويقتلون عددا قليلا من الأشخاص، ثم يتقدمون أو يعودون إذا واجهوا مقاومة.

وبطبيعة الحال، فإن مثل هذه الإجراءات تتطلب معرفة في الوقت الحقيقي Realtime لمواقع جميع المجموعات المتنقلة والمعاقل الروسية، واستطلاع عبر الأقمار الاصطناعية على مدار الساعة، وهي قدرات يتمتع بها حلف "الناتو"، لا أوكرانيا. وبالنسبة لهجوم منطقة كورسك، تستخدم أوكرانيا أفضل الوحدات المدربة في الغرب وفقا للمعايير الغربية، والمجهزة بأحدث الأسلحة الغربية. وبالأساس تعد هذه الوحدات أفضل قوات "الناتو"، بمعنى أنه من الممكن القول إن تلك عملية للولايات المتحدة، التي تتدرب على المواجهة الحقيقية مع روسيا.

ومئات الكيلومترات المربعة التي يزعم الجيش الأوكراني الاستيلاء عليها ليست تحت سيطرته فعليا، وإنما هي منطقة عمليات قتالية في واقع الأمر، منطقة عمليات إرهاب. ولا يسيطر عليها الجيش الأوكراني، ناهيك عن قدرته على الاحتفاظ بها لفترة طويلة.

عن الأهداف

إن الهدف الرئيسي لواشنطن من هذه العملية هو خلق فقاعة علاقات عامة، وإعلان نجاح لأوكرانيا وإدارة بايدن/هاريس قبل الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة، وينبغي على القوات الأوكرانية أن تحتفظ برأس الجسر الذي تم الاستيلاء عليه حتى الانتخابات.

الهدف الثاني الذي تتقاسمه واشنطن وكييف هو محاولة زعزعة الاستقرار الداخلي في روسيا، وتقويض مواقف فلاديمير بوتين شخصيا، حيث توافق الولايات المتحدة على أي تأثير بأي نطاق كان، فهي تلعب لعبة طويلة الأمد، في حين يبدو أن زيلينسكي يأمل بشدة أن تؤدي هذه الغارة إلى الإطاحة ببوتين الآن... أو على الأقل منح أوكرانيا بعض أوراق المساومة ودفع بوتين إلى التفاوض، رغم أنه لا أساس لهذا الأمل من الصحة على الإطلاق.

لكن الهدف الرئيسي لزيلينسكي هو وقف انزلاق الشعب الأوكراني إلى هاوية اليأس والاكتئاب. فلم تترك التعبئة الكاملة ونصف عام من الأخبار السيئة القادمة من الجبهة أي أثر لشعبية زيلينسكي، وأضحى الشعب الأوكراني فريسة لمزيد من الإحباط، وهو أمر خطير للغاية على النظام في كييف.

أما الهدف الأقل أهمية والأقل واقعية فهو إثبات أن الوضع بأوكرانيا ليس ميئوسا منه، من أجل الحصول على مساعدات غربية إضافية.

ومع ذلك، فإن هذه العملية لا تحمل أهدافا واقعية بشكل خاص، حيث يبذل زيلينسكي كل ما في وسعه، ويحاول استغلال حتى الفرص المشكوك فيها لمواجهة الهزيمة الحتمية. لا تخيفه التكلفة المضاعفة، لأن النهاية لا تزال واحدة: هزيمة أوكرانيا.

على أية حال، وفي ما يتعلق ببعض الأهداف التي تسعى أوكرانيا والولايات المتحدة إلى تحقيقها، فإن فشلهما أصبح واضحا بالفعل. بعض الأهداف لا تزال قيد التطوير. لكن، وفي الوقت نفسه، ووفقا للتقاليد الأوكرانية فإن الـ"بيريموغا" (النصر بالأوكرانية) بدأ بالفعل في التحول إلى "زرادا" (خيانة بالأوكرانية).

من جانبها لم توافق القيادة الروسية على نقل الاحتياطيات من الاتجاه الرئيسي الراهن للهجوم بالقرب من بوكروفسك، ومن الواضح أن بوتين لم يغير خططه.

يجب أن نتوقع في الأيام المقبلة أن منطقة القتال في كورسك ستتقلص بنفس السرعة التي توسعت بها في البداية، حيث ستتراجع المجموعات المتنقلة الصغيرة والنادرة بالقرب من الحدود، وسيتم تدمير تلك الوحدات الأوكرانية التي تحاول الحصول على موطئ قدم.

لقد بقي للقوات الروسية كيلومترات للوصول إلى بوكروفسك، وبمعدل التقدم الحالي، يعني ذلك ما بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، أي أنه بحلول نهاية أوت، ستواجه أوكرانيا كارثة على الجبهة الشرقية، وستهوي الحالة النفسية للأوكرانيين مرة أخرى من سحب النشوة إلى هاوية اليأس. وستسبب رسائل الدعاية الأوكرانية من منطقة كورسك (إذا ظل الجسر موجودا حتى ذلك الوقت) على خلفية الهزيمة في بوكروفسك غضبا شديدا للأوكرانيين، وسخرية من بقية العالم. وستبدأ جميع وسائل الإعلام العالمية في مناقشة مدى غباء إنفاق الاحتياطيات في كورسك بدلا من منع وقوع كارثة في قطاعات أخرى من الجبهة.

كما أن هناك قضية أخرى هي: أي من المرشحين الرئاسيين الأمريكيين يفضل بوتين؟

إلا أن درجة خطورة هذا السؤال وزمن الإجابة عنه يعتمد أن على هذا العامل. لكني أعتقد أن ذلك ليس له أهمية حاسمة، فأوكرانيا قد أثبتت خطرها على روسيا، وهذه المهمة تتطلب حلا جذريا، بغض النظر عن شخصية الرئيس الأمريكي.

أعتقد أن تلك هي النتائج الرئيسية لمغامرة زيلينسكي الرعناء: لن تكون هناك مفاوضات، وليس هناك فرصة للحفاظ على أوكرانيا بأي حال من الأحوال.

الشارع الثقافي

العدد 420 - من الثلاثاء 27 أوت إلى الاثنين 2 سبتمبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

الاعلامي والكاتب بسّام بوننّي لـ«الشارع المغاربي» :

الصحافة الحرة، مثل القضاء المستقلّ، يجب أن تكون مطلبا شعبيّا

«الوقت اصْعُبْ يا ميمتي.. وليدك اتعبْ» أغنية تلخّص تعب شباب تونس

بقلم : صلاح بوزيّان

من نصوص الفلاسفة :

دفاعا عن منزلة الفلسفة وتعلّمها

بقلم : عبد الوهاب البراهمي

قراءة في كتاب

كتاب «سُطورٌ بين حيَاتيْن: نُصوصُ الأحد» للكاتبة والصحافيّة مُنية العرفاوي :

إلى مَتَى ستَظلُّ الرِّوائِيَّةُ «تَخُونُ» الرَّاوِي؟

بقلم : عَبد اللطيف حدّاد

وقفة

المثقف والسلطة

بقلم : عبد السلام الككلي

وقفة

المثقف والسلطة

بقلم : عبد السلام الككلي

كان جون بول سارتر يؤكد أن التعبير الحقيقي عن الحرية إنما يكمن في قول» لا «في وجه الاستبداد والطغيان وأن فرنسا لم تكن يوما حرة مثل ما كانت وهي تحت» الاحتلال الألماني.» لأن الثوار الحقيقين كانوا يقاومون ذاك الاحتلال مقاومة غاضبة رافضة.

تذكرت قولة سارتر هذه وأنا أتابع اليوم الساحة الثقافية وارصد ما يقال فيها وما لا يقال. فأتردد بين الحزن والغضب.

وأنا أعاين فراغ الساحة من كثير من المثقفين من جامعيين وكتاب وفنانين أما مهرجاناتنا فقد تفرغت أو تكاد للحفلات الصاخبة حين اكتشف فنانونا أنه لم يبق غير المزود والبندير لاستجلاب الجماهير. ولا اعتراض لنا في المطلق على هذا فالناس في حاجة أيضا للفرح والمتعة ولكن هل يكفي الرقص والغناء بلا موقف ولا روح ليكون لنا فن وتكون لنا ثقافة ؟.. إنها صورة بائسة للخوف من الانخراط في ما تعيشه البلاد من أزمة خطيرة لا أحد يدري مآلاتها .

في هذا الجو من الخوف الذي عاد إليه كثيرون من نخبتنا اختفى كثير من المثقفين الذين كانوا يملأون الدنيا بضجيجهم .. اختفوا غصبا أو باختيارهم. كان لهم في الماضي موقف ورأي في كل شيء .. يتحدثون في السياسة وفي الاقتصاد والثقافة بل يصبحون خبراء حتى في الرياضة. كانوا يعيشون في جحورهم سنوات الجمر قبل الثورة وكانوا يخشون فتح أفواههم إلا لطبيب الاسنان. يفضلون الصمت على الكلام الذي لا يتقنه غير عشاق الحرية الحقيقيين؟.

ما كان لهم رأي حول ثقافة الحرية وحقوق الإنسان. ما استمعنا يوما إلى أصواتهم.. ما قرأنا لهم حرفا حين كان الكلام بثمن غال. ثم رخص الكلام في القوس الذي فتحته الثورة فأخرجوا رؤوسهم حين صار الكلام كالبضاعة الرخيصة يسومها المفلسون في الزمن السهل..

...أما اليوم فقد ارتفع ثمن الكلام وازدادت كلفته مرة أخرى واصبح السياسيون والمفكرون والمغنون والمدونون من الأحرار وهم قلائل تحت طائلة المحاسبة القضائية إلى جانب وجود مناخ يسوده الترهيب وإصدار الأحكام السالبة للحرية في حق صحفيين وإعلاميين ومدوّنين بحسب ما ورد في البيان الأخير لنقابة الصحافيين فضلا عن مراقبة كل ما يكتب ويقال بل طال المنع حتى الأعمال الدرامية مثلما وقع لمسرحية» آخر البحر» لفاضل الجعايبي في مهرجان الحمامات الدولي بتعلة قضايا أخلاقية لا صلة لها لا بالفن ولا بالثقافة

عاد الكثير ممن كنا نحسبهم من المثقفين الشجعان الأحرار إلى جحورهم في انتظار انقشاع السحب وعودة الصحو فهم لا يقدرون على الرياح والأنواء.

يقول الإعلامي زياد كريشان في مقال له بعنوان «ملؤوا الدنيا وشغلوا الناس خلال عشرية الانتقال الديمقراطي: أيــن ذهبوا ؟! « .

« لو أردنا ان نحصي كل هؤلاء «المؤثرين» في المشهد خلال العقد الأول للثورة والذين غابت عنا آراؤهم وصورهم ومواقفهم وطموحاتهم لأصابنا الذهول..فنحن نتحدث عن شخصيات هامة وهامة جدا.. بعضها شغل مناصب متقدمة في الدولة، بل المناصب الأولى، وبعضها أسس أحزابا كانت تطمح للوصول إلى الحكم، والبعض الآخر كان يمني النفس بالوصول إلى رئاسة الدولة، وكانوا يقولون لنا إن لديهم رؤية لتونس ومستقبلها ومستقبل أجيالها وإنهم وطنيون إلى النخاع وإنهم عازمون على الإسهام في النهوض بالبلاد و.. و.. و» انتهى الكلام

لن نتساءل مثل زياد كريشان عن السياسيين « أين ذهبوا؟» لأنهم في الواقع لم يذهبوا إلى مكان بعيد بل عادوا إلى قواعدهم القريبة جدا المحصنة بالخوف تلك التي كانوا يسكنونها قبل الانتقال الديمقراطي. هؤلاء لا يهمنا أمرهم

ولكن تهمنا منزلة المثقفين من جامعيين وكتاب وشعراء ومغنين... هؤلاء نتساءل عنهم اليوم أين ذهبوا ؟ أين مقالاتهم وكتاباتهم وهم النخبة التي يستنير بعقولها عامة الناس؟ .

... عجبا صمت أغلبهم. وبالأمس كان للكثير من هؤلاء أقلام جبارة وألسنة من لهب. ما كانت هذه الجماعة تجد ولو ذرة من الجرأة لتعبر عن آرائها لو لم تمكنها الثورة من ذلك. لأنها جماعات بلا رأي. ولا ذاكرة..

..ولو كان لها رأي لكان صامدا لا ينثني حين كان الصمود يرسل بفرسانه إلى المنافي أو السجون أو يعرضهم إلى بطش السلطان وقد طغى وتجبر في الماضي القريب

هكذا لم يبق في الساحة غير عدد قليل من الأقلام الحرة وكثير من أولئك الذين احترفوا المديح كما نرى في بعض قنواتنا الرسمية وغير الرسمية ولا فائدة في ذكر الأسماء فالجميع يعرفهم اسما وصورة حتى وإن اختاروا الانعزال والصمت

المؤسف ألا يعكر صفو بعض المثقفين لدينا شيء ، فينأون بأنفسهم عن أي صراع. في حين أن المثقف لا يمكن أن يكون إلا معارضا لأن عينه على المستقبل في حين أن السياسي لا يهمه غير الراهن. وقديما قال زولا «إني اتهم» فكان ثمن صرخته الحكم عليه بالسجن لكنه اختار طريق المنفى إلى بريطانيا ليواصل الإصداع برأيه.

وقد أسهمت تلك الصرخة في جعل المثقفين يجرؤون على قول» لا» ليتحول فكرهم إلى أداة يومية للتغيير والمقاومة وليس فقط للتفكير المتأمل الموضوع في مجلدات ضخمة لا يقرأها غير المتخصصين ..

ربما يبدأ الإبداع الفكري عندما يعيد المثقف النظر في ما يقوله الكبار المتنفذون الذين يتحاشى بعض أصحاب البرج العاجي والسلامة الاحتكاك بهم أو عندما يعيد النظر في ما يردده المثقفون أنفسهم عن أنفسهم وعن الآخرين

...إن الأفكار لا تباع ولا تشترى في سوق السياسة الآمنة حيث لا ضرر ولا ضرار..ولا تدور على نفسها لتقول لنا بأقل عمق ما قاله آخرون منذ عشرات القرون وهي مطمئنة إلى ما تقول. ولكنها تخلق نفسها بنفسها. ويخلقها مقامها التاريخي.

لا يسير المثقف في سوق الكساد خوفا أو بحثا عن السلامة. لا يمكن فهم صمت المثقف اليوم بتعلة التضييق عليه في عصر مكنت فيه الوسائط الحديثة الكل من الكلام والتعبير وهو الذي يفترض أن يكون حاملا للحقيقة حتى وإن ادعى أحيانا امتلاكها... علينا أحيانا أن نلمس العيون حتى نتمكن من فهم طبيعة «رمدها» ولكن ذلك يتطلب شجاعة من لا يخشى العدوى...

سؤال أخير: ما الفرق بين أن يطمئن الشعب إلى «حقائقه الأسطورية» التي بنشرها السياسي الشعبوي وأن يتحصن المثقف ببرجه العاجي إيثارا للسلامة ؟ أليس هو الآخر لا يقل عامية عن عامة الناس ؟

الاعلامي والكاتب بسّام بونّني لـ«الشارع المغاربي» :

الصحافة الحرة، مثل القضاء المستقلّ، يجب أن تكون مطلبا شعبيّا

حاورته : عواطف البلدي

في رصيده المهني والإعلامي خبرة تمتد لأكثر من ربع قرن، قضّى جزءًا كبيرًا منها كمراسل في مناطق النزاعات. مع بداية "طوفان الأقصى" استقال من هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" احتجاجا على مواقفها المنحازة للعدوان الصهيوني. الإعلامي بسّام بونّني، أصدر مؤخرا كتابه "عبارات الطوفان حرب الكلمات والسرديات"، عن دار "نيرفانا" للنشر. كتابٌ يعكس مدى التزام صاحبه العميق بالقضية الفلسطينية "قضية العدالة الإنسانية الأولى في عصرنا" مثلما قال نيلسون مانديلا.

"الشارع الثقافي" حاور الكاتب والاعلامي حول كتابه وعن واقع الاعلام ورؤيته للعملين الصحفي والسياسي في تونس هنا والآن..

كيف جاءت فكرة الكتاب؟

كان وقع بعض الكلمات قويا عليّ وعلى كلّ متابع لحرب الإبادة الصهيونية على غزة. الأيام الأولى مرّت طويلة ثقيلة، وقد استسلمت شخصيا لمشاهد القتل المؤرقة. متابعاتي لمختلف التغطيات شجعتني على الوقوف مجددا والتفكير في دوري كفرد وسط المجموعة للعب دور ما. وجدت في التغطيات، تحديدا في وسائل الإعلام الغربية الكبرى، تبنيّا شرسا للسردية الإسرائيلية. وتزامن ذلك مع حالة من الهستيريا الرسمية، خاصة في الولايات المتحدة وألمانيا. فرأيت أنّ من الواجب دراسة هذه المواقف، انطلاقا من كلمات باتت تتحّول حينها إلى أيقونات للتعبير عن المأساة الفلسطينية في فصلها الجديد هذا. واتخذت القرار بتأليف الكتاب غداة استقالتي من هيئة الإذاعة البريطانية، وعدت إلى مدوّنة هامة من الكتب والدراسات، اطلعت على معظمها على مدى سنوات، لطبيعة البحوث الجامعية التي قمت بها، سواء بمعهد الصحافة بتونس أو بجامعة مارن لا فالي الفرنسية، واهتمامي المتواصل بالقضية الفلسطينية.

وشجعني أكثر على ضرورة المضيّ قدما في هذا المشروع إدراكي بأنّه إلى جانب الوعي الفطريّ بالحقّ الفلسطيني فإنّه من الضروري تشجيع الناس على الإقبال على المراجع التاريخية. لهذا، تطورت منهجية الكتاب تباعا لتأخذ في النهاية شكل ما يشبه دراسة مونوغرافية، تحيل القارئ إلى وقائع ومواقف قديمة موثقة، حتّى يستوعب أنّنا إزاء تاريخ جديد يُكتب بآليات ووسائل لا مادية قديمة، قدم القضية الفلسطينية.

تفتقر المكتبة التونسية والعربية عموما إلى هذا الجنس من الكتابة التي تمزج التوثيق الصحفي بالالتزام الأخلاقي وتعبر عن الموقف المبدئي من القضايا الوطنية القومية العادلة، وفي طليعتها القضية الفلسطينية. ما سبب هذا النقص حسب رأيك؟

لنتفق، في البداية، بشأن مسألة النقص في حدّ ذاتها. ثمّة مدوّنة هامّة تتعلّق بالقضية الفلسطينية لكنّها بقيت حبيسة دور نشر أو مراكز بحث وتوثيق موجّهة أساسا للباحثين والمؤرخين، مثل مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أو سقطت من اهتمامات القرّاء العرب بسبب سوء توزيعها وعدم التعريف بها بالشكل المطلوب. وهذا لا يمنعني من القول إنّ القضية الفلسطينية تحتاج مزيدا من الاهتمام البحثي والأكاديمي ومراكمة أكبر في التمحيص والتدقيق لأنّها قضية متحركة، من ناحية، وقضية هي الأطول في تاريخ الاستعمار الحديث، من ناحية أخرى. والنقص، على صحّته، يتعزّز بشكل أكبر، في أذهاننا، إذ يغذّيه انطباع تغوّل الآلة الصهيونية التي تحظى بانتشار واسع في العالم، ليس على مستوى الكتاب فحسب، لكن في الإعلام والسينما والإعلانات وعلى شبكات التواصل الاجتماعي التي سخّرت، خلال حرب الإبادة على غزة، أساليب

فائقة التقدم في محاصرة السردية المناصرة للحق الفلسطيني.

ما هي الأسس التي تقوم عليها السردية الصهيونية، حسب رأيك، خلال الحرب الإسرائيلية على غزة؟

يمكن اختزال السردية المناصرة للصهيونية في مقولة أنّ ما يجوز للإسرائيلي لا يجوز لغيره. على بساطة هذه العبارة فإنّها تحمل معان خطيرة، إذ تشرّع لعهد افتتحه الرئيس الأمريكي السابق، جورج بوش، غداة هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2011، عهد يستند لمقولة «إمّا معنا أو ضدّنا».

لذلك، تكون طرق تفكيك السردية متغيّرة بتغيّر طرق التأطير الإعلامي ومحاولات صناعة إجماع بشأن عدالة «القضية الإسرائيلية»، القائمة على كون الكيان «الديمقراطية الوحيدة في المنطقة» «والامتداد الموضوعي للقيم الغربية».

هذا التوجّه ليس بالجديد، بل سبق إنشاء الكيان. فالأذرع الأهم للوبي الصهيوني، على سبيل الذكر لا الحصر، تشكلت قبل عام 1948، مثل رابطة مكافحة التشهير التي تأسست عام 1913 وتُعتبر القوة الضاربة في ابتزاز وسائل الإعلام وتهديدها بالتهمة الجاهزة بـ«معاداة السامية».

لكنّ الجديد في الأمر أنّنا نشاهد منذ السابع من أكتوبر فجورا في صياغة تلك السردية بناء على التطورات على الأرض ولهجة تبنيها. أرفض، شخصيا، الحديث عن معايير مزدوجة. كما ذكرت وحاولت إبرازه في الكتاب، فنحن إزاء حالة متقدمة من الاستعلاء والتفوّق العرقيين، وهي نزعة تذرعت بها، تاريخيا، كلّ القوى الاستعمارية.

لكن، لتفكيك هذه السردية، كان من الضروري العودة إلى أصول الصراع وتبيان أبعاده السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية للانتهاء إلى أنّ ما يحدث، اليوم، في غزة خبره المصريون والسوريون والأردنيون والفلسطينيون، طبعا، منذ إنشاء الكيان الصهيوني، في مختلف الحروب العربية الإسرائيلية.

نحن بصدد نموذج استعماري فريد من نوعه، تختلط فيه المفاهيم وتغيب عنه الحدود الدنيا من المنطق. وكان من المفيد أن نقارن تعاطي وسائل الإعلام الغربية مع الحرب الروسية على أوكرانيا والحرب الإسرائيلية على غزة. البون شاسع في ما يتعلق بالتشبث بالقوانين الدولية. في غزة، انزلقت معظم وسائل الإعلام الغربية إلى المساهمة بشكل بغيض في نزع الإنسانية عن الإنسان الفلسطيني. وهذا أساس السردية الحالية التي تتبناها أوساط سياسية وثقافية وإعلامية واقتصادية غربية.

ما هي الوصفة الحرفية والصحفية التي تجعلنا نهتدي الى سواء السبيل؟

لا أعتقد أنّ المسألة منحصرة في الصحفي وحده. كما لا أعتقد أنّ هناك وصفة لذلك. يجب التشبّع، أوّلا وأخيرا، بالقيم الإنسانية الجامعة. فهي صمّام أمان لأيّ مجتمع وفي علاقة المجتمعات ببعضها البعض. ولا أظنّ أنّي أبالغ أنّ القضية الفلسطينية مختلفة عن بقية القضايا. فهي قضية كان الباطل فيها واضح ولا يزال، ولا حاجة لي أن أكون عربيا أو مسلما لأسلّم بذلك. أحيانا، أتجنّب، أصلا، التفكير في تلك القضية، في خلفياتها التاريخية وحاضرها وما يمكن أن تؤول إليه، لأنّ الظلم فيها والجور بلغا درجة لم يشهدها التاريخ الحديث، على الأقلّ، من قبل. سواء السبيل واضح لا يحتاج اجتهادا كبيرا، في هذه القضية، تحديدا.

طبعا، سيكون من المزعج أن تجد نفسك في الضفّة ذاتها التي يقف فيها من يساند نظما ديكتاتورية وانقلابات وقمعا وتنكيلا. لكن، لا مفرّ من إسقاط هذا الاعتبار وعن قناعة، فالمسألة مسألة مبدأ في الأساس.

كيف نتجنب الانزلاق من الالتزام الصحفي بقضايا الحق إلى الانخراط بخطابات إعلامية أيديولوجية أحيانا؟

المسألة، هنا، لا تقف عند الصحفي فحسب، لأنّ مهنتنا تقوم أساسا على أفعال وردود. فحين تكتب مقال رأي، هناك موقف في

نصّك الذي لم يعد ملكا لك، بمجرّد نشره. ومن الصعب أن تقنع القرّاء كافّة بأنّ موقفك لا يستند لقناعة أيديولوجية. ولئن كان للصحفي مسؤولية أخلاقية واجتماعية تجاه المتلقي، فإنّ الاحتكام للضمير يبقى أمرا بالغ الأهمية.

وفي حالات الاستقطاب التي نعيشها منذ سنوات، سواء في تونس أو في المنطقة بل وفي العالم، من الصعب التمييز بين ما هو صحفي مهني وما هو دعاية أيديولوجية، لأنّ الأمر، كما ذكرت، يبقى متروكا للمتلقي.

لكن، في ردهات وسائل الإعلام، ثقي أنّه مهما كان الخطّ التحريري للمؤسسة، فإنّ هناك جدلا مستمرّا بشأن التوجّهات العامّة للوسيلة، مع استثناء تلك التي تعمل، طبعا، تحت أنظمة الترهيب والقمع، حيث تغيب هوامش الحوار ولا يمكن العمل سوى بتعليمات صريحة واضحة من الصعب على الصحفي أن يعارضها.

وفي المجمل، يبقى الصحفي صانع رأي، يتوجب عليه تقديم مادة تتسم أولا وأخيرا بالدقة، حتى حين يتعلق الأمر بمقالات الرأي، إذ لا يمكن أن تبني موقفا على أساس معلومات مغلوطة أو مضلّلة. الدقة هي أساس هذه المهنة.

خبرتَ الحرب كمراسل في المنطقة العربية وأفريقيا. كيف ترى عمل الصحفيين في غزة؟

هناك مراسل الحرب وهناك الصحفي في غزة. تلك فئة فريدة من نوعها. الصحفي في غزة يعيش الحصار منذ عام 2007 كأي فلسطيني آخر في القطاع، وبالتالي هو لا يحظى بالراحة الضرورية التي يتمتع بها مراسلو الحرب ولا يتلقى تدريبات ضرورية لمواكبة المخاطر المستجدة. مراسل الحرب في معظم أنحاء العالم له خطط للإجلاء، كلّما استدعت الحاجة لذلك. وهذا غير متاح للصحفي في غزة، بسبب الحصار. كما لا يمكن أن ننسى أنّ دور الطواقم المحلية في أيّ نزاع مسلّح يكون مقتصرا، في معظم الأحيان، على الإنتاج الميداني والمرافقة والدعم اللوجستي والترجمة، خوفا من الأعمال الانتقامية التي قد تستهدفهم أو تستهدف عائلاتهم، أي أنّهم ليسوا في الصورة بشكل صريح. في غزة، المراسلون هم حصرا من غزة، بسبب الحصار الذي عززته قوات الاحتلال بحظرها دخول الطواقم الصحفية إلى القطاع.

باتت غزة مقبرة للصحفيين. ما مآل جملة الاتفاقيات والمواثيق والقوانين الموضوعة لحماية الصحفيين في ساحات الحرب اليوم هنا والآن أمام استهداف الصحفيين في غزة؟

هناك نقاش جدي في أوساط حقوقية غربية، اليوم، بشأن ما إذا كان العالم الذي رأى النور في أعقاب الحرب العالمية الثانية قد انتهى، وهو العالم الذي تطورت فيه المنظومة الحقوقية، من دون القدرة على إنهاء الانتهاكات والحروب. حرب الإبادة التي تشهدها غزة أثبتت بما لا يدع مجالا إلى الشكّ حدود تلك المنظومة. يكفي أن يُرفع الفيتو الأمريكي، في ملف غزة، أو الروسي، في ملف أوكرانيا أو سوريا، حتى تتواصل المجازر. استهداف الصحفيين في غزة كان مريعا ولا يزال. ولا أنتظر أيّة محاسبة للكيان الصهيوني، في إطار أيّ نصّ قانوني دوليّ يحمي عمل الصحفيين في مناطق النزاعات.

أمام هذا الكم الهائل من الخراب والموت والدمار والخسائر المادية والبشرية كيف يحافظ بسام على تفاؤله؟

بعيدا عن أيّة لغة إنشائية خشبية، التفاؤل يبقى واجبا مقدّسا إزاء الشهداء. من السهل أن نركن إلى الحزن والإحباط واليأس. واجبنا اليوم هو الفعل، مهما كان حجمه. هناك الكتابة والتوثيق والمقاطعة. هناك الكثير من الآليات التي أثبتت نجاعتها، على الأقلّ في إخراجنا من حالة الصدمة المستمر. لنبك شهداءنا. لكن، بالتوازي مع ذلك، لنفعل! أيّ شيء. المهمّ أن نفعل!

أرى دائما درس حرب الاستنزاف في مصر عقب هزيمة 1967 درسا بليغا. كانت مصر على شفا الانهيار. لكنّ ردّ الفعل كان حقّا درسا بليغا. من تلك الدروس، تحديدا، يجب أن نتعلّم. الجريمة، اليوم، هي ألّا نفعل شيئا.

للالتزام المبدئي والانتصار للحقيقة ثمن باهظ أحيانا دفعه بسام بونني حين استقال يوما ما. هل مازلت تدفع الثمن اليوم؟

لا أعتقد أنّه ثمن بقدر ما هو ضريبة اختيار هذه المهنة. الصحافة تقوم أساسا على الأخلاقيات. والأخلاقيات يحدّدها الضمير. استفتِ قلبك، كلّما توجّست من عمل ما. خلال مسيرتي التي تمتدّ قريبا على نحو ربع قرن، عرفت صحفيين عاشوا حروبا أهلية أو أزمات سياسية خطيرة، وهناك من أدمن على الكحول والمخدرات بل وأقدم على الانتحار لأنّه في لحظة ما شعر بأنّه كان جزءا من التحريض. حين استقلت، شعرت براحة كبيرة. باللهجة العامية المصرية، أنا اخترت أنا «اشتري نفسي». أن ينام الصحفي مرتاح البال، فذاك انتصار شخصي بكلّ المقاييس. وهذا ما فعلته.

> نحن نعيش لحظة غير مسبوقة من لحظات حكم الفرد الواحد
>
> حين استقلت، شعرت براحة كبيرة. باللهجة العامية المصرية، اخترت أن «اشتري نفسي»
>
> الدولة فشلت فشلا ذريعا في تحصين الحريات
>
> إنهاء تجربة الهايكا كارثة بكلّ المقاييس وإصدار المرسوم 54، زاد الوضع اهتزازا
>
> معهد الصحافة وعلوم الإخبار لم يعد قادرا على مسايرة التطورات التي تشهدها الصحافة في العالم
>
> كتابي أشبه بدراسة مونوغرافية، تحيل القارئ إلى وقائع ومواقف قديمة موثقة
>
> القضية الفلسطينية تحتاج مزيدا من الاهتمام البحثي والأكاديمي ومراكمة أكبر في التمحيص والتدقيق
>
> كان من المفيد أن نقارن تعاطي وسائل الإعلام الغربية مع الحرب الروسية على أوكرانيا والحرب الإسرائيلية على غزة
>
> لمراسل الحرب في معظم أنحاء العالم خطط للإجلاء غير متاحة للصحفي في غزة بسبب الحصار

لا أكثر ولا أقلّ.

كيف ترى المشهد الاعلامي اليوم من زاوية حرية التعبير وحرية الاعلام؟

مثلما سعت السلطة الحاكمة الحالية إلى تصفية مرحلة ما بعد الثورة، فإنّها عملت سريعا أيضا على الإجهاز على المرحلة الانتقالية التي شهدها الإعلام. ثمّة حالة شعبية واسعة من عدم الرضا على الأداء العامّ للإعلام. لكن، هذا لا يمكن فهمه من دون وضع الأمور في سياقها. إنهاء تجربة الهايكا، مثلا، كارثة بكلّ المقاييس، حتّى وإن كان أداء الهيئة المؤقتة ضعيفا. فوجود مؤسسة تعديلية أمر ضروري. كما أنّ إصدار المرسوم 54، زاد الوضع اهتزازا. كلّ ذلك يأتي بالتزامن مع تدهور الوضع الاقتصادي لمعظم المؤسسات الإعلامية وما أدى ذلك لتفاقم مشاكل الصحفيين الاجتماعية. بعبارة أخرى، ثمة حزمة من المشاكل تحول دون ممارسة الصحفي عمله بشكل طبيعي. القاعدة تقول إن الصحافة تزدهر زمن الأزمات. بيد أنّ الإشكال، اليوم، أنّ تلك الأزمات قد انتقلت فعلا للصحفي نفسه وباتت تؤثر في عمله وحياته.

ولكن دعيني أشدّد على مسألة أراها ضرورية وهي أنّ الصحافة الحرة، مثل القضاء المستقلّ، يجب أن تكون مطلبا شعبيّا. فالعدل لا يتحقّق في مجتمعات لا تؤمن به. حرية الصحافة، أيضا، لا يمكن أن تصبح واقعا من دون دعم شعبي، حتّى حين تتوفّر منابر جريئة ويبرز صحفيون شجعان. انظري مثلا للصحفيين القابعين وراء القضبان أو لوسائل الإعلام التي باتت على شفا الإفلاس. لا بواكي لهم. لأنّ قناعة الكثير من التونسيين لم تصل إلى درجة اعتبار الصحافة الحرة بمثابة الحاجة الآدمية الحيوية، مثل حاجتهم للأكل والشرب والدواء والتعليم والعمل.

ما الذي تعيبه على نخبتنا الصحفية اليوم؟

لم يسْع معظم الصحفيين في تونس إلى التحسين من أدائهم، عبر فرص التدريب المتاحة، وبعضها مجاني بالمناسبة وعبر الانترنت، والانفتاح أكثر على اللغات. كما كان هناك جنوح سريع للتموقع السياسي في معركة كان واضحا منذ البداية أنّها لم تكن معركة الصحفيين، فتحوّل بعضهم سريعا إلى بوق أو وُظّف للقيام بأعمال كانت أقرب للعلاقات العامة وحتى الدعاية. وأدى ضعف القطاع، ككلّ، مقارنة ببقية القطاعات الرمزية في المجتمع، كالمحاماة والقضاء، إلى حالة من التفكك والتشرذم استغلتها السلطة الحالية لمزيد التنكيل بالمهنة الصحفية.

لكن، حين نتحدث عن نخبة صحفية، يجب ألّا نغفل، أيضا، فاعلين آخرين لا تقلّ أهميته في المشهد الإعلامي. فالدولة فشلت فشلا ذريعا في تحصين الحريات، لأنّها ببساطة لم تكن لها الإرادة السياسية ولا المسؤولية الأخلاقية لتثبيت الإصلاحات التشريعية التي شهدتها البلاد، في أعقاب الثورة. وهذا خيط مشترك بين كلّ الحكومات المتعاقبة على السلطة، منذ 2011.

كما لا يمكن أن ننسى التكوين والتدريب، وأعتقد جازما أنّ معهد الصحافة وعلوم الإخبار لم يعد قادرا على مسايرة التطورات التي تشهدها الصحافة في العالم، لا من حيث المحتوى والمضمون ولا التقنيات. والأمر يعود لثلاثة أسباب رئيسية، حسب رأيي. أوّلا، ثمّة نقص حادّ في الموارد المالية، بما لا يتيح للمعهد من تطوير آليات التكوين. ثانيا، هناك ضعف في الموارد البشرية، إذ لا يمكن لمن لم يمتهن الصحافة أن يوجّه الطالب في موادّ شديدة التأثير في مساره المهني كتقنيات التحرير الصحفي والصحافة التلفزيونية، إلى جانب الأغراض الصحفية المستحدثة. ثالثا، طريقة التوجيه الجامعي أثبتت فشلها، إذ لا يمكن قبول طلبة بالمعهد لا يتقنون اللغات الثلاث بشكل تامّ، ناهيك عن التاريخ والجغرافيا.

ونحن على أبواب انتخابات كيف ينظر بوننّي الصحفي إلى المشهد السياسي اليوم؟

سألجأ، هنا، إلى لغة المدرسين لأقول إنّنا نعيش سنوات بيضاء في السياسة. نحن نعيش لحظة غير مسبوقة من لحظات حكم الفرد الواحد، حتى بالمقارنة بطريقة ممارسة السلطة إبّان حكم الحبيب بورقيبة وزين العابدين بن علي. تحت حكم بورقيبة، كانت ثمة هوامش للتحرك داخل السلطة ذاتها، إذ كان من المعهود أن تتنافس أجنحة داخل الحزب وتؤثّر في توجّهات الحكومة. ولاحظي أنّنا إلى حدّ هذه اللحظة مازلنا نتحدث عن حكومة الباهي الأدغم وحكومة الهادي نويرة وحكومة محمد مزالي وحكومة رشيد صفر. أي أنّ هناك أثرا ما تركه هؤلاء، سواء سلبا أو إيجابا، نُسب إليهم دون غيرهم، بالرغم من مركزية شخصية بورقيبة في المشهد. أمّا تحت حكم بن علي، فبالرغم من تغوّل القبضة الأمنيّة، فإنّ التوازنات داخل الدولة العميقة كانت أمرا يحسب لها بن علي ومستشاروه ألف حساب، وهو ما أدّى إلى إحداث حالة من الرضا لدى قطاع لا يُستهان به من التونسيين بمعادلة الأمن والاستقرار مقابل الحريات. وغداة الثورة، وفي لحظات المخاض المؤسساتي، من كتابة دستور وتغيير النظام السياسي، عاشت تونس حالة من الارتجال، أوّلا، بسبب المرور سريعا إلى منسوب عال من الاستقطاب، وثانيا، بسبب قلّة خبرة القوى السياسية جرّاء حالة الفراغ التي تركتها الديكتاتورية.

أمّا اليوم، فالرئيس يدير ظهره لا للشعب فحسب بل للتركيبة الاجتماعية والنفسية للمجتمع، بل ويُسقط من اعتباراته ديناميكية الحكم ومكوّناتها الرئيسية من أحزاب ونقابات ومنظمات وإعلام. لا نعلم ما يجري ومن هي دائرة الرئيس المضيقة، حتى أقاويل وتخمينات ومعلومات لا يمكن التأكد من صدقيتها. ما نعلمه أنّ معظم من عيّنهم الرئيس، خلال فترة حكمه، إمّا كانوا معارضين له أو شنّوا ضدّه حملات شرسة، بعضها كان يستند لمغالطات وإشاعات. هذه المسألة، تحديدا، تفرض أكثر من تساؤل حول مدى جدية إدارة الدولة.

ولا تحتمل أيّ بلاد في العالم مهما علا شأنها كمّ الأزمات التي تعيشها بلادنا اليوم. نحن نعيش أزمة مركّبة، فيها المؤسساتي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والحقوقي والثقافي والبيئي والرياضي. والأخطر هو أننا بتنا نعلم كيف يفكّر الرئيس، على الأقلّ بدراسة الثوابت في خطابه، ومن يستهدف بخطابه العنيف المتعصب في تخوين معارضيه والتحريض عليهم لكننا قطعا لا نعلم ما الذي يريده.

كتاب «سُطورٌ بين حيَاتيْن: نُصوصُ الأحد» للكاتبة والصحافيّة مُنية العرفاوي :

إلى مَتَى ستَظلُّ الرِّوائِيّةُ «تَخُونُ» الرَّاوِي؟

عبد اللطيف حدّاد

إذا كنتَ من النائين بأنفسهم عن محنة الصّحافة، واخترتَ أنْ تكون مِن سُلالة المُحبّين الأوفياء المُنقرضين الذين لم يَتخلّوا عنها ولم يُشاركوا في عمليّة إعدامها، فإنّك بالتأكيد ستكون قد عرفتَ السيدة منية العرفاوي الصحافيّة بمؤسسة «دار الصباح» التونسية، التي تكتبُ المقال السياسي والاجتماعي والثقافيّ بأسلوبها الخاص وجرأتها اللافتة في تناول القضايا الشائكة والتحقيق في تجاوزات كبار البارونات والحيتان أدّت إلى تعرّضها لحملاتٍ ذبّانيةٍ وشبّيحيّةٍ غير مسبوقةٍ، وإلى تهديداتٍ وملاحقاتٍ قضائيّةٍ جعَلتْها تَمْثُل أمام التحقيق على خلفيّة ثلاث شكاوَى في ظرف ثلاثة أسابيع (!) بين أواسط مارس وأوائل أفريل 2024، رفَعَها وزيرُ الشؤون الدينية -الذي أُقيلَ لاحقا- بسبب مقال لها نشرتْه قبل عام، اِنتقدت فيه سياساته وشُبهاتٍ تعلّقت ببعثة الإرشاد في موسم الحج قبل الفارط.

أمّا إذا كنتَ من النائين بأنفسهم عن حياة القُطعان المُنْحَبسين في الهويّاتِ الضيّقةِ لعصبيّةٍ ما، أو سُلطةٍ ما، أو قطاعٍ ما، أو ذُكورةٍ ما، فستكون قد اِنحزْتَ للكاتبة منية العرفاوي مرتيْن على الأقل: مرة في معركتها ضدّ الوزير المذكور، ومرة ثانية عند صُدور كتاب ألّفَتْه بالاشتراك مغ الأستاذة آمال قرامي «النساء والإرهاب: دراسة جندريّةٌ» كان محلَّ تجاذباتٍ واتّهاماتٍ وصلت درجةُ تردّيها، إلى التعريض بالصحافية ورَمْيِها بالسّطْو على جُهد الباحثة في الجندر الأستاذة المشهود لها قرامي. وذلك على الرغم من كون العرفاوي قد ساهمت بفصليْن كامليْن خصّصتهما لبورتريهات عددٍ من الإرهابيّات ولعلاقة الإرهاب بالأُسَر وأثَر التنشئة الاجتماعيّة في بناء ذاتيّات أنثويّة خاصة.

أمّا إذا لم تَكن من أولائك ولا من هؤلاء، فدونَكَ وفرصةَ التعرّف إلى منية العرفاوي في كتابها الجديد «سُطور بين حياتيْن: نُصوص الأحد» الذي صَدَرَ عن دار الكتاب بتونس في 213 صفحة من الحجْم المُتوسّط، تَضمَّن إهداءً للمؤلِّفة، وتقديما بقلم الروائيّ صلاح البرقاوي، وتصديراً، وثلاثة وثلاثين نَصّاً.

كتابٌ طالما قالت عنه صاحبتُه إنه «اِبنُ الصدفة والشّغف». ولا تعني الصدفةُ هنا الاعتباطَ والعَرَضيّةَ الفاقدةَ كلَّ منطقٍ، بقدْر ما تَعني تَفاجُؤَ الكاتبةِ بكتابِها، كونه جَرَى على غيرِ مَوعِدٍ أو تَوقُّعٍ، بعد أنْ بدأت نشْرَ نصوصَه صبيحةَ الأحَدِ على صفحتِها في الفايسبوك. وشيئاً فشيْئاً، تَحوَّلت دهشَةُ الآحاد الأولى إلى «جُنون» فـ «التزام» فـ «مَوْعِدٍ قارٍّ أنتظِرُه مع القُرّاء لأتنفَّسَ كتابةً». كم يَبدو هَذا القولُ، الذي خطّتْه الكاتبة على ظهر الغلاف والذي يُلخِّصُ قصّةَ سُطورِها التي بين حياتيْن، دالاًّ على هويّةِ تلك السّطور فهي من الكتابة لا الصحافة، ودالاً كذلك على ما طَلَبَتْه منها وهو أنْ تتنفّسَ مِلْءَ رِئتيْها مع قرّائها «لأسحَبَ جُرعةَ أوكسجين مع كلّ كلمة أخُطّها وتَسحبُني إلى عالَمِهم -تقول الكاتبة- فتشْتَبِك عوالِمُنا ويُعانق الواقعُ الخيال» في «رحلةٍ على قطارٍ لن يَصِلَ إلى أيِّ مَحَطّةٍ وهو يَعبُرُ تلك المناطقَ المُعتّمَة في الذّات البشريّة»: ذاتِ المؤلِّفَةِ وذواتِ قرّائها وذواتِ الشخصيّاتِ التي اِخْتارتْها لِتَستَقِلَّ قطارها، فَيَتشارك ثلاثتُهم في إعادةِ صياغةِ ما تَفَرَّقَ مِن القِصص والأرواحِ العالقةِ بين حياتيْن: حياةٍ معلومةٍ من الجميع، وحياةٍ مَكتومةٍ ينشُرها الكتابُ مُعيداً الحرارةَ لأجسادٍ كانت عاجزةً عن حَمْلِ أعضائها وأرواحٍ كانت عاجزةً عن الطيَران.

إنّهُ كتابٌ مُلهَمٌ ومُلهِمٌ في آنٍ، يَشْحذ الخيالَ، ويَشْحن الذاكرةَ، بالجميلِ والحيِّ والحالِمِ في مُواجهةِ القبيحِ والميِّتِ والمُهَشَّمِ مِن طبقاتِ حَياةٍ مُتراصّةٍ، اِبْتَنَتْها العرفاوي وبَرَتْها كأحسنَ ما

منية العرفاوي

يكون من الحَيواتِ.

أدبُ الصحافةِ... صَحافةُ الأدب

رغم أنّ كتابَ منية العرفاوي خَرَجَ مِن رَحِمِ التّلاقِي بين الكاتبة وقُرّائها في صباحات الآحاد على منصّاتِ التواصل الاجتماعي، فهو لا يَخرج عن القاعدة العامّة الخاصة بالعلاقة بين الصحافة والأدب. تلك التي أهدت لقُرّاء العربيّة نُصوصاً لا تُضاهَى كـ «حدَّثَ أبو هريرة قال» للمسعدي الذي نَشرَه صاحبُه في أحاديث مُتسلسلةٍ حينا ومُتفرّقةٍ حينا آخر في دوريّات «المباحث» و«الزمان» و«الفكر» بين جانفي 1939 ونوفمبر 1956، قبل أنْ يُعيد تنظيمَها ونشْرَها لأول مرة سنة 1973. وكشأنِ المسعدي مع أبي هريرة، كان شأنُ طه حسين في «حديث الأربعاء» الخاصّ بشعراء العربية في القرنيْن الثاني والثالث. وعلى هذا النّهج، سارَ كبارُ الشعراء والأدباء الذين كتبوا للصحافة كالمازني وقبّاني ودرويش وأولاد أحمد وأحلام مستغانمي وأمين معلوف وسواهم كثيرات وكثيرون.

في كلّ هذه التّجارب، كان في المقال المنشور في الصُّحُف مِن عُمقِ الطّرْح وجاذبيّة الأسلوب، ما جَعَلَه آسراً للقرّاء. لكنّ التحوّلاتِ المُتسارعةَ أنهتْ العصرَ الذهبيَّ لصحافة الأدب أو أدب الصحافة، كما قَضمَت أجزاء مُهمّةً من جاذبيّة مُحتوياتٍ صحفيّةٍ أخرى، وفَرَضتْ عليها التكيُّفَ مع عصرِ الصورة والنصّ القصير السيّار ذي المحتوى العابر، كالتدويناتِ والتغريداتِ ومقاطعِ الفيديو. وفي إطار هذا التكيُّفِ، يَستثمر الكُتّابُ مواقعَ الواب والمُدوَّناتِ ومِنصّاتِ التواصل، وما تُتيحُه من مساحاتٍ تواصليّةٍ وتفاعليّةٍ حيّةٍ. وهذا هو بالضبط ما اِلتَقطَتْه السيدة منية العرفاوي عندما اِتّخذت مِن صفحتِها الفايسبوكيّة نقطةَ اِنطلاقٍ لـ «رحلة عجيبة لم تَكنْ تحتاجُ لتذكرة سَفرٍ ولا لمعرفةِ الرُّكّابِ ولا مَن يجلس في قُمرة القيادة». ولعلّه مِن عجيب الصُّدَفِ أنْ يَكون الدكتور طه حسين قد خامرَتْه فكرةُ أنْ يكتب لـ «السياسة الأسبوعيّة» حديث الأحد للتعريف بروائع المسرح الفرنسيِّ.

فها إنه بعد قرنٍ من الزمان، تتحوّلُ أحاديثُ طه حسين البائدة إلى نصوص الأحد الطازجة مع منية العرفاوي، وتتحوّلُ مساحتُه التي حلَم بها للتلاقي مع رموز المسرح إلى مساحةٍ أوسعَ للتلاقي مع شخصيّاتٍ «رأيتُها عظيمةً وهي تُلهِمُني بأفكارِها وتجربة حياتِها وعُبورِها الاستثنائيّ في هذا الوُجود» -تقول الكاتبة- شخصيّاتٍ اِلتقتْ بها خارج منطق الزمان والمكان و«داخل منطق الكينونة وإنسانيّة الإنسان».

وَلّتْ وَجْهَها شَطرَ الحُبِّ !

على مدى ثلاثةٍ وثلاثين نصّاً، سارت بنا الكاتبةُ في مِضمارٍ طويلٍ وكثيفٍ للسِّيَرِ والحَيَواتِ المُزدوجةِ كلٌّ واحدةٍ فيها بين خطّيْن: خطِّ الحياةِ الأصليّة الذي ينطلق من حاضر اللحظة، لحظةِ الاختيار والالتقاط والشروع في النصّ، ويَسيرُ عَكْساً باتجاه الماضي حيث الوقائعُ والذكرياتُ كما جرت في التاريخ، وخطِّ الحياة المُتَخيَّلَةِ الذي يَسير طَرْداً باتجاه المستقبل.

في ذلك المِضمار الطويل، لم تَكن للأمكنة والأحداث وتنظيمها أيّةُ قيمةٍ. فسواءً كان المكانُ فلسطين في النصوص الثمانية الأخيرة، أو قرية جميلة والهادي النائية أو عين دراهم عندما يعزلها الثلج أو قاهرة رَضْوى أو واجهات العرض في عبد الله قشّ أو حقول الألغام التي سارت عليها الأميرة ديانا، وسواءً كان الحدثُ واحداً أو مُتعدّداً، ثابتاً أو نامياً، مُتصاعداً نحو ذُروةٍ ما أو منحدِراً نحو نهايةٍ ما، فإنّ الكاتبةَ لا تُوَلّي وَجْهَها أيَّ شطرٍ عدا الحبِّ، قادحِ كلّ نُصوصِها ومَوردِها ونواتِها وغَرَضِها وغايتِها.

حيثما سِرْتَ في هذه السّطور بين الحياة الأصليّة والحياة المُتفرّعة عنها، فإنك لا تُلفي إلاّ الحبَّ ليمْلأ عُروقَكَ بمُخدِّره الذي لا يُقاوَم ! وكم في هذا الحبِّ مِن ضُروب المَشاعر ومِن تَوقُّدِ الحواسّ، تَغترِفُها الكاتبةُ من آخر نُقطةٍ في قاع الوحشة إلى أعلى ذُرَى الفرحة والشّغف والفتنة ! اُنظرْ إليها كيف تُعيد مُعايشَتَه وتكتبُه مُتنقّلةً بين طبقاتِه، غائصةً على أغواره وأسرارِه: من الحبّ المُتحرّر والمُختلف (سارتر ودي بوفوار) إلى الحبّ السيزيفيّ الصامت (كامي وماريا) إلى الحبّ المُعذّب (الهادي وزهرة) إلى الحبّ المُحتلّ أو الحبّ الوطن (مريد ورضوى) إلى الحبّ الإلهي (المتصوّفة) إلى الحبّ المُتمرّد (عبلة وأمل دنقل) إلى الحبّ العارم (كافكا وميلينا) إلى الحبّ المُستحيل (ديانا وشارلز) إلى الحبّ الحرية (لوركا وماريانا) إلى الحبّ الخطيئة (فرونسكي وآنا كارينينا) إلى الحبّ الخائن (فريدا وديبغو) إلى الحبّ التضحية (الأحدب وآزميرالدا) إلى الحبّ الشقيّ (فان غوغ وسين بائعة الهوى) إلى الحبّ المُنكسر (نابليون وجوزفين) إلى الحبّ المُزدحم: قصص الرّجل الفراشة الذي يَنطّ بين النساء (المُمثّل آلان ديلون) إلى الحبّ اليائس (فاتن) إلى الحبّ المُتعدّد (ناظم حكمت المنتقل بين النساء) إلى حبّ الطّغاة المُتعجرفين (إدوارد الثامن وروزالين وهنري الثامن وكاترين ثمّ آن بولين) إلى الحبّ المُتأرجح (غادة السمّان وكنفاني) إلى الحبّ المُستحيل ينتهي بارداً وصامتاً (درويش وريتّا) إلى الحبّ المُنتحِر (خليل حاوي الهارب من حب ديزي الأمير) إلى الحبّ المُقاوم للعدوّ القاتل وللعُقم العربي السافل (نصوص فلسطين).

حِواريّةٌ نابِضةٌ... وحياةٌ ثالثةٌ !

ولم يَكن الشأنُ مع هذه القصص المُتراكبة للحبّ، اِستعادتَها على سبيل الإخبار عنها أو التذكير بها، عسى أنْ يتعرَّفَها القارئُ ويحبّها. إنما الشأنُ معها كان اِستلهامَها ومُحاورتَها وإطلاقَ

أبطالِها في دربٍ جديدٍ للحياة. إنه اِستئنافٌ للقصّة يَستبدِل راويها الأصليّ براوٍ عرفاويٍّ لا تُنكرْه القصّةُ ولا تستبدُّ بالراوي الأصليّ أيُّ غَيْرة منه.

هكذا بَدتْ لي نُصوصُ العرفاوي، «كتابةٌ مُصاحبةٌ للزمن» كما يقول الشاعر محمّد بنّيس عن مقالات محمود درويش، كتابةٌ مُصاحِبةٌ للزمن وليست كتابةً عن الزمن بعصوره العاطفيّة وحَقباتِه الضدّية واِنعطافاته التي تُوجِّه القصصَ وأبطالَها نحْوَ الحزن والغربة والأحلام المُهشَّمة والأرواح المُعطّبَةِ، أو نحو الفرح والدهشة والأحلام الغضّة والأرواح الطليقة والمنطلقة.

ما مِن دليلٍ أبلغَ على رِفقةِ الزمن، مِن هذه الحواريّة الحارّة والمُنبثقة مِن تضاعيف قصّة الحبّ المَرويَّة. بل إنّ من الحوار ما يَتناسلُ بعضُه من بعضٍ، فيستوي درجاتٍ، كلّ واحدةٍ تُسلِم إلى أخرى في اِنسيابيّةٍ مثيرةٍ. ذلك ما نُلفيه في النص3 المتعلّق برواية صلاح البرڤاوي «يخاف الأفراس» وبطلِها الهادي الثُّقبِ الغائرِ والشّاهدِ على ذاكرةٍ جمعيّةٍ مَشروخةٍ وجسَدٍ مَعطوبٍ. في هذا النصّ، تذهبُ الكاتبةُ سريعا إلى مُحاورةِ الروائيّ «كنتَ شاهداً مُتشدِّداً يا صلاح البرڤاوي وأنت تُدخِل الهادي بازينة ومعه جيل المعطوبين قسْراً إلى حُجرتِك وتُجلِسُه على كرسيّ الاعتراف» ص23، ومنه تمضي إلى حوارٍ مُستعادٍ للهادي مع زهرة «أحبّك يا زهرة ولا أملك دليلاً على ما أقول إلاّ الرّحيل» ص28، فحوارٍ باطنيٍّ تتشظّى ضمائرُه وتتداخل وِجهاتُه «هل كان ذلك الهادي بازينة أم قصّة جيل بقيَ عالقاً في منتصَفِ الأشياء (...) كيف فعلتَ.. ركضتَ بنا كلّ تلك المسافات لنَجِدَ أنفسنا في شُرفةٍ ما.. نقف وراءك مباشرةً أو وراء بطلِك نَرغب في دفْعِك من فوقها.. في لحظةٍ ساديّةٍ غريبةٍ وفي نفس الوقت لا نُريدك أنْ تموت يا هادي» ص29. هكذا يَحُلُّ الراوي العرفاويّ الجديد مَحلَّ الراوي البرڤاويِّ الأصليِّ... كأنّه تِرْبُه ونِدُّه الذي لا يَزيد شيئاً عن علمِه بشخصيّاتِه وتماهيه بها !

وفي النصّ9، تصطنِع العرفاوي حواراً عجيباً تتعدّد فيه الأصواتُ. بالكاد نستطيعُ أنْ نُميِّزَ صاحبَ الصوتِ المُخاطِبِ لمريانا، بل أنْ نُميِّزَ ماريانا نفسَها: أهي ماريانا دي بينيدا التاريخيّة اِبنة قبطان البحرية الملكيّة في غرناطة التي اِنحازت إلى الحرية، وناضلت ضدّ الحُكم المطلق، وأُعْدِمت؟ أم هي ماريانا الاستعاريّة التي تواترتْ في أشعار لوركا ومسرحيّاته، وجَعَلها أيقونةً خالدة للحبّ والحرية؟ هكذا اِنسابت الحواراتُ سَلِسَةً لا شيء يَكسرها أو يُعطّلها، وحارّةً لا تَكلُّفَ فيها: مع درويش ومظفّر والأحدب وآزميرالدا ومع البنت اللقيطة شكرا ويحي السنوار.

أقوى ما في هذه السّطور التي خُطّت بين حياتيْن، هو هذه الحواريّةُ التي حرّرت القصصَ وأبطالَها من ماضيها، ومدّت إليها يَدَها للتدخّل في مساراتها والفعل فيها، وهي تُطلِقُها أمام ناظرينا، فاسحةً أمامنا المجالَ لنختارَ منها النقطة الأجملَ التي نتقاطع فيها مع أبطالها، لنكُونَ نحن القرّاء، حياتَهم الثالثةَ المُنضافةَ إلى حياتيْ الكاتبة في كتابِها.

لا شِعْرَ ولا نَثْرَ...
ولا شَرْق ولا غَرْبَ... إنّما الإنسانُ مُطلقاً !

لئن كانت نصوصُ منية العرفاوي وَشيجةَ الصلةِ بالسرد، تستدعي بيُسرٍ كاملٍ فنياتِه الأصيلةَ وحِيَلَه الجميلة كما هو واضحٌ مِن تصرُّفِها في مادّة السِّيَرِ المنتقاةِ، فإنّ صلتَها بالشعر أوْكدُ وأوضحُ. كيف لا وهي التي اِستدعت أقوى شعراء أدبِنا العربيّ المعاصر والأدب العالميّ، بِسِيَرِهم الكثيفةَ ونُصوصِهم المبهِرة، وحاورتها بعبارة قرّبَتْها من شعريّاتهم: محمود درويش وصلاح عبد الصبور ودنقل وكافكا ولوركا وأولاد أحمد ومظفّر وناظم حكمت وغادة السمّان ومعين بسيسو وسميح القاسم وفدوى طوقان. ولأنّ الشعريّةَ تتجاوز الشعرَ لـتُلابسَ الخطاب الأدبيّ كلّه بما فيه من الفنّ وإبداعاتِ التلفّظ، فإنّ الكاتبةَ قد قَرَنت شعراءَها المُنتَخَبين بطيْفٍ مثلهم من القصّاصين والفلاسفة والرسّامين والموسيقيين، اِستدعت سِيَرَهم وسُرودَهم ومقولاتهم ولوحاتِهم ومعزوفاتِهم: سارتر ودي بوفوار وكامي وصلاح البرڤاوي ومحفوظ وكنفاني وِابن عربيّ وعماد الدين نسيمي وتولستوي وماركيز والرسامَيْن فريدا كالو وعابدين دينو... إلخ حتى وصلت إلى المُدوّن الفلسطيني الشهيد باسل الأعرج ورمزي أبي رضوان بائع الصُّحف وصانع اِنتفاضة الأطفال الذي اِنتهى كمنجاتيّاً.

إنّ عيناً فاحصةً للنصوص الثلاثينية لا تُخطئ مَكمَنَ الشعريّةِ فيها حيث كان التناصُّ قويّاً جدّا، تمّحي فيه الحُدودُ بين كلمات الكاتبة وكلمات كُتّابِها، وبين الأنساق والأنواع، وبين القديم والحديث، وبين الرافد والوافد. فلا شعرَ ولا نثرَ، ولا شرقَ ولا غربَ، إنّما الإنسانُ مطلقاً كما يقول الشاعرُ والباحثُ في الأدب الشعبي بلقاسم بن جابر عن المسعدي وسُدِّه. أليست هي القائلة: «تلك الشخصيّات اِلتقيْتُ بها في اللامُتَوَقَّع، خارج منطق الزمان والمكان داخل منطق الكينونة وإنسانية الإنسان، فكان لقاءً مُذهلاً وغريباً».

الحبُّ... «النهرُ الخالِدُ» !

لم يَكن صلاح البرڤاوي إلاّ مُصيباً في قوله إنّ الكتابَ «تَراتيلُ الحبّ في هيكلِ الوُجُود». إنه تراتيلُ بكل معاني اللفظة التي يَقصِرُها البعضُ على معنى حسنِ التلاوة. لكنّ معناها يَتجاوز ذلك لِيَشمل تنظيمَ الكلام وتنسيقَه وحسنَ تأليفه فضلا عن جودة إلقائه. وهذا مُجتمِعاً ينطبق على نصوص منية الترتيليّة.

و«لأنّ الحبَّ غيرُ مسبوق دائما» ولا يُكرّر فيه أحدٌ أحداً كما يقول الفيلسوف فتحي المسكيني، فمِنَ الطبيعيِّ ألاّ نكفَّ عن كتابتِه.

ولأنّ الحبَّ اليوم نَهْبٌ لكلّ ضروب الانتهاك من آلةٍ تكنولوجيةٍ ساحقةٍ، وسلطانِ سوقٍ جائرٍ، وآفةٍ فردانيةٍ قاتلةٍ، فُرِضَ عليه التقوقُعُ في غُربتِه والانفصالُ القسْريُّ عن منزِلِه العاطفيِّ الأول، فمن الطبيعيّ أنْ يكون كتابُ العرفاوي في الحبّ، اِبنَ زمانِه ومكانِه المُجاهِرَ برفض عالَم الوحشة والتوحّش الذي أجهزَ على الحبّ والإنسان معا.

إنّ أصالةَ طرحِ موضوعِ الحبّ، لا تتأتّى فقط من التنويع في قصصِه وعوالِمِه، بل هي تتأتّى أيضا وخاصّةً مِن تأصيلِه مُجتمعيّاً وإنسانيّاً: مجتمعيّاً برصْدِه كما يَجري في حياة البشر، وإنسانيّاً بردِّه كيفما اِندلَع ونَمَا وِانتهى، إلى جَوهرٍ إنسانيٍّ واحدٍ خالِصٍ «اِحتفاءً بالإنسان والإنسانية».

ولكن مهما بدا لك موضوعُ الحبّ طاغياً على نصوص الكاتبة، فإنّ ذلك لا يَحْجِب البتّة ما اِتّصل به من الموضوعاتِ وتفرّع عنه من القضايا.

أشبهُ بنهر عظيم يبدو هذا الكتابُ !

حَوضُه الواسعُ -سُطورٌ- ومَجراه ذو الضفتيْن -بين حياتيْن- هو الحبُّ. أمّا روافِدُه والمَجاري المتدفّقة نحْوَه، فهي الموتُ والخيانةُ والوداعُ والخطيئةُ والهزيمةُ والاعترافُ والانتحارُ والزواجُ والسعادةُ والجريمةُ والوَحدةُ والبغاء والهشاشةُ والرحيلُ والانتصارُ والجوعُ والخيالُ والوطنُ والحربُ والمقاومةُ وثلجُ عين دراهم والحُلم والخوفُ وبكاءُ الأطفال وعذاباتُ أبناء الخطيئة.

إنّي لأجِد النّهرَ استعارةً مناسبةً لكتاب العرفاوي، كون النهر شريانَ حياة البشر كالحبّ تماما، وكونه من أكثر العوامل الجيومرفولوجية إسهاما في تشكيل سطح الأرض يُناظرُ في الكتاب ألوانَ الحياة المنشأة على ظهرها، وكونه يَهَبَهم المياهَ العذبةَ والغذاءَ وأسبابَ التنوّع البيولوجي، وهذا شبيهٌ بما يجب أنْ نَهَبَه للحبّ ليَستمرّ، أعني صدقَه وندِيَّتَه وكثافاتِه الروحيّةَ والجسديّةَ وخزّاناتِ الحُلم والخيال المُتغذّى منها.

الكاتبةُ الجيِّدةُ، هي بالأساس قارئةٌ جيِّدة

ما خطّتْه الكاتبةُ من السطور لتؤثّثَ به الحياتيْن كلتيْهما، ذو مزايا بلا عدٍّ، لا يُنكرها إلاّ جاحدٌ أو ناقِدٌ مِن «وُكلاء المَدى» العاطلين عن الأدب وعن النضال كما يَصفهم محمود درويش. وما يُفسِّرُ مزايا الكتاب، مزايا شخصيّةِ الكاتبةِ نفسِها، شخصيّتِها العاطفيّةِ والثقافيّةِ سواءً بسواءَ. لا تبدو لي هذه الكتابةُ عن الحبِّ مُنفصِلَةً عن ميدان التجربة الشخصيّة الحيّة والعارمة. فأنت عندما تقرأ ما تكتبُه عن القلب ص92/93 أو عن الحبّ والزواج ص97 أو عن الذين يُداوون جراحَهم بالخيال ص130 أو عن «الحبّ الذي يَسير فيه الفرحُ دائما إلى جانب الحزن.. كتفاً بكتِفٍ» ص134، و«الحبّ الذي يَعجز أحيانا عن تطييب آلام البشر» ص134.

عندما تقرأ هذا وغيرَه، تَيْقَنُ أنّ المتكلّمة اِشتقّت الكلمة والفكرةَ مِن أبعدِ نقطةٍ في روحِها، وهي في أقصى تَنَبُّهِها لما تَعيشُه في ذاتِها وتُعايِشُه مع غيرِها مُعايَشَةً حسّيةً مباشِرةً مثلما هو الحالُ مع فاتن (النص11) أو مُعايَشَةً رمزيّةً عاطفيّةً مثلما هو الحالُ مع قصصِ حُبِّ الشعراء والأدباء والملوك والأمراء والمُتصوِّفة والطُّغاة والمُقاومين وعامّة الناس مثل الهادي وصديقه حبيب. بيْدَ أنّ هذه الشخصيّةَ العاطفيّةَ «التجريبيّة»، لم تَذهب إلى هذه النصوص في نُسخة «الآحاد الطازجة» فقط بسبب شَغَفِ قُرّائها كما تقول. لقد ذهبت إليها بدافعٍ آخرَ أحْسَبُه أقوى وأعنفَ: إنه مساحةُ حبٍّ ليس بوِسْعِ عاشقٍ أنْ يُشاركَها فيها أو حتّى يَقتربَ منها، لأنها مِساحةٌ مَنذورةٌ وإلى الأبد إلى أبيها الراحل عن حياتِها منذ حين والباقي فيها إلى آبدين ! وهذا ما يَدلُّ عليه الإهداء «إلى أبي، شكراً لأنّك أنتَ مَن جعلتَ منّي «أنا»، إلى أنْ نلتقيَ هناك، سأحرص أنْ تبقى دائما فَخوراً بي». ولكن دلّت عليه قبْلَها تدويناتِ السيدة منية على صفحتِها في الفاسيبوك في التفجّع على أبيها وفي التعزّي والتأسّي والحنين والتدرّب القاسي على الغياب، ما جَعَلني أفهم نوعَ هذا الحبِّ ومداه في حياتِها، وجَعَلني أفهمُ عند قراءتي لنصوص الأحد إبّان نشرها الأول ومُعاودةَ قراءتها في الكتاب، أنّ الكاتبة كانت تَتداوى بتلك النصوص لتُشْفَى من حُزنِها، وأنّ أباها الراحلَ هو أوّلُ واحدٍ يَقفُ وراء هذا الكتاب !تراه بكلّ ملامِحِه في قولها «يَكتب العشّاق (...) عن حبيباتٍ يَعِشْنَ في الخيال، ويَعِشْنَ بالوُرود في شُرُفات الروح.. عن نساء يُغيّرْن مَذاقَ الحياة وقلوب الرجال تُخفق بقوّةٍ في حضرة اِمرأةٍ تَحمل الكون بين يديْها الصغيرتيْن.. ولكن لا أحد يَملك الشجاعةَ ليَكتب بحماسٍ عن آلام النهاياتِ (...) بَشِعةٌ تلك النهايةُ التي تأتي باردةً وصامتةً» ص148.

وإذا كانت هذه الشخصيةُ العاطفيّةُ تقتضي من القارئ جُهداً لكشفِ ملامِحِها، فإنّ الشخصيّةَ الثقافيّةَ تبدو مَكشوفةً تماما. حسْبُك على ذلك دليلاً أزواجَ الحبّ الذين اِستدعتْهم ووَصَفَتْهم وشكّلت منهم لائحةً إذا أنتَ عَدَدْتَها، ربّما تعِبْتَ من العدِّ. فالكاتبةُ لم تترك زوجاً في الأدب بشُعبتيْه الحقيقيّة والمُتخيَّلَة وفي الرسم التشكيلي وفي الفلسفة وفي السياسة وفي حياة المشاهير، إلاّ تعرّضتْ له وأضاءتْ الزوايا المُعتَّمَة من قصّته، واِستوحتْ منها أبعاداً وأبعاداً.

وإنّه لَمِن المُثير للإعجاب، أنْ تتجوّل بك كاتبةٌ صحفيّةٌ في كلّ هذه العوالِم والمُدوّناتِ والنصوص والحوادث المَحفورة في ذاكرة الكثيرين. وإنّ تمكُّنُها منها لَدليلٌ على أنّ الكاتبةَ الجيّدةَ هي دائماً وبالأساس قارئةٌ جيِّدةٌ [وكذلك الكاتبُ طبعا] !

دُروسُ الحبّ...

ولمّا كانت الكتابةُ فعلا مُركّباً، فإنّها لا تقتصر على مطلبٍ واحدٍ أو غايةٍ مفرَدَةٍ. وعدا عن مألوف وظائفها التي أوفتْ الكاتبةُ بها، فإنّ لهذه النصوص تركيزاً بَدا لي واضحاً جدّاً على الدروس المُستخلَصَة مِن سِيَر الحبِّ، دروسٍ لم تتورّط صاحبتُها في التعليم والتّعالم بل هي طرَحَتْها على سبيل الخُلاصات الدالة على مقدارِ اِندماجِها بها وبمَن كانت تكتُب عنهم. خُذْ لك مثَلاً قولَها «كنْ أنتَ بصمْتِك وغرابتِك وتفاصيلِك المُختلفة.. سيأتي يومٌ تُصبح فيه العلامةَ المُسجَّلَةَ ! درسٌ علَّمَتْه لنا فريدا دون قَصْدٍ منها» ص82 أو قولَها «لا تخذلْ نفسك بحزنك ويأسك، بل قاتِلْ من أجل نصيبك من السّعادة» ص90.

وكما أسلفتُ، فإنّ دروسَ الحبِّ، تبدو أبعدَ عن أيّ تعليميّةٍ أو أخلاقويّةٍ لأنها لا تندرج في إطار دفاع الكاتبة عن ذاتِها وتَمثُّلاتِها وتجاربِها بقدْرِ ما هي دفاعٌ عن ذاتٍ أوسعَ: ذاتِ البشرِ أو ما عبّرت عنه هي بـ«إنسانيّة الإنسان».

هي ذي «سُطور بين حياتيْن» كما قرأتُها ورأيتُها:
مَزْهريّةٌ مَفتوحةٌ كلَّ أحدٍ للمزيد من الوُرود والأزهار...
«فلا يُوجَدُ -تقول أحلام مستغانمي- حبٌّ كاملٌ، ولا جريمةٌ كاملةٌ» !
حديقةٌ بديعةٌ للحواسّ والعُشّاق والقِصص، مُشاعة للقرّاء منذ الساعات الأولى لأيام الآحاد، واِختارت بضمِّها بين دفّتَيْ كتاب أنْ تكون مُشاعة لقرّاء أكثر وأزمنةٍ أطول !
لكنّ الكاتبة على النحو الذي تكتبُ به، لا يُمكنها مطلقاً أنْ تَتمادى في هذا التساهل مع نصّها إلى حدٍّ تَجْعلُه مُعرَّضاً للهدْرِ والإتلاف. فما أكثرَ المقاطعَ التي قامت الكاتبةُ بتحويل وِجهتَها من الرواية إلى هذه النّصوص ! وهو تحويل وِجهةٍ حقيقيّ لأنّ الأمر مُتعلّق بمادّة روائيّة مُكتملة وليست أوليّة، لا يَنقُصها إلاّ الانضواء في مشروعات سرديّة تجعلُ فواعلَها وأحداثها تنمو وتنطلق.
حقّا...
لقد آن الأوان لتتوقّف الروائيّةُ عن «خيانة» راويها، وتبدأ بكتابة روايتها فوراً وبدون أيّ تأجيل !

شعرية التناص في أقصوصة «صيف» للكاتبة فاطمة البركاوي

أ. عبد الدائم عمري

في مجموعتها القصصية وللظلال نصيب من تلك الشمس الصادرة عن دار نقوش عربية لسنة 2020 ، اهداء الى المعلم الاول مؤدب القرية تكريما وعرفانا ، واقصوصات ست، الجامع بينها تفرد الشخصيات وطرافتها، وجمال اللغة والواصفة ورقتها، حتى يلتبس الامر على القارئ في بعض فصولها اشعرا يقرأ ام سردا. ولوما خشيت ان اقع تحت طائلة حقوق المؤلف لاعدت توزيع بعض فقراتها فاذا اشطرها شعرا يسعى.

ولعل التراسل والتداخل بين السردي من جهة والشعري والغنائي من جهة اخرى يتجلى سافرا في الاقصوصة الاولى « صيف « والصيف ضيف كما يقال، وقد اختارت لها الكاتبة عنوانا صاخبا رغم اختصار العبارة فيه، وراحت الكاتبة توظف اللازمة وهي من اخص خصائص الشعر والغناء « علاء جاء» (1).» اليوم عاد « (2) ، « اليوم جاء « (3)، « اليوم عاد « (4) ، « ابق معي... « (5)، « علاء يود زيارتك ,» (6) . وقد ترددت اللازمة بوتيرة ترسم شكلا هرميا يصاعد فيه النغم ويشتد التوتر في بدايته بما يلائم حالة الشك و الحيرة والخوف ، « أ في خريف العمر تأتي « (7) ثم يتراخي النغم وتتغير اللازمة فتصبح « ابق معي... « وتنتهي الاقصوصة وقد تشابكت الايدي تقول الساردة «ويد علاء المفتقرة الي تكتمل بيدي ، تجمع اصابعها جراء يدي المشردة وتراضيها «(8).

ان التناص او تسريد الشعري والغنائي واضح جلي لان عتبة الاقصوصة « اليوم جاء « تستدعي أغنية « ايظن « ، بصوت نجاة الصغيرة وكلمات الشاعر نزار قباني ، « اليوم عاد وبراءة الاطفال في عينيه « ، وفي نهايتها تستدعي أغنية « اسألك الرحيل « بصوت المغنية نفسها والشاعر ذاته وهي تغني « ابق معي حتى نهايات العمر «، وفعلا يبقى علاء معها حتى نهايات العمر. والتناص في الاقصوصة ليس شكليا وانما هو تناص بنائي.

فبين البداية وما فيها من خوف وشك والنهاية السعيدة بلقاء المحبين، يتضخم الزمن النفسي على حساب الزمن الميقاتي ، لان الاقصوصة تبدأ والساردة خلف نافذتها في الحي ترقب مثلما يرقب الجميع علاء وقد عاد من اوروبا، ولكن عودته هذه المرة مختلفة تماما، وسؤاله عن أحوال الساردة صديقة الطفولة مختلفة ايضا، وسرعان ما يرتد السرد الى الماضي لان الساردة في الاقصوصة تركها علاء وهي في اشد الحاجة اليه صديق طفولة حبيبا لم يفصح عن حبه خجلا ولم تفصح هي عن عاطفتها استتباعا ثم فرقت بينهما العادات والتقاليد والشهائد العلمية وتحول نجاح الساردة وارتقاؤها في سلم المعرفة من وسيلة لاسعادها الى اداة لفقد حبيبها اذ لم يتقدم لها لانه فشل في مواصل دراسته ومن هنا رحل الى اوروبا وتزوج هناك . فكان زواجه خيانة لحب لم يفصح المحبان عنه ولكن للغائب

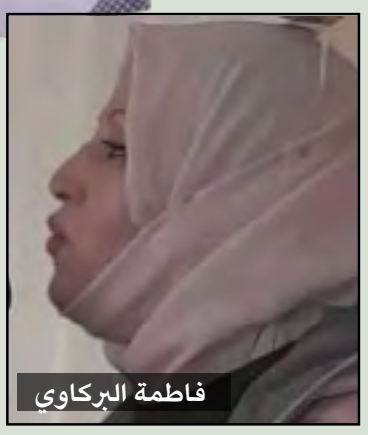
فاطمة البركاوي

حجته، وظلت الساردة تتجرع لعنة النجاح العلمي والمهني في مجتمع ذكوري لا يقبل ان تكون المرأة في مكانة ارفع، ولا يعترف للمراة بمكانة الا هذا الزوج الذي يمكن لها في الارض، لذلك ورغم جمالها ونجاحها فشلت كل المحاولات وظلت وحيدة وسرعان ما تقدم العمر وداهم الشيب شعرها وتسللت التجاعيد الخفيفة الى وجهها ومر قطار العمر وفرص الانجاب وتسللت مشاعر العنوسة الى قلبها ووحدتها ، وفي خريف العمر عاد « علاء « صديق طفولتها « وبراءة الاطفال في عينه، عاد هذه المرة بعد ان توفيت زوجته وكان يسير و» بين ذراعيه طفلة شقراء « .

لقد استطاعت الساردة وعلى طريقة التداعي الحر ان تسافر بنا لكي نكتشف ما يعتمل في نفس المرأة. وقد فاتها قطار الزواج كما يقولون ، وتساقطت بذور خصبها في وهاد العدم ، واستسلمت لوحدتها في صورة مؤلمة وان صيغت بمنتقى العبارة « سجين حكم ابدي قرر ترميم زنزانته وترتيب ضيقها ، وتزيين جدراوها « (9). صورة تتصادى مع بطل رواية الغريب لالبير كامو وهو في سجنه ينتظر تنفيذ حكم الاعدام عندما يقول « لقد اعتقدت دائما انه لو وضعوني في جذع شجرة لا ارى من فتحة فيه الا السماء فوق راسي ، سوف اتعود على ذلك « (10). كذلك كل السجناء سرعان ما يزينوا جدران سجونهم ، ولكنه سلوك قسري قائم على التعويض والكبت وتجرع الالم في صمت، كذلك الساردة راحت تصور حالة المرأة ومأساتها بين الشعور بتقدم العمر وزحف السنين على وجهها خاصة وبين مجتمع يكيل لها التهم « عانسا ، حائرة ،بائرة ، اهلكها الله افعالها ، ما افادها التفوق والنجاح « (11) ، فالمهم ليس التفوق في الدراسة والعمل وانما المهم « ان تكون مرغوبا فيها ، وان لم يثبت احدهم وجودها بالزواج منها فلن تثبت ذلك بمفردها ...» (12)، انه سرد وان جملته العبارة الشعرية ظل ينضح مرارة بل لعله يرقى الى منزلة السؤال عن المنزلة الوجودية للمرأة ولعل الساردة او الكاتبة وهي إمراة لم تتجرأ على طرح السؤال الوجودي ، حول منزلة المرأة في مجتمع يكلها للرجل ويربط تحقق وجودها واكتماله باعتراف الرجل بجمالها وطلبها للزواج والاعتراف بها بما يستدعي في ذهن القارئ عبارة طه الحسين الشهيرة « انا مستطيع بغيره...» (13). كذلك المراة مستطيعة بغيرها ، فهي « وردة لا تقطف الا زمن تفتحها « ، كما تقول صويحبات امها.

ان اسألة الاقصوصة وقد تهيأت بعد القراءة الفاحصة تترجم وعيا حادا بمنزلة الانسان عموما في الكون وهذا العجز المتربص به وكذلك تقدم العمر فقد وظفت الساردة العلامات غير اللفظية للتعبير عن تقدم العمر من خلال « التجاعيد الخفيفة ، ولون الشعر تحت الغطاء...» ، يتعمق الاحساس المرير بتقدم الزمن لانه لا يتهدد الجسد فقط وانما يتهدد جمال المرأة وما يمثله من قيمة تداولية في مجتمع لا ينظر لعقل المراة وعلمها وانما لجمالها ، والساردة اذ تصدر عن مخيال جمعي يقدم جمال المراة على ما سواه تتدخل تدخلا سافرا فيتحول السرد ودون مقدمات من ضمير المتكلم الى ضمير الغائب لتعلن انها « وقد تخطت الاربعين، مازالت تحتفظ بقدر من الجمال والرشاقة والشباب، حتى انها تبدو اقل من هذا السن بكثير. « (14).

وعملا بمقولة كارل ماركس « يصبح القمع اشد قمعا اذا اضفنا اليه وعي القمع « ، فإن الوعي بمنزلة المرأة ومأساة المرأة بدا مضاعفا في الاقصوصة بفقدان الحبيب والذئاب المتربصة والمجتمع الضاغط والام التي تبحث عن الحلول عند المشعوذين والسحرة، وتساقط بذور الخصب و سن اليأس والعنوسة، عز عليها ان تترك الشخصية لقدر يخطه مجتمع ظالم فتدخلت وهي الراوي العليم ودائم الحضور وهي الكاتب الذي ابتدع شخوص القصة، وحاك خيوطها، لتضرب بانتظارات القارئ والانقلاب المفاجئ عرض الحائط وتصنع لحظة التنوير كما تريدها فترد عليها حبيبها وان « في خريف العمر «، وهو في اشد الحاجة اليها، « وقد غزا الشيب شعره ، اتلذذ برؤيته وقد تولى الزمن أمره « (15) ، و « يضع الطفلة الشقراء في حجري « (16) ، فاذا هي بلمسة واحدة وبعصا سحرية من سارد حنون زوجة وأما في ان ، ويتردد في وعي القارئ وفي فصاء الاقصوصة صدى اغنية اخرى « حسيبك للزمن هو الى يخلصلي ثاري «. كلمات عبد الوهاب محمد وغناء ام كلثوم، ولأن الساردة لا تثق في هذا الزمن الغادر، لم تتركه له وانما اعادته اليها زوجا وحبيبا.

إصدار جديد

Humans as Third Dimensionalb Beingsb لمحمود الذوادي :

الإنسان كائن ثقافي بالطبع

صدر مؤخرا كتاب Humans as Third Dimensional Beings* (البشر ككائنات ثلاثية الأبعاد) للباحث في علم الاجتماع الدكتور محمود الذوادي عن دار نشر Austin Macauley Publishers الانقليزية.

بعدسة حديثة يستكشف الكتابُ الهوية البشرية حيث يقدم المؤلفُ بُعدا فريدا يفصل الإنسان عن بقية الأجناس الأخرى يتمثل في البعد الثالث للإنسان. عادة يُنظر للبشر باعتبارهم كائنات ثنائية الأبعاد تقتصر على الجسد والروح. يغامر هذا الكتاب بتجاوز ذلك من خلال رصيد مخضرم ثري من الرؤى الثقافية ونظريات العلوم الاجتماعية والمنظورات الإسلامية.

فعكس الأطر الفكرية السائدة للعلوم الاجتماعية التي تشير إلى البشر ككائنات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، يبرز الأستاذ الذوادي وجها منسيا رغم أهميته: الإنسان كائن ثقافي بالطبع أو هو كائن ثلاثي الأبعاد. فالفيلسوف وعالم الاجتماع Herbert Marcuse نظر إلى الإنسان كصاحب بعد واحد «one-dimensional man». كتاب لا يتحدى فقط الباحثين والعلماء في العلوم الاجتماعية بالنسبة لإهمالهم فكرة الإنسان ككائن ثقافي بالطبع ولكن ينتقد علماء الأنثروبولوجيا – رغم تركيزهم على دراسة الثقافة- لفقدانهم أو تهميشهم البعد الهام المتمثل في كون الإنسان كائنا ثقافيا بالطبع.

فإلقاء الأضواء على البعد الثالث للإنسان أو على الطبيعة الثقافية للإنسان أمر واجب لدعم وتعزيز مصداقية العلوم الاجتماعية خاصة لما نصرّح أن البشر هم كائنات اقتصادية وسياسية واجتماعية باعتبار تلك لسلوكيات هي معالم أساسية للسلوك البشري. فالغوص في خطاب منير يعيد تقييم جوهر الإنسان بواسطة عدسات ثقافية حاضنة تطرح تصورا جديدا يثري فهمنا لطبيعتنا المعقدة.

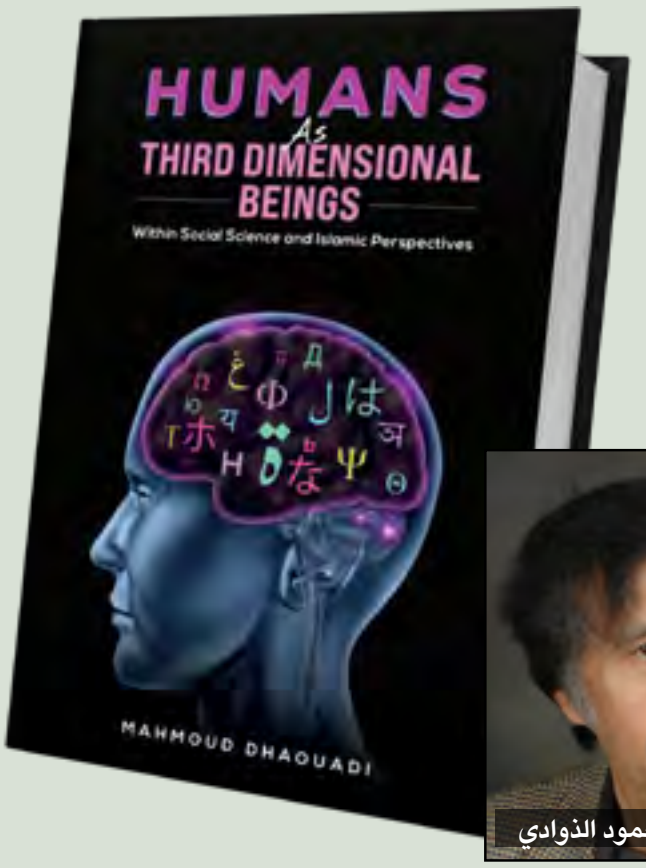

محمود الذوادي

*Humans as Third Dimensional Beings (2024) by Mahmoud Dhaouadi, sociolgist, Tunisia. Austin Macauley Publishers, New York.

الناشر

صورة تتحدّث

كانت الدنيا وقتها
وقت إلي تتلم لحباب
ديراكت يشعل هاذا
والصغار ما يدزولهم كويس كان في الوجه الثاني من الطبخة
وعليه رشة كاكاوية
وساعات بالسرقة
نعملو بيه كسكروت
ايه نعم كسكروت تاي

من نصوص الفلاسفة :

دفاعا عن منزلة الفلسفة وتعلّمها

ترجمة وتعليق : عبد الوهاب البراهمي
متفقد عام للتربية سابقا (فلسفة)

« فالفلسفة؟ قال: كلام مترجم، وعلم مرجم، بعيد مداه، قليل جدواه، مخوف على صاحبه سطوة الملوك وعداوة العامة».
الجاحظ (أورده الثعالبي في اللطائف والظرائف)

«إن مثل من منع النظر في كتب الحكمة من هو أهل لها، من أجل أن قوماً من أراذل الناس قد يظن بهم أنهم ضلوا من قبل نظرهم فيها، مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات من العطش، لأن قوماً غرقوا به فماتوا»
ابن رشد « فصل المقال ..»

مقدّمة المترجم :

يقول برتراند رسّل بأنّ « الفلسفة لا تستطيع أن تبرّر مشروعية وجودها وقيمتها بالنسبة إلى الآخرين ، وفق منطق النفع والمصلحة «، فليس لها من مشروعية سوى ما يخصّها كقول، كمعقولية مخصوصة ، مشروعية داخلية بوصفها تفكيرا أو بالأحرى «استخداما شخصيا للعقل» أي حرّا يستخدم الشك والنقد والتساؤل ... في مواجهة ما يوجد. ولأنه كذلك ، فمن العسير أن يقنع « الآخرين» بقيمته، بالرغم من انشغاله بوضع البشر أساسا ، بالإنسان موضوعه المميّز والممتاز. من هنا فليس من الغريب أن يكون للفلسفة أعداءها وخصومها وهي التي لا تكفّ عن أن تكون « تفكيرا نقديا» في مواجهة واقع « اضطهاد البشر واستعبادهم « ، تسعى إلى فضحه وكشف آلياته وصور إمكان التحرر منه . الأمر الذي يجعلها في خصومة دائمة مع « النظام القائم» ، مع كلّ أشكال الهيمنة على البشر تدافع عنهم وتدافع عن وجودها من أجلها و أجلهم باعتبارها « أفقا « لخلاصهم بالرغم من علاقتهم الصعبة بينها وبينهم. ولعلّ ما تعيشه الفلسفة اليوم داخل « المؤسسة التعليمية» وخارجها وما تتعرّض له من تبخيس لبضاعتها ، وسعي إلى إقصائها بدعوى « لاجدواها»... شاهد على ذلك. ولأنّ هذا» الوضع الصعب»كان دوما من قبل وإلى يوم الناس هذا من صنع « أعدائها» وهم كثير ومن كل صوب، ولأنه في جانب منه ناتج عن سوء فهم « للفلسفة لمعناها ودورها ومهمة تعليمها للناشئة ...»(والمرء عدوّ ما يجهل)، نسوق هذه النصوص إلى القارئ، نصوصا لفلاسفة يشهدوا على حقيقة قيمة الفلسفة ، وهم منتحلوها وصناعها، وعلى ضرورة وجودها وضرورة تعليمها مقوما من مقومات التمدّن. ذلك وانه مثلما قال ديكارت « يقاس تمدن شعب بمقدار شيوع التفلسف فيه» .قاصدين بذلك المساهمة في تصويب آراء الناس عنها وإدراك منزلتها الحقيقية وحاجتهم الملحّة إليها.

مدرسة أثينا - رافائييل

«لا ينحت الخطاب الفلسفي تماثيل جامدة، بل يريد أن يجعل ممّا يلامسه ، شيئا نشطا فعّالا وحيّا ؛ إنّه يستثير زخما حركيا ، وأحكاما لأفعال نافعة واختيارات لصالح الخير «.
بليتارخوس (Plutarque).

«جاء (ماندرات دي بريين) احد تلاميذ طاليس يوما إلى معلّمه وسأله:» أي مكافأة تريد، معلّمي ، كي أعبّر لك بها عن امتناني لكل التعاليم الحسنة التي أدين لك بها؟» فأجابه:» حينما تتاح لك الفرصة لتعليم تلاميذ آخرين، عرّفهم بأنّي أنا صاحب هذا المذهب؛ فسيكون ذلك بالنسبة إليك تواضعا جديرا بالثناء، وبالنسبة إليّ ، مكافأة ثمينة».

***

«ما هي المنزلة التي يحتلها الفيلسوف في المدينة؟ ستكون منزلة نحات ، ينحت البشر ، منزلة صانع يصنع مواطنين صالحين ومحترمين . لن يكون له إذن من مهنة ، سوى تطهير نفسه وتطهير الآخرين كي يحيوا الحياة المتوافقة مع الطبيعة ، تلك التي تلاؤم الإنسان. سيكون أبا مشتركا وبيداغوجيا لكل المواطنين ، مُصلحهم ومرشدهم وحاميهم، يهب نفسه للجميع حتى يشارك في استكمال كل خير، فرحا مع أولئك الذين تغمرهم السعادة ، متعاطفا مع أولئك الذين أصابهم الحزن ومواسيا لهم «.
« إيبكتات « الدليل المختصر»
-32 سطر 154 نشر « هادو» ، لايد ، بريل 1996.

***

« ليس الفيلسوف وحيدا، فهو لا ينفصل عن تلاميذه وعن أتباعه وخصومه. وهو لا يتوصّل إلى الأشكال المكتوبة والقارّة لعمله إلاّ في نهاية السّباق. نحن في النهاية إزاء مسرح أكثر منه مقالة ، وإزاء حوارات أكثر منه مناجاة وإلى درس أكثر منه كتابا. إنّ النموذج البدهي هو سقراط وأفلاطون، اللذان استطاعا أن يضمنا للفلسفة ، بتأسيسها كحقل معرفيّ، وجوب أن تشيّد في أيّ مكان، في المتعدّد من العالم. نعم ، تقريظ الفلسفة بوصفها إبداعا عموميّا لفكر، بابتكاره نفسه وانتقاله إلى أيّ مكان، متحدّثا إلى أيّ كان عنّ أيّ شيء مشتغَل عليه من جديد، يبتكر مَسْرَحَةَ الكائن ، بما هو كائن.»
آلان باديو (تمهيد كتاب» تقريظ الفلسفة «) .

****

* لن يكون للفلسفة من شرعية ولا نفع ولا حتّى وجود خارج مجرّد المحافظة على شبه البقاء الجامعي الأكاديمي، إن هي اكتفت بأن تكون محض تمرين لا طائل من وراءه للتفكير النرجسي في ذاتها، تطرح استنادا إلى ذاتها المواضيع التابعة لتراثها الخاص ، تلوكها وتجترّها بكيفيّة غير محدودة».
هابرماس «لم تصلح الفلسفة ؟» ملامح فلسفية وسياسية.

« تقريظ الفلسفة» شيشرون

«الفلسفة ، هي وحدها القادرة على أن توجّهنا! أنتِ من يعلّمنا الفضيلة ويُخضع الشرّ ! ماذا سنفعل ، وكيف سنَضْحَى من دون مساعدتك؟ أنت من يُنْشأ المدن ، كي يعيش الناس في مجتمع، بعد أن كانوا شتاتا. أنت من يوحّدهم، أوّلا بقرب المُقَام ، ثمّ بروابط الزواج ، وأخيرا بالخضوع للغة والكتابة. اخترعتِ القوانين ، وكوّنت الآداب وأسّست الشرطة. ستكونين ملاذنا؛ ولعونك سوف نلجأ؛ وإذا ما كنّا قد اكتفينا في أوقات أخرى بإتباع بعض دروسك ، فنحن اليوم ننقاد لك كلك ودون تحفّظ..

إنّ يوما واحدا ننقاد فيه لتعاليمك هو أفضل من الخلود لأيّ شخص يبتعد عنها. أيّ قوّة أخرى نناشد غير قوّتك، تلك التي وهبتنا سكينة الحياة ، وطمأنَتْنَا بشأن الخوف من الموت؟ ومع ذلك، فنحن أبعد عن أن نعطي للفلسفة التقدير الذي تستحقّ. لا يأبه لها كلّ الناس تقريبا: وكثير منهم يهاجمها حتّى. نُهاجم من نَدِين له بالحياة ، من ذا الذي يتجرّأ على أن يلوّث يديه بجريمة قتل الآباء؟ هل بلغنا من النكران للجميل حدّا نُهِين فيه معلّمًا، وَجَبَ علينا على الأقلّ احترامه ، حتى لو لم نكن قادرين على فهم دروسه؟ أعزو هذه العداوة إلى عدم استطاعة الجهلة ، من خلال الظلمات التي تعمي أبصارهم، الرجوع إلى أقدم الأزمنة، كي يروا فيها أن أوّل من شيّد المجتمعات البشرية كانوا فلاسفة. أمّا عن الاسم ، فهو حديث ، لكن بالنسبة إلى الشيء نفسه ، فنحن نرى أنّه قديم جدّا». شيشرون «الأعمال الكاملة، الكتاب الخامس «عن الفضيلة».

- ابن رشد: ضرورة النظر العقلي

« إذا تقرّر أنّ الشّرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها، وكان

الاعتبار ليس شيئا أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه، وهذا هو القياس أو بالقياس ، فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي.

وبيّن أن هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع وحثّ عليه ، هو أتمّ أنواع النظر بأتمّ أنواع القياس، وهو المسمّى برهانا...

وإذا كان هذا هكذا ، فقد وجب علينا إن ألفينا لمن تقدّم من الأمم السالفة نظرا في الموجودات واعتبارا لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما أثبتوه في كتبهم. فما كان منها موافقا للحقّ قبلناه منهم ، وسررنا به، وشكرناهم عليه . وما كان غير موافق للحقّ نبهنا عليه وحذّرنا منه وعذرناهم .

... فنقول إن كان فعل الفلسفة ليس شيئاً أكثر من النظر في الموجودات، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات إنما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها. وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم، وكأن الشرع قد ندب إلى اعتبار الموجودات، وحث على ذلك فبين أن ما يدل عليه هذا الاسم إما واجب بالشرع، وإما مندوب إليه....

....إن مثل من منع النظر في كتب الحكمة من هو أهل لها، من أجل أن قوماً من أراذل الناس قد يظن بهم أنهم ضلوا من قبل نظرهم فيها، مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات من العطش، لأن قوماً غرقوا به فماتوا. فإن الموت عن الماء بالغرق أمر عارض، وعن العطش أمر ذاتي وضروري.» ابن رشد « فصل المقال فيما بين الحكمة و الشريعة من اتصال». ص26-25-24-23 دار المعارف مصر دراسة وتحقيق محمد عمارة - الطبعة الثالثة.

- كانط : وفق أيّ منهج يجب أن تدرّس الفلسفة؟

« بما أنها (أي الفلسفة) ليست في الحقيقة انشغالا للراشد، فليس من الغريب أن َتقوم صعوبات حينما نريد مواجهتها بالكفاءة الأقلّ ممارسة للشباب. فالطالب الذي قد فارق التعليم المدرسي كان معتادا على التعلّم . و يعتقد الآن بأنه سيتعلّم الفلسفة، وهو ما يستحيل مع ذلك إذ عليه من الآن فصاعدا أن يتعلّم التفلسف. وسأوضّح ما أقول أكثر : يمكن لكل العلوم التي بإمكاننا تعلّمها حرفيا أن تردّ إلى جنسين: العلوم التاريخية والرياضية . تنتمي إلى الأولى (التاريخية) بخلاف التاريخ تحديدا ، وصف الطبيعة والفلسفة والحق الوضعي الخ. بيد ان التجربة الشخصية أو الشهادة الخارجية تمثّل، في كل ما تاريخي، ، - وفي كل ما هو رياضي ، شيئا معطى في الواقع والذي هو بالتالي كسب وليس له إذن إلاّ أن يقع استيعابه : فهو إذن ممكن حال تعلّم هذا أو تلك، أي أن يرسّخ إمّا في الذاكرة أو الفهم، ما يمكن أن يقدّم بوصفه تخصّصا مكتملا بعدُ. إذن ولكي يمكننا تعلّم الفلسفة، وجب أوّلا أن تكون موجودة فعلا بما هي كذلك. يمكننا تقديم كتاب ، والقول:» انظروا ، هذا من العلم و المعارف الموثوقة ؛ تعلمّوا فهمه وحفظه، وابنوا فيما بعد عليه وستكونوا فلاسفة»: حتى يُقدّم لي كتاب ما لفيلسوف ، أستطيع أن أعتمد عليه تقريبا مثل بوليب ، لعرض حدث تاريخي ، أو اوقليدس لتفسير قضية هندسية، وان يسمح لي بالقول بأننا نسيء لثقة الجمهور حينما ، بدل توسيع كفاءة الذهنية للشباب الذين هم في أمانتنا، وتكوينها بغرض إكسابهم معرفة شخصية مستقبلية ، في نضجها ، فنحن نخدعهم بفلسفة يزعم أنها مكتملة ، والتي قد وقع تخيلها لهم من آخرين، والتي يخلص منها علم وهمي ، ليس له قيمة إلاّ في مواضع معينة ولدى بعض الناس، لكنها لا تتداول في مواضع أخرى لفقدانها أي قيمة.

إنّ المنهج المخصوص للتعليم في الفلسفة هوبحثي ZÉTÉTIQUE ، مثلما يسميه بعض القدماء (من ZÉTEIN أي بحث)، بمعنى هو منهج البحث ، وربما لا يكون دغمائيا في بعض المجالات إلا في استخدام عمومي، أي منهجا تقريريا. فلا يجب على المُؤلِّف الفلسفي الذي يُستند إليه في التعليم أن يعتبر بالمرة نموذجا للحكم، بل بوصفه فحسب مناسبة للحكم على الذات استنادا إليه، ويكون منهج التفكير والاستدلال الشخصي هو المنهج الذي يسعى الطالب بالأساس إلى اكتسابه».

(كانط ، إعلان عن برنامج دروس منتصف الفصل الدراسي شتاء -1765 1766 ترجمة ميشيل فيشان ، فران ، 1973ن ص 70-69).

- هيجل : بيداغوجيا تعلّم الفلسفة

« إنّ التمشي المجسّد في الاستئناس بفلسفة غنيّة في محتواها ليس شيئا آخر سوى التعلّم. يجب على الفلسفة بالضرورة أن تدرّس وتُتعلّم، إضافة إلى كلّ علم آخر. إنّ البائس المتأكّل الذي يدعو إلى التربية بغرض التفكير بأنفسنا وبإنتاج الخاص ، يكون قد قذف بهذه الحقيقة إلى الظلمة- كما لو، حينما أتعلم ما هو الجوهر، والعلّة أو أي شيء آخر، لا أفكّر بنفسي، كما لو لا أنتج بنفسي هذه التحديدات في فكري ، كما لو قذف بها فيه مثل حجر!- كما لو ، أيضا حينما أحدّد حقيقتها ، لا اكتسب بنفسي هذا التحديد ، ولا أقنع نفسي بنفسي بهذه الحقائق!- كما لو ، إذا ما عرفت جيدا يوما ما نظرية فيثاغورس وبرهانها، فلن أعرف بنفسي هذه القضية ولا أبرهن بنفسي حتّى على حقيقتها!، وبالمثل فإن الدراسة الفلسفية هي في ذاتها نشاطا شخصيا ، في نفس الوقت الذي هي فيه تعلّم- تعلّم علم موجود بعدُ، مُكوّن. إنّ هذا العلم هو كنز يتضمن محتوى مكتسب ، مبنيّ تماما ، مشكّل؛ يجب على هذه المادة الموروثة الموجودة بعدُ أن تكتسب من الفرد، أي أن تُتعلّم. المعلّم يملك هذا المحتوى، ويفكّر فيه أوّلا والتلاميذ بعد ذلك . تتضمن العلوم الفلسفية ، في موضوعاتها ، الأفكار الكونية الحقيقيّة ؛ وهي ثمرة إنتاج عمل العباقرة المفكّرين لكلّ الأزمنة. و تتخطّى هذه الأفكار الحقيقيّة ما يتوصّل إلى إنتاجه بفكره شاب غير مثقف ، بقدر ما يتجاوز هذا الكم من الجهد العبقريّ جهد مثل هذا الشابّ . إنّ التمثّل الأصلي ، والخاص الذي يملكه الشباب عن موضوعات جوهرية هو من جهة ، ما يزال فقيرا وفارغا، ومن جهة أخرى ليس في جانب كبير منه، سوى رأيا ووهما ، ونصف فكرة وفكر أعرج غير محدّد. وبفضل التعلّم تحلّ الحقيقة محلّ هذا الفكر الذي يتوهّم».

هيجل . رسالة إلى نيثامر بتاريخ 23 أكتوبر1812، ضمن نصوص بيداغوجية ، فران 1990 ص143-142.

- نيتشه : منزلة مدرّس الفلسفة في المجال العمومي

(...) تختار الدولة بنفسها من يخدمها من الفلاسفة وتنتدب منهم قدر ما تحتاج لمؤسساتها: فتعطي الانطباع إذن بأنّها تعرف التفريق بين الحسن والسيئ من الفلاسفة ، بل أكثر من ذلك إنها تفترض أنّه يجب أن يوجد ما يكفي من الفلاسفة الجيّدين كي تشغل كَراسي التدريس. (...) وتلزم أولئك الذين اختاروا الإقامة في مكان محدّد، وفي بيئة محدّدة، بأن يمارسوا فيه نشاطا محدّدا: أن يدرّسوا ، كلّ يوم ، في وقت محدّد، كل الطلبة الذين يرغبون في سماعهم . وإني لأسأل: هل يمكن لفيلسوف أن يلتزم عن طيبة خاطر بأن يكون له شيئا ما يدرّسه كلّ يوم ؟ وأن يدرّسه لكلّ من يريد سماعه ؟ ألا يكون مكرها على الكلام أمام حضور مجهول عن أشياء لا يمكن له الحديث عنها دون مخاطر إلاّ أمام أكثر أصدقاءه حميميّة ؟ ثمّ ، ألا يتخلّى، في النهاية هكذا، عن حريّته مصدر فخره، حريّة الانقياد لعبقريته حينما تدعوه، وإتباعها إلى حيث ما تريد؟- وذلك بموجب أنّه مدعوّ إلى أن يفكّر عموميا، في ساعات محدّدة مسبقا في أشياء مقرّرة مسبقا ؟ وإذا ما شعر يوما ما بأنّه لا يمكن له يومها أن يفكّر في شيء، وأنّه لا يستحضر أيّ فكرة في ذهنه- و كان عليه مع ذلك، أن يسجّل حضوره ويتظاهر بالتفكير؟

ولكن ، قد يعترض عليّ ، بأنّ المدرّس ليس محمولا على التفكير، وبخاصة على التفكير في فكر إنسان آخر، أو إثراءه؛ عليه أن يكون قبل كل شيء راسخ المعرفة بكل المفكّرين السابقين، فسيحسن القول فيهم بشيء يجهله تلاميذه.(...) غير أنّ المعرفة الراسخة بماضي التاريخ لم يكن أبدا شأن الفيلسوف الحقيقيّ، لا في الهند ولا في اليونان؛ ولو اضطلع أستاذ فلسفة بهذا العمل ، فهو ملزم بتحمّل ما يقال عنه بأنّه « فيلولوجي جيّد، وعالم آثار جيد وألسني جيّد ومؤرّخ جيد «، ولكنّه ليس « فيلسوفا جيّدا» بالمرّة. (...) وفي النهاية أيّ شيء في تاريخ الفلسفة قد يعني شبابنا؟ هل نريد أن نثنيهم عن أن يكون لهم رأي شخصي بأن نظهر لهم التكدّس الغامض لكلّ الآراء؟ هل نريد أن نعلّمهم أن ينضمّوا إلى جوقة المهلّلين على شرف الأشياء الجميلة التي صنعناها؟ هل نريد أن يتعلمّوا كره الفلسفة وازدراءها ؟ (...) فنحن لم ندرس يوما نفس المنهج النقدي ، و الشيء الوحيد الثابت ، والذي يمكن أن نطبّقه على فلسفة ، يتمثّل في التساؤل إذا ما كان بإمكاننا أن نعيش وفق مبادئها؛ نحن لا ندرس سوى نقد الكلمات بالكلمات. والآن ونحن نتمثّل روحا يافعة ، دون خبرة كبيرة في الحياة ، قد حُبس فيها خليط جنبا إلى جنب من خمسين نقد لنفس هذه الأنساق- أيّ فوضى، وأي ّ بربرية ، وأيّ سخرية بالنسبة إلى أيّ تربية فلسفية! « (نيتشه، شوبنهاور مربّيا) .

- ميشيل فوكو: واقع تدريس الفلسفة ودور مدرّسيها*

«إنّ الفلسفة هي هنا في نهاية التعليم الثانوي من أجل أن تحقّق لمن استفادوا منها ، الوعي بأنّ لهم الحقّ من هنا فصاعدا في رؤية الأشياء في مجموعها . نقول لهم :" لا ، أنا (بوصفي مدرسا للفلسفة) لا أعلمك شيئا : ليست الفلسفة علما إنما هي تفكير ، طريقة في التفكير ، تسمح بوضع كل شيء موضع السؤال ومجابهته. لقد آمنتم طيلة خمس أو ستّ سنوات بجمال "إيفيجينيا" وبانقسام الخلايا الجنسية و" الإقلاع الاقتصادي ÉCONOMIQUE TAKE OFF " لأنقلترا البورجوازية . كل هذه المعرفة ها أنتم أمام حقّ فحصها من جديد – لا في دقتها ، بل في حدودها ، وفي أسسها وأصولها. وما ستحصلونه من معرفة ، حينما تصبحون أطباء ومديري تسويق أو كيميائيين، فلابدّ أن تخضعوه لنفس المَحْكمة . أنتم تتجهون إلى أن تكونوا مواطنين أحرار في جمهورية المعرفة ؛ لكم أن تمارسوا حقوقكم. ولكن بشرط: أن تستخدموا فكركم وفكركم فقط. أن تفكّروا أي أن يكون لكم حسّ سليم مؤيّد قليلا، وحكم نزيه يستمع إلى المع والضدّ، وفي النهاية حريّة. لأجل ذلك ، يواصل الأستاذ، قائلا ، وبغضّ النظر عن حَرْفِية برنامج لا يلزمنا تماما ، سأحاول أن أعلّمكم الحكم بحريّة . الحرية والحكم- ذاك ما سيكون شكل خطابنا ؛ وهو إذن

ما سيكون عليه بالطبع محتواه : فزميلي في القسم المحاذي ، وهو الستيني ، سيؤكّد على الحكم بالرجوع إلى آلان. بينما أريد أن أتكلّم عن الحرية خاصّة – وعن سارتر لأنّني أربعيني . لكن لا أنتم ولا رفاقكم خارجا سيخسرون في المشاركة . فسارتر و آلان ، هما قسم الفلسفة وقد أصبح فكرا.“

* تعرفون أنه لا توجد الفلسفة. وما يوجد هم « فلاسفة» ، أي صنف من البشر أنشطتهم وخطاباتهم تغيّرت كثيرا من مرحلة إلى أخرى. وما يميّزهم مثل جيرانهم الشعراء والمجانين هو أن التقاسم هو الذي يعزلهم وليست وحدة الجنس أو استمرارية المرض.

فهم لم يصيروا فلاسفة إلاّ منذ وقت وقصير، ربّما هي مرحلة ، وربّما لن نظلّ طويلا. وعلى أيّ حال فإنّ اندماج الفيلسوف في الجامعة لم يحدث بنفس الطريقة في فرنسا و في ألمانيا. ففي ألمانيا كان الفيلسوف مرتبطا ، منذ عصر فيخته وهيجل بمؤسّسة الدولة: من هنا كان معنى هذه المهمّة العميقة ، ومن هنا ، هذه « الجدية لـ» موظّفي التاريخ» FONCTIONNAIRES DE L’HISTOIRE، ومن هنا ، هذا الدور الذي لعبوه من هيجل إلى نيتشه ، للناطق باسم ، القادح للدولة INVECTIVEUR DE L’ÉTAT.

أما في فرنسا، فقد كان أستاذ الفلسفة مرتبطا بأكثر احتشام (بصورة مباشرة في المعاهد، وبصورة غير مباشرة في الكليات) بالتعليم العمومي ، بالوعي الاجتماعي بشكل محسوب بدقّة من « حرية التفكير» ، ولنقل ، حتى نكون صرحاء: بالمؤسسة التقدمية للاقتراع المباشر. من هنا، كان هذا الأسلوب للمدير، أو الرقيب، ومن هنا دور المدافع عن الحريات الفردية وتقييد الأفكار، الذين يفضلون لعبه؛ ومن هنا كان ميلهم إلى الصحافة ، وانشغالهم بالتعريف بأفكارهم وحرصهم الشديد على الإجابة في المحادثات.

....على أيّ حال، نفهم أنّه، مع الدور الذي أرادوه (أي أساتذة الفلسفة)، فإنّه يجب أن يكون ما يدرسونه فلسفة للوعي ، و الحكم والحرية. ويجب أن تكون فلسفة تحافظ على حقوق الذات أمام كلّ معرفة – وتفوّق كلّ وعي فردي على كلّ سياسة. بيد انّه، وتحت تأثير التطوّرات الأخيرة، ظهرت مشكلات جديدة: ليست بالمرّة ما هي حدود المعرفة (أو أسسها)، بل من هم العارفون؟ كيف يحدث تملك المعرفة وتوزيعها؟ كيف تحتلّ معرفة ما موقعها في المجتمع، وتتطوّر داخله، وتحشد مصادرها وتكون في خدمة اقتصاد؟ كيف تتكوّن المعرفة في مجتمع وكيف تتحوّل داخله؟ من هنا كانت سلسلتان من الأسئلة : بعضها نظري حول العلاقات بين المعرفة والسياسة، وبعضها الآخر ، أكثر نقدية، حول ما هي الجامعة (الكليات والمعاهد)من حيث فضاء في الظاهر محايد حيث يفترض توزيع معرفة موضوعية بإنصاف .وإذا ما كانت هذه الأسئلة قد طرحت في قسم الفلسفة ، فمن الواضح أن وظيفتها التقليدية لابد أن تتغيّر جذريّا. لقد تصنع السيد قيشار الدفاع عن الفلسفة ضدّ اندساس طلبة لم يكونوا قد كوّنوا للتعليم، وفي الواقع فهو يحمي شغل قسم الفلسفة القديم ضدّ طريقة في طرح الأسئلة تجعلها مستحيلة.

من محادثة مع ميشيل فوكو (حَادَثُه باتريك لوريو “ نوفال ابسارفاتور“ فيفري 1970).

* نص من محادثة جاءت في سياق قرار وزاري (فيفري 1970) بحذف قسم الفلسفة من جامعة « فانسان» حيث يشغل فوكور ئيس خطة رئيس قسم الفلسفة فيها. (المترجم).

- فوكو : معنى الفلسفة اليوم

«ماذا تعني إذن الفلسفة اليوم– أعني النشاط الفلسفي – إذا لم يكن فعل نقد الذات لذاتها؟ وإذا لم يتمثّل ، بدل تشريع ما نعرف بعدُ، في الانصراف إلى معرفة كيف وإلى أي حدّ يكون ممكنا التفكير على نحو آخر؟ يوجد دوما في الخطاب الفلسفي شيء ما سخيف، حينما يريد هذا الخطاب، من خارج ، أن يملي القانون على الخطابات الأخرى ، وأن يقول لها أين تكمن حقيقتها ، وكيف تعثر عليها ، أو حينما يظهر بمظهر الحازم في دراسة قضيتها في وضعية ساذجة ؛ غير أنّ هذا حقّه في استكشاف ما يمكن أن يتغيّر، في فكره بالذات، بالتمرين الذي يجريه على معرفة غريبة عنه. إنّ « المحاولة» التي يجب أن تُفهم بوصفها دليلَ تغيير الذات لذاتها في لعبة الحقيقة لا بوصفها تملّكا تبسيطيا للآخرين، لغايات تواصلية – هو الجسد الحيّ للفلسفة، لو ظلّت هذه على الأقلّ إلى الآن على ما كانت عليه من قبل، أي « تزهّدا» ASCÈSE ، تمرينا للذات في الفكر. «

فوكو» تاريخ الجنسانية ج 2 – استخدام المتع –غاليمار 1984 ص-14 15

- جيل دولوز : صورة الفيلسوف

« إنّ صورة الفيلسوف هي أيضا أقدم الصور . إنّها صورة المفكّر الماقبل –سقراطي ،» الفيزيولوجي» والفنان والمؤوّل والمقيّم للعالم.. كيف نفهم التقارب بين المستقبل والماضي؟ إنّ فيلسوف المستقبل هو المستكشف للعوالم القديمة ، للقمم والكهوف ، والذي لا يَخْلُقُ إلاّ من حيث يتذكّر شيئا قد نُسي بالأساس.

ليكن هذا الشيء ، حسب نيتشه، هو وحدة الحياة والفكر. هي وحدة مركّبة: خطوة من أجل الحياة ، وخطوة من أجل التفكير . تُلْهِمُ أنماط الحياة طرائق التفكير. و تَخْلُقُ أنماطُ التفكير أنماطَ الحياة. وتُنَشِّط الحياةُ الفكرَ و يؤكّد الفكرُ بدوره الحياةَ. ليس لدينا أدنى فكرة عن هذه الوحدة الماقبل– سقراطية. فليس لنا الآن سوى حالات حيث يُلْجِمُ الفِكْرُ ويبْتُرُ الحياةَ ، بجعلها بلا معنى ، وحيث تنتقم الحياة لنفسها وتجعل الفكرَ مجنونا، يضلّ الطريق.

ليس لنا الآن سوى أن نختار ما بين حيوات تافهة وبين مفكّرين مجانين . حيوات منصاعة كثيرا للمفكّرين و أفكارٍ كثيرة الجنون للأحياء : إيمانيول كانطَ وفريديريك هولدرلين.

لكن تظلّ الوحدة الدقيقة التي يكف الجنون فيها عن أن يكون كذلك، شيئا علينا اكتشافه– وحدة تحوّل قصّة الحياة إلى قول مأثور للفكر، وتقييمَ الفكرِ إلى منظورٍ جديد للحياة».

« جيل دولوز «محض محايثة» 2002 « PURE IMMANENCE (2002) P. 66ف. (66F

- أندريه كونت سبونفيل: معنى التفلسف.

التفلسف هو التفكير أبعد ممّا نعرف؛ هو أن نطرح على أنفسنا أسئلة لا يمكن لأيّ علم أن يجيب عنها. مثلا:» لماذا يوجد شيء بدل لاشيء؟»، «هل يوجد الإله؟» ، « ماذا يمكنني أن أعرف؟»، « ماذا يجب عليّ أن أفعل؟»، « ما العدالة؟»، « ما السعادة؟»، « كيف ندركها؟»...أو أن نطرح أيضا هذا السؤال الذي يلخّص كل الأسئلة الأخرى:» كيف نحيا؟» ولكن ما الفائدة من أن نطرح على أنفسنا أسئلة ، إذا لم يكن إلا من أجل أن لا نجيب عنها؟ وعلى خلاف ما نعتقد أحيانا، يجيب الفلاسفة عن الأسئلة التي يطرحونها، و هذه الأجوبة هي التي تكوّن فلسفتهم. من هنا تظهر الحاجة إلى الثقافة بأكثر وضوح. يمكن لطفل مثلا أن يطرح أسئلة فلسفية، تقريبا مثلما يكتب السيد جوردان نثرا. لكن أجوبته، إذا ما وجدت، ستكون تقريبا لا محالة ساذجة، بالمعنى السلبي للكلمة، لا بل فعلا حمقاء ، سطحيّة أو غير متناسقة. التفلسف، نتعلّمه! كيف؟ بالاحتكاك بالفلاسفة الكبار السابقين. يقول مالرو:» في المتاحف نتعلّم الرّسم» . وفي كتب الفلسفة نتعلّم التفلسف.

...والتفلسف هو البحث عن أجوبة عن الأسئلة الجوهرية التي نطرحها على أنفسنا. نحن في حاجة إذن إلى التفلسف بقدر ما يقلّ إيماننا بالأجوبة الجاهزة . وهذا ما يفسّر ما نسمّيه، منذ عدّة سنوات ،» عودة الفلسفة» . أمام انهيار الأجوبة الجاهزة التي تحملها الأديان الكبرى (وبالخصوص المسيحية في بلدنا) و الايديولوجيات الكبرى (لنُفَكِّر في ثقل الماركسية، في فرنسا في السنوات 50أو 60)، يحسّ معاصرونا بشيء من الضياع. وبما أنهم قد انتهوا إلى فهم أنّ العلوم الإنسانية ، مهما كانت جدارتها، لا تجيب عن السؤال :» كيف نحيا؟» (لا تقوم مقام الميتافيزيقا ولا الإيتيقا)، فهم يبحثون عن أجوبتهم الخاصّة عن الأسئلة التي يطرحونها على أنفسهم. وهذا ما يسمّى تفلسفا، وسرعان ما يكتشفون ، على هذا الطريق، عددا معينا من الكتاب يمكن أن يرشدوهم وينيرون سبيلهم ويرافقوهم.. من حوار مع : أندري كونت سبونفيل– حاورته: كارولين راكابي

مجلة»لوبوان:LEPOINTعدد2جويلية– سبتمبر2010ص13--6

- ميشيل أونفري : نحو فلسفة خارج التقليد

« وجب على الفلسفة أن تعود إلى الشارع وتخرج إلى الناس حيث تنتمي، وحيث كانت تنتمي في العصور القديمة. لاحظ كيف تزدحم أعمال افلاطون بالناس، السمّاكين، الاسكافيين، المومسات المارات الخ. الفلسفة لا تخص مشرعين يقرأون الكتب المعينة ويتفلسفون خلال وقت دوامهم. أن تكون فيلسوفا يعني أن تتفلسف طوال الوقت: هذا هو التقليد الأنتيكي الذي أود العودة إليه والذي للأسف أخذ في التلاشي بعد صعود المسيحية. يجب القول إنني لا أعتبر أن المسيح كان شخصية تاريخية على الاطلاق– المسيح هو شخصية تبلورت في خيال الإنجيليين الذين لم يعرف كتّابها يوما المسيح، وبهذا خنق آباء الكنيسة الفلسفة التي دارت حول لحم هذا الشخص ودمه فصارت تمرينا وبحثا مجنونا في تفاصيل عجيبة، حيث تأتى عليهم إثبات تلك العجائب مثل الثالوث، القيامة والولادات العذرية. هكذا نحصل على ما يزيد عن عشرة قرون من الفلسفة رُسمت انطلاقا من الرغبة في إضفاء الشرعية على شيء لا يمكن إقراره. فلسفة الجامعات التي نعرفها هي تطوير لتقليد علم المسيحية لذا عندما تتحدث عن فيلسوف فرنسي– النظرية الفرنسية كما يقول الأمريكيون، وأعني فلاسفة مثل دولوز، غاتاري، ديريدا وليوتار الخ – فذلك له علاقة بأصحاب التنويم المغناطيسي تماما. مازلت أبحث عن زميل لي في الفلسفة او أي شخص آخر يمكنه أن يشرح لي مؤلف دولوز «آنتي أوديبوس/أوديب المضاد/الضد أوديب» . كتب فوكو عن الجنون انطلاقا من قراءاته في الأرشيف فهو لم يعرف حقيقة المجانين وواقعهم. وفي عودة أبعد إلى الوراء لدينا سارتر الذي أراد أن يحشد عمال السيارات في بيلانكور، لكن لا أحد منهم فهم ما قال هذا «المثقف الذكي صاحب النظارات» الذي لم يختلط يوما في حياته بعمال حقيقيين. إنه ليس التفكير، بل تمارين التكرار المستغلقة التي تعيد استخدام ذات الطروحات القديمة. أريد عوضا عن ذلك توفير هذه المدرسية، والتقليل من شأن النقاش بأجمله المليء بالمصطلحات الضمنية والثقيلة. لهذا أسعى في فلسفتي التاريخية القبض على التفكير الفلسفي الذي قام خارج هذا التقليد وعاداه.»

ميشال أونفري ترجمة: دنى غالي (نظرات فلسفية).

الجنة في الرسالات السماوية وأساطير الشعوب

الناصر التومي - كاتب

لا يعتقد العبرانيونكما جاء في فصل جهنم في عالم البعث وما فيه من الجنة والجحيم، الثواب والعقاب حسبما جاء بالعهد القديم، باستثناء بعض الفرق اليهودية التي تنتقد هذا التمشي، لكن الإسلام يعتبر الدنيا دار ابتلاء وبعد الموت بعث فإما جنة أو نار.

الجنة في القرآن:

قال الله تعالى: قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75). (الزمر).

وقال الله تعالى: وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا(النساء الاية 57) .

وقال الله تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا(النساء الآية 124).

الجنة في الحديث الشريف:

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من يدخل الجنة ينعم، لا ييأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه (صحيح مسلم).

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال: درمك بيضاء، مسك خالص(صحيح مسلم).

ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلاتهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا، فذلك قوله عز وجل: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(الأعراف الآية 43) (رواه مسلم).

الجنة لدى السومريين القدامى» دلمون أرض الخلود»

نجد في أدب الحضارات السومرية وصف « دلمون» أرض الخلود الذي يشبه إلى درجة كبيرة وصف المسلمين للجنة، في هذا الفردوس الإلهي يهبط الإله « إنكي» ويخصب آلهة أخرى ثم يأتي النص التالي:

(« ننخرساك» هي التي جعلت ماء القلب يجري، لقد حصلت على ماء القلب « إنكي» يوم واحد وصار شهريا الأول، يومان مضيا كشهرين، وثلاثة أيام مضت كثلاثة أشهر، وأربعة أيام كانت أربعة أشهر، وخمسة أيام كانت خمسة أشهر، وستة أيام بمثابة الستة أشهر، وسبعة أيام مضت وكأنها سبعة أشهر، وثمانية أيام كثمانية أشهر، وتسعة أيام كتسعة أشهر. أرض الخلود دلمون حيث لا ينعق الغراب، ولا يرفرف طائر الموت، ولا تشتكي عجوز من الشيخوخة، ولا يشتكي إنسان من المرض، ولا توجد في « دلمون» شيخوخة لا يوجد في «دلمون» أي مرض، ولا توجد في دلمون بغضاء).

الجنة لدى البوذيين(1):

سيولد « بودي ساتفا « من « أميتابها « وهو «بوذا» أو النور الأبدي الذي يمثل «بوذا» الموجود منذ الأزل، وهو أحد تجسيدات جوهر بوذا الستة « بوذا المتأمل» وقد خرج من زهرة اللوتس ويمد يده لمساعدة الضعفاء والساقطين وتقول الأسطورة أن « أميتا بها» سيرفض الخلاص الفردي ويستعيد قوته ويتجدد ليساعد كل من يطلب عونه ويساعده على الخلاص للذهاب إلى الأرض الطاهرة حيث يولد هناك وهي الجنة الغربية.

الجنة لدى اليابانيين القدامى(2):

جاء في الأساطير اليابنية الشائعة أن جنة الأرض الطاهرة « كوكوراكو جودو» وهي منطقة « أميدا نيوري» السماوية فيها بركة، تطفو فيها أزهار اللوتس وأشجار ورحيق الآلهة « أمريوزا» وتجلس على أغصانها طيور نادرة جميلة وتتدلى منها أجراس تخرج موسيقى كونية ويجلس هناك «بوذا» مع أتباعه بين أزهار اللوتس، ويقول « هونيني» من يردد كلمة «أميدا نيوزي» بإخلاص وإيمان يذهب إلى الجنة.

الجنة لدى شعب المايا(3):

يعتقد شعب المايا أن آلهتم للانتحار»أكستاب» تهبط من السماء وحول رقبتها حبل وعيناها مغلقتان وتحمل على وجنتيها علامات الموت، ويعتقد «المايا» بأن المحاربين وضحايا القرابين الإنسانية والنساء اللائي يتوفين في الولادة يذهبون رأسا للجنة وتأتي الآلهة «أكستاب» لتجمع أرواحهم ويستريح الجميع من عناء التعب قرب الشجرة الكونية «ساكسجي» ولا يحتاجون إلى شيء إذ تلبى كل رغباتهم الكونية.

الجنة لدى قبيلة الديولاس بإفريقيا(4):

لدى قبيلة «الديولاس» أن الإنسان مركب من ثلاثة أقسام، قسم صالح وقسم شرير وقسم ممتاز، وعند الموت يتلاشى القسم الشرير، أما القسم الممتاز سوف يذهب إلى الجنة، ويعود القسم الصالح من جديد إلى الحياة.

نلاحظ من خلال أنموذج الأسطورة السومرية أن من بين الميزات لساكني الجنة أن لا بغضاء بينهم، فمن علمهم يا ترى ذلك وقد جاء القرآن الكريم بآيتين صريحتين في نفس المعنى:

ـ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(الأعراف الآية 43).

ـوَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ.(الحجر الآية 47).

أي أذهب الله تعالى ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن.

أما شعب «المايا» فإنهم يؤمنون بأن المحاربين، ومن يتوفين من النساء أثناء الولادة يدخلون الجنة وتلبى كل رغباتهم، وقد جاء في السنة النبوية ذلك في حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا:الذي يقاتل فيقتل في سبيل الله عز وجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شهداء أمتي إذا لقليل:القتيل في سبيل الله شهيد، والمطعون شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة(الإمام أحمد وابن ماجة وابن حبان).

أما تلبية رغبات سكان الجنة لدى شعب المايا، فقد جاء في القرآن والسنة ما يشفي الغليل وقد جاء في قرآننا ذلك: قال الله تعالى في آيتين:

ـ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا(الفرقان الآية 16).

ـ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ(فصلت الآية 31).

ـ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(الزخرف الآية 71).

وجاء في السنة النبوية: عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له أولست فيما شئت قال بلى ولكني أحب أن أزرع فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء فقال الأعرابي يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشيا أو أنصاريا فإنهم أصحاب زرع فنحن لسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله (رواد البخاري).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه عليه وسنه في ساعة كما يشتهي(رواه الترمذي).

وقد نستغرب إذا كانت قبائل بدائية متفرقة في الأرض ومنقطعة عن الحضارات تقول ضمن أساطيرها ومعتقداتها الشركية ما يتفق مع القرآن في جانب من الجوانب، فكيف بالعهد القديم وما احتواه من رسالة سماوية إلهية أن ينكرها أو يتغاضى عنها ولا يذكرها، وهذا لا يكون إلا إذا تدخل محررو العهد القديم ونساخه وحرفوا ما شاء لهم ليكون شعبهم في حل من المساءلة والجزاء والعقاب.

---

1) قاموس أساطير العالم صفحة 67.
2) قاموس أساطير العالم صفحة 103.
3) قاموس أساطير العالم صفحة 187.
4) بحث إلكتاروني لندى العمراني.

مصيفُ الكتاب بالمهدية، فوشانة والقلعة الصغرى :

نشاطات ثقافية مختلفة

فاخر بن سعيد

تنفيذا للخطة الوطنية للترغيب في المطالعة وتحت إشراف وزارة الشؤون الثقافية، تنظم إدارة المطالعة العمومية بالإدارة العامة للكتاب، المهرجان الوطني لمصيف الكتاب في دورته 31 وذلك من 15 جويلية إلى غاية 15 أوت 2024 بكامل شبكة المكتبات العمومية. كما تنتظم هذه التظاهرة سنويا في كامل شبكة المكتبات العمومية فضلا عن أنها تكتسح الفضاءات التي تشهد كثافة ارتياد عالية على غرار الشواطئ والمنتزهات الترفيهية والفضاءات التجارية العامة والمستشفيات والسجون والتجمعات السكانية داخل مناطق العمران وخارجها، حيث تقترح إدارة المطالعة العمومية تنظيم عدد من الأنشطة في علاقة بالكتاب والمطالعة وذلك في سياق تعميق التواصل بين القارئ والكتاب أثناء الفترة الصيفية.

رصدنَا في هذا المقال أنشطة مجموعة من المكتبات المختلفة سائلين عن التميّز والاختلاف كانت البداية مع المكتبة الجهوية بالمهدية حيث أفادت مديرة المكتبة الجهوية بالمهدية السيدة هالة غراد :

جمع مصيف الكتاب بين الإفادة والترفيهِ

تظاهرة ناجحة كانت مهرجانا بأتم معنى الكلمة حيث عرفت إقبالا جماهيريا كبيرا شاركت فيها كل الشرائح العمرية أطفال، ناشئة، شباب وكهول كما إحتضنت الأطفال ذوي صعوبات التعلم وذوي الإعاقة مع ورشات وعروض متنوعة جمعت بين الإفادة والترفيه وخاصة التأكيد على حب الكتاب والمطالعة كممارسة ثقافية ثابتة في المجتمع التونسي إختلفت الأمكنة في هذا المهرجان بين الساحات العامة والشواطىء وفضاء المكتبة شهدت حضورا إعلاميا مكثفا كما عرفت تكريمات لمختلف الفاعلين في الفعل الثقافي جهويا ووطنيا بتكريم ثلة من الشعراء وتكريم مبدعي الجهة من الأدباء والفائزين بالمسابقات الوطنية عن المكتبات العمومية بولاية المهدية على غرار مسابقة أوفى المطالعين، البطولة الوطنية للمطالعة وبيوتنا تقاسيم وكلمات وقد عرف المهرجان الوطني لمصيف الكتاب بالمكتبة الجهوية بالمهدية إستحسانا كبيرا من قبل أبناء الجهة والسياح الوافدين ومثقفي المهدية كان برنامج المصيف بالمكتبة الجهوية كالتالي

كان الافتتاح يوم الجمعة 26 جويلية بفضاء البرج العثماني بالمهدية

أمسية شعرية «فلسطين قصيدة وفاء» يؤثثها كل من الشاعر «المنصف الوهايبي»، الشاعر «سالم الشعباني» والشاعر «عادل الجريدي» مع عرض فني لفرقة أولاد المناجم الملتزمة بالشراكة مع مهرجان ليالي المهدية

الثلاثاء 30 جويلية 2024 على 17:00 مساء : بفضاء ساحة الفنون إفتتاح التظاهرة بكرنفال للدمى ، وإنطلاق عمل الورشات التي توزعت كالتالي

ورشة إنتاج فلم كرتوني بتقنية «STOP MOTION» مستوحى من قصة تأليف أطفال نادي الأديب الصغير وتجسيدها مع مخرج الأفلام الكرتونية «بلال بوعزيز»،

معرض لوحات تشكيلية لنادي الرسم والبراعات اليدوية بالمكتبة الجهوية مع مسابقة في الرسم بعنوان «FREEDOM» تأطير الأستاذة «أحلام تقتق»،ورشة لمسات بريئة تقديم الأستاذة «سهام السبع»، ورشة إعادة إنتاج قصة «عروس البحر» تقديم «مركب الطفولة بالزهراء»،تنشيط وألعاب تثقيفية تقديم الأستاذ «هاني العروي» و«نادي أطفال الروضة»

عرض مسرحي بعنوان «أطفال وطن» تقديم أطفال نادي الممثل الصغير بالمكتبة الجهوية بالمهدية تأطير الأستاذة «إقبال محجوب»وعرض راقص تقديم «مركب الطفولة بالزهراء»الإربعاء 31 جويلية 2024، ومساء بفضاء ساحة الفنون، ورشة «ENFANT CRÉATIF» تقديم جمعية «الطفل اليقظ» للأطفال ذوي إضطرابات وصعوبات التعلم، ورشة تحليل سلوكيات الطفل ونفسيته من خلال اللون تأطير الأستاذة «أحلام تقتق»، واصلة ورشة إنتاج فلم كرتوني بتقنية «STOP MOTION» مستوحى من قصة تأليف أطفال نادي الأديب الصغير وتجسيدها مع مخرج الأفلام الكرتونية «بلال بوعزيز»

MICRO TROTTOIR

ورشة البرمجة الدماغية تأطير المختصة «فضيلة بن علي» مع عرض مسرحي تقديم «نادي أطفال الروضة»

19:30 مساء: بساحة الفنون، عرض تنشيطي فرجوي لمجموعة «هشام الغزواني» «عم قدور»

الإربعاء 14 أوت 2024

ليكون الاختتام بفضاء المكتبة الجهوية، تكريم الفائزين بالمسابقات الوطنية عن المكتبات العمومية بولاية المهدية وتكريم الزملاء المحالين على شرف المهنة

في حين ذهبت أمينة المكتبة العمومية بفوشانة السيدة ألفة الرويهمي :

حرصتُ أن يتزامن الافتتاح مع ذكرى 67 لعيد الجمهورية

نظمت المكتبة العمومية فوشانة في دورته 31 بالتعاون مع جمعية كتاب و فنون أيام 25_26 _27 و 28 جويلية مصيف الكتاب بفوشانة و حرصت أن يتزامن الافتتاح مع الذكرى 67 لعيد الجمهورية حتى لا نضيّع فرصة التعبير عن حبنا للوطن واعتزازنا بالانتماء له من خلال تنظيم أمسية شعرية بعنوان «يا تونس الخضراءجئتك عاشقا

ألفة الرويهمي

مديحة الأزرق

هالة غراد

«بإدارة الشاعر الحبيب بن مبارك، تضمّنت 3 محاور:

الأول كان مداخلات حول تقديم تاريخ تونس أثّثها كل من الدكتور حمد الحاجي و المكتبة الشاعرة فايزة بنمسعود و الشاعر حمدي السميري و الشعر المختار المختاري، الثاني كان تقديم إصدارات جديدة لكل من الأدبية حبيبة المحرزي و الشاعر الشاذلي القرواشي و الشاعرة منية جلال و الشاعر داود بوحوش ، الثالث كان قراءات شعرية لِ ألمع الشعراء في الساحة الثقافية للتغيير بالوطن تونس و مناصرة القضية الفلسطينية، اليوم الثاني 26 جويلية 2024 كانت فعاليات المصيف خارج فضاء المكتبة بالفضاء العائلي الترفيهي «ميار» في (طريق سيدي حسين_المغيرة فوشانة) حتى نمنح فرصة لمتساكني الضاحية الجنوبية لاكتشاف برنامجنا والتعريف بالمكتبة ونشاطها و نواديها حيث أقمنا العديد من الورشات: مطالعة رسم وتلوين و عروض مسرحية متنوعة موجّهة للطفل من إنتاج نادي مسرحة القصة بالمكتبة شارك فيها العديد من رواد المكتبة و ضيوف المصيف و حرفاء الفضاء فكان التعارف فيما بينهم جسرا للعبور للكتاب والمكتبة ونافذة لاكتشاف شتى المعارف والفنون من خلالهما و فرصة لاكتشاف مواهب جديدة سيتمّ احتضنها و صقلها في الموسم الثقافي الجديد، اليوم الثالث 27 جويلية 2024 : ندوة فكرية حول الكتابة الموجهة للطفل: الواقع والآفاق بإدارة الدكتور المنذر المرزوقي و مساهمة :من تونس : _ الدكتور المنجي غنّودي بمداخلة طرح من خلالها اسئلة هامة منها كيف نكتب؟ هل ما يُكتب له أسس علمية؟ هل هي حاملة لمشروع؟ وكيف نوظّف الكتابة عن طريق المعلّم؟ وقد قدم الباحث تحليلا لظاهرة الكتابة الموجهة للطفل في الوسط المدرسي وطرح قضايا حارقة تتصل بالثقافة والوضع السائد.، الباحثة والقاصة ليلى الدعمي طرحت مداخلة هامة حول الكتابة القصصية الموجهة للطفل من خلال مدخل نظري ضبط اطار المداخلة وامثلة تطبيقية من ابداع الشاعر المرحوم محمد الغزي متطرقة الى أهمية الخيال وقيمة اللغة الشعرية والرمزية في أعماله....تُوّجت المُداخلات بنقاشات ثرية عمّقت الوعي بمسؤولية المبدع والاسرة والمجتمع في علاقة بالكتابة الموجهة للطفل.، ثم مررنا اثر ذلك الى فقرة قراءات شعرية اثثها الشاعر الغنائي صلاح الخليفي والفنانة الشاعرة فاتن بن خالد والاستاذ لطفي بو خريص و الاستاذ عارف حقي .

الاختتام 28 جويلية 2024: عرض مسرحي للأطفال قدّمه الفنان القدير إكرام عزوز بعنوان «دمية العم عيّاد» عرض تربوي توعوي يحتوي العديد من الرسائل والعِبر و يشجع على المطالعة لبناء مجتمع مثقف وبالتالي تحقيق التوازن

وذهبت أمينة المكتبة العمومية بالقلعة الصغرى/ سوسة السيدة مديحة الأزرق

الكتاب هو الجسر الذي يعبر بنا نحو النور

ليست القراءة مجرّد هواية بقدرما هي حاجة أكيدة كالغذاء والهواء...القراءة يا سادتي تساعدنا على بناء ذواتنا وتوسيع مداركنا وتطوير قدراتنا...فالكتاب جسر يعبر بنا من ضفة الظلمة إلى ضفة النور... إنّه من يسافر بنا إلى كلّ ركن من العالم دون حاجة إلى جواز سفر....ألم يقل فيه المتنبي

أعز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

ولأنّنا في دولةيزداد إيمانها كلّ يوم بأهمية الثقافة والكتاب وبالحاجة الماسّة إلى تطوير فعل القراءة لدى الناشئة فها أنّ كل مكتباتنا في كامل ربوع الجمهورية تقيم أعراس الكتاب في تظاهرة تقرّب الكتاب من الجمهور العريض وتذهب له في كل مكان على الشاطئ وفي الحدائق والمتاحف وفي المكتبات وكلّ البيوت...

إننا يا سادتي في المهرجان الوطني لمصيف الكتاب في دورته 31.. ونحن في مكتبتنا العمومية بالقلعة الصغرى وبالتنسيق مع المكتبة الجهوية ومندوبية الثقافة بسوسة وفي تناغم تام مع رؤية الادارة العامة للمطالعة ارتأينا أن نحتفل معكم بالكتاب كي ننحت معا طريق النصر والشموخ ..

كانت البداية يوم الاثنين 29 جويلة باستعرض لفوج الكشافة بالقلعة أمام قصر البلدية مع عرض مسرحية للأطفال أمام اليوم الثاني الثلاثاء نشاط بعنوان « من القصة إلى النحت باعتمادنا على « قصة عروس البحر» تأطير السيدة ابتسام بن سعيدة أما اليوم الثالث 2 أوت من مصيف الكتاب لقاء مع الاستاذ حسن عليلش وتقديم فيلم صباط العيد ومناقشته شكرا استاذة ابتسام بن سعيدة نجوى عامري توفيق سلطاني ولكل الاولياء على حسن الحضور.

«الوقت اصْعُبْ يا ميمتي.. وليدك اتعبْ» :

أغنية تلخّص تعب شباب تونس

صلاح بوزيّان

1/ أغنية النوردو تلخّص قصص الشّباب

هي أغنية للنوردو تحمل هموم و مشاغل الشباب ، تحمل آهات شباب تونس المتخرّجين من الجامعات، آلاف من الشّبان والشّابات ماكثين في بيوتهم بين عائلاتهم بلا شغل و لا مدخول ، وماذا تراك تفعلُ أيّها الأب لمّا تعود إلى البيت و ترى ابنك مهموما حزينا ، رغم ما تبذله لتعوّض عن الإحساس بالأسى لأنّه بطّال، درس و سهر اللّيالي، باع النّوم الغالي ، و حَلُم بشغل ، بوقت يقضّيه بين النّاس متمتعا بشبابه ، شابّ يريد أن يفرح ، أن يقبض بين يديه نقودا و يدخل المغازات يختار سروالا قميصا ، ويحسّ أنّه إنسان تونسي ، تعب من أجله والده ووالدته ، يريد أن يُفرح أمّه بهدية في عيد الأمّهات، الأمّ التي أمضت السنين تطعمه و تغطّيه و تعلّمه الأحرف الأبجدية والنّطق، وتعوّده على القلم والكرّاس، الأمّ التي سقته الحنان و كانت كلّ صباح تطبخ قهوته و تعدّ لمجته وتأخذه إلى المدرسة، و تنتظر دفتر الأعداد و تتحدّث مع المعلّمة ، و تذهب إلى بيت أبيها لتريه دفتر ابنها النّاجح ، و هي تفتخر و كأنّها صعدت إلى سطح القمر، الأمّ التي قضّت سنوات تتجوّل في الأسواق لتشتري الملابس و الطّعام والكرّاس و الكتاب و اللوحة و المحفظة ، الأمّ التي انتظرت نتيجة الباكلورياوهي تتقلّب في الفراش مرّة تشدّ دموعها و مرّات تبكي خلسة، نجح الابن وانتقل إلى الجامعة ونجح وأصبح صاحب شهادة جامعية ، ولأنّه متعلّم خذلته الوظيفة ، ها هو الآن باطل ، في غرفته ، يطوف كلّ يوم بين التفقديات الشغل ، و المؤسسات و المغازات ، يحاول أن يجد شغلا، فلا يجد إلاّ غنيا مستكرشا أميّا يريد أن ينكّل بشابّ متعلّم و يهينه ، مستكرش معقّد ، فيردّد الشابّ: (يا اميمتي وليد داروا بيه الغدّارة، سكاره عدّينا العمر مراره ، وقلوبنا شعلت ناره)، يعود إلى البيت و يحلو بنفسه في غرفته ، آلاف من الشّباب على هذا الحال، و الأولياء يلوكون الحزن و الأسى على أبنائهم .

2/ بطالة الشباب في القرى والمدن، مأساة العائلة الشعبية التونسية

لم يسلم شبر من تراب تونس من بطالة

متخرجي الجامعات، كلّ أسرة لها بنت متخرّجة بطّالة أو ولد متخرّج بطّال . إلى متى نعاني هذه المأساة ؟ والأَمَرُّ من هذه الحقيقة ، توقّف الانتداب وإن وُجد فإنّ مواطن الشغل محدودة جدّا ، و الأجرة لا تليق بمستوى الشابّ العلمي، و لا تشجّعه على الصّبر، إنّك لمّا تجلس في مقهى شباب و تستمع إلى حكايات الشّباب المتخرّجين البطّالين ، ينتابك الهول لمّا تسمع حجم المعاناة التي ذاقتها العائلات الشعبية التونسية ، أحيانا يضطرّ الأب يبيع بقرنه الوحيدة ليرسّم ابنته في كليّة أو معهد عال ، أو يبيع برنس صوفي ورثه عن أبيه أو يبيع قطة أرضه وهو يبكي و يكتم بكاءه ، أو يقترض من البنك و يصبح رهينة البورجوازية الغاشمة التي تأكل مرتّب الأب الشهري و هي صاعدة وتأكل وهي نازلة بلاشفقة ولا رحمة ، الآجيو و معاليم الخدمات البنكية التي تتكاثر و تتناسل ككذبة أفريل أو وَهْمِ جحا أو تشبه خبث أبي الفتح الإسكندري في المقامات ، تفعل البنوك في الأب و الأم و العائلة الشعبية التونسية أعمالا تزيد من بؤس العائلات و تعمّق عذاب الأب البروليتاري التونسي الذي يلتجئ إلى صحفة اللبلابي أو كسكروت تنّ ليدّخر المال لابنه أو ابنته و بدفع معلوم الكراء ، كراء شقّة يسكنها الابن أو البنت وهي تدرس في الكليّة ، كلّ شهر والأب يدفع والأمّ تجمع الدّنانير و تذكّر الأب بمعلوم الكراء و المصروف ، حتّى لا يلحقهما العار بين ناس وسط شعب لا يرحم . جاعت العائلات الشعبية و تنازلت عن رفاه قديم لم تعد قادرة على توفيره ، الأب و الأمّ يلبسان من الروبافيكيا و يطبخون المرقة بالخضرة و قليلا من سمك السردين ، أو بعض لحم الدّجاج ، عناكش و جوانح دجاج المكينة ، و تزيد فواتير الستاغ/ الكهرباء الطينة بلّة ، كلّ شهرين تأتي فاتورة تتراوح بين 100و 300 ألف ، فيحتار الأب و يُجبر على تسديد المعلوم مطأطأ الرّأس ، فاتورة الكهرباء غريبة هذا الزّمان ؟ أبواب التّعب مفنوحة على الأب و الأمّ، و هما في عمر يستوجب الرّاحة و الهدوء، لا البحر ينفع لإطفاء نار البطالة ولا النوادي الشبابية المفقودة و لا المشاريع الصغرى المحدودة و لا أغنية النوردو ، إنّها حيرة كبيرة نحاصر العائلات الشعبية ، في كلّ مقهى حكاية شبابية و في كلّ أسرة قصص، و في الحومة العربي قصص ، وفي الأحياء الشعبية قصص ألف ليلة وليلة البطالة ، جوع فقر أحلام أوهام ، الأمل أصبح لعنة ، لا تستطيع أن تواسي شابا خرّيج جامعة مثقّف و فاهم ، وتفتح له أفق أمل، لا تستطيع أن تكذب و تَعِدَهُ بشغل ، لا قدرة للأب على صناعة فرحة الآن ، الأب كَبُرَ والأمّ اهترأت و كلّت و ملّت و تعبت ، هذه الحقيقة التي تُبكي ، و تبكي لمّا تسمع أغنية النوردو تلخّصها بكلمات بسيطة . فما هو الحلّ ؟ ربّما مسلسل شوفلي حلّ الذي تكرّره التلفزة الوطنية كلّ شهر لسنوات ، ربّما شوفلي حلّ يجد حلاّ . ربّما تمطر السّماء ذهبا ، و ربّما تُصبحُ البطالة شغلا ، فيتقاضى كلّ بطّال منحة ، وربّما تخفّض الدّولة سنّ التّقاعد إلى 55 سنة وتفتح الآفاق للشباب ، ربّما، و ربّما تمنح الشّباب قروضا ميسّرة لبعث مشاريع ، كلّ شيء ممكن.

و ربّما تنشئ الدّولة متاجر وطنية في الجهات فتقاوم الغلاء و المضاربة وتشغلّ الشباب بمرتّبات شهرية محترمة . وربّما يأخذ كلّ بطّال بقرة وخروف ونعجة و يبعث مشروعا فلاحيا. و ربّما يأخذ الشّاب البطّال تموينا ماليا من الدولة و يبعث مخبزة ، كلّ شابّ في قريته أو مدينته ، فيكثر الخبز و تقلّ البطالة ، ربّما .. و لكن (الوقت اصعب يا اميمتي).

تزامنا مع الدّورة 37 للمهرجان الدّولي لسينما الهواة :

كتاب «من قضايا التّجريب في سينما الهواة» للد. معاذ بلعيد... التّجريبُ هويّة

المنذر العيني

ما يفتأ الدّكتور معاذ بلعيد ينشئُ مدوّنتهُ البحثيّةَ حول مجالاتِ الصّورةِ وعوالمها، إضافةً إلى سيرته في مجال الإخراج بأفلامٍ عديدة تحاورت في مناطق جريئةٍ عبر التّقنيةً والأداء، ينقادُ إلى هاجسه الدّاخليّ خارج الفعل وداخلَهُ، أي بكتابته المخصوصة حول هذه العوالم في مناسباتها المتعدّدة وخاصّة تلك الّتي اضطلعت بتأطير الفعل السّينمائي لدى قطاعات كثيرة من الشّبيبة الّتي انبرت تحتفي بالمشاهد الهجينة، بخطاباتها الموزّعة بين الشّخوص، بالظّلال تتعامد أو تتقاطع بين الزّوايا والمنحدرات، بالموسيقات تقتات من إيقاعات الغرابة وحوافرها.

هذه مشتركاتٌ موحيةٌ تعمرُ مناسباتٍ عديدة قد يكون من أهمّها المهرجان الدّولي لسينما الهواة الّذي يُقام بمدينة قليبيّة يجمعُ السّينمائيين والنقّاد والمتتبّعين والأدباء أيضًا يحتفلون بالفنّ السّابع يغايرُ من سحنته عبر شاشته الكبرى على الملإ.

مناسبةٌ هيّأت، قدحت فعل الكتابة البحثيّة حول قضايا التّجريب في سينما الهواة. كتابٌ مرجعٌ انكبَّ صاحبهُ على التدرّج المعرفي العلمي في تخطيط دقيق قد فصّل فيه القول في صفحات تعدّت ثلاثة مائة صفحة بين دفّتين صوّرت الرّئيسيّة آلة الكامرا تعلوها لوحة الاقتطاعات في دائرة الفيلم يدورُ على نفسه في لون أزرق داكن يخرجُ إلى الضّوء تدريجيًا، والمعنى من ذلكَ أن يتفطّن القارئ الموضوع من خلال تلقفّه الأوّل وهوَ يقرأُ العنوان ويديرُ الصّفحة الثّانيةَ الرّاسمةَ مقتطفًا من أسلوب الباحث ومن سيرته العلميّة مرفقة بصورة شخصيّةٍ.

كعادة الكتب المضيئة الّتي تحفرُ في المعرفةِ انطلقَ المنشئُ من إضاءاتٍ حول طبيعةِ الكتابِ أو قل تصريفه المؤدّي إلى هدفٍ إعلائيٍّ من شأن المناسبةِ أوّلاً عند تأسيس المهرجان سنة 1964، عزّز المعلومات حول تاريخ السّينما التّجريبيّة وقد استقطبت شرائح من محبّي السّينما وممارسيها، انطلاقًا ممّا أملته فكرة المقاومة في فترات سياسيّة متعاقبة ظلّت السّينما إطارًا ملازما مناسبا لانتفاضات الشّباب يأخذون بأعينهم الأخرى حرج الأسئلة حتّى يجدوا طريقتهم في بناء شخصيّاتهم المستقبليّة وهذا ما عايشه مخرجنا من اختبارات حول الكادر والموضوع وهما يتبدلان الأدوار من ورشةٍ إلى أخرى. إضاءاتٌ افتتاحيّةٌ بلورت تصوّراتِه في قادم المراحل التّحليليّة في الكتاب حتّى ينفذ إلى الموضوعات المتعلّقة بفلسفة التّجريب أوّلاً ثمّ إلى تطبيقاتها التّقنيّة، وكيف لا تتمركز على محور واحد، هي محاور ومغازل تتناوب في الأخذ من مجرى إلى آخر.

إضاءاتٌ جدّد فيها معاذ تقديره، وعيه للقضايا المجتمعيّة الّتي تنهض بها الحركة السّينمائيّة المعاصرة من دفاعٍ عن الحريّة وعن جدولة من التزامات التصدّي للتّخلّف في مجتمعات الحقارة الّتي تنتهج الاقصاء والتعنّت أمام ما تمليه ضرورة اللّحظة من نهضةٍ شاملة تقطع مع الوثوق ومع الزّجر.

المقدّمةُ بدأها صاحبُنا المخرج بإرساءٍ ظاهرٍ للتّعريفات المتداولة للسّينما في موسوعاتٍ متّبعا مقولة جاك داريدا» لا شيءَ خارجَ النصّ» لتجعلها « لا شيءَ خارج الصّورةِ والفيلم» في انتباهٍ دقيقٍ إلى تكاثف العلامات من اللّغوي إلى التّصويريّ السّيميائيّ. أحال بذلك مجدّدا عن ما تبعثه التّجريبيّة من سياقاتٍ وليدة فنون أخرى أيضًا أو متوازيةً معها تتقاطع معها في منظومةِ الحداثةِ ككلّ يشعُ منها ضوء الجرأة والحريّة حتّى تتمايز بالمعاني تغمض أو تتضّحُ من حينٍ إلى آخر.

فالتلقّي شأنٌ مساوقٌ ضمنَ اشكاليّات سينما الهواة قد يعتقدونَ أشياء ويجدون أخرى أو قد ينتظرون تقبّلاً فيستقبلونَ آخر، والعمليّة لا تنتهي تبرّرها أحيانًا مردوديّةُ قصر التّجربة، والتّوق إلى استئناف معنى بعد آخر منذُ فيلم ابراهيم باباي «وغدًا»« Et demain» منتقدًا التّفاوت الاقتصادي ، أو فيلم «Un simple histoire»، وكذلكَ ما ابتدرهُ خالد القربي في « ردّة فعل»سنة 1973 .

ثمّ بوّبَ المنشئُ كتابه إلى ثلاثةِ أبواب هي على التّوالي اعتنى في الباب الأوّل بالمسائل التّنظيريّة للممارسة الفنيّة السيّنمائيّة في تأصيلها الفلسفي الجمالي بين المفهوم والمصطلح، حيثُ أبرز علاقة الفنّ بالخيال بالابداع ضمّنها دلالته الرّمزيّة بين مجريات المحاكاة عند أرسطو ومتباينات التعبير شيئًا مع التخصيص والتفصيل في التّناول الفلسفي من زمنيّةٍ إلى أخرى فأضحت التّجربةُ بذلك مسلكًا للحلول ومنهجًا للتّطبيق من عمليّةٍ تلو عمليّةٍ تتطلّب مؤهّلاتٍ تخييليّةً.

والتّجريبُ مواجهةٌ نقديّةٌ لنزعةِ التّسليم بأيّ معطى من المعطياتِ دون تساؤلٍ حقيقيٍّ بحجّةٍ اعتباريّة عن خطإٍ من بدايهِ الأمور» في تأطيرٍ لإيتيان سوريو. فهو حينئذٍ مفهومٌ فنيٌّ على غير مثالٍ سابقٍ وجاهزٍ سلفًا.

يتدرّجُ معاذ في تحليله التّنظيريّ من زاويا الآداب والفنون أيضًا حتّى يعقد الصّلة بينها وبين الصّورة في تجديد رمزياتها عند التأمّل والتّأويل فقد أشارات صفحاتٌ من الباب الأوّل إلى درايته بالتكعيبيّة والدّادائيّة والسّوريالّية المستقبليّة الكوبرنيكيّة... وهي متعاضداتٌ فكريّة منحت قراءاته المتنوّعة قيعانًا تأسيسيّة فكريّة قد تتناوبه في كتاباته او في إجراءاته التّطبيقيّة.

كما عرّف بسينما الموجة الجديدة في تبنّيها المقولة التّنظيريّة للتّجريب مثّلت رافدا للتّجديد السّينمائي وقد ارتبط اسمها بمجلّة «Les Cahiers du cinéma» الّتي عملت على تحليل

العمليّة التّجريبيّة الدّاخليّة باعتبارها تقنيات وسائطيّة تؤثّر حتما على تمشيّات كلاسيكيّة لتغدوَ فاعليّةً جديدة منتجَةً ومنتجِةً في تعالقٍ جدليّ دائمٍ من ممارسةٍ إلى أخرى في تداولٍ نقديٍّ بوصفهِ رؤى متعدّدةٍ تؤسّسُ للتقبّل المحتمل وكقوّة سينمائيّةٍ ذات مردوديّةٍ متجدّدةٍ.

عرّج في آخر هذا الباب الأوّل إلى ملامح الالتزام في السّينما التّونسيّة في بدايات العمل في نوادي تلك الّتي تصرعت فيها الأفكار في سنداتها التّصويريّة من فيلمٍ إلى آخر، كان قد عرّفها المخرج نجيب عيّادبـ « السّنوات الأكثر جنونا والأكثر تصادما» ومن هذه المنحدرات في تلك التّاريخيّات كان لقليبيّة الفضل في تجميع هذه الأنساق من التّجارب المتآلفة المختلفةِ في آن، موسمًا تلو آخر بحضور ورشات تعمل على تفكيك وعل جني حصاد هذا الغليان.

مهّدت التّجارب هذه إلى صناعة سينمائيّة تونسيّة وإلى توزيع سينمائيّ بين المدائن والقرى تقترب من البيئة وتتشاكل موضوعاتها مع مختلف المناحي الأخرى للسّينما العربيّة أو العالميّة.

جاء عنوان الباب الثّاني كما يلي: سينما الهواة بين بدايات التشّكل ونضج التّصوّرات قد حرّك فيه المنشئُ تاريخيّة النشأة في تلك الفترة المميّزة والّتي مثّلت بداية التمرّد وإرهاصات التّجديد انطلاقًا من نصّ الإصلاح«La réforme » في سبتمبر 1971 وفي هذا الإطار نأخذ مقتطفًا من قول رضا تريمش « طرح الفكرة حرّر مجموعة الأفكار لتصبح مبادرة حقيقيّة ذات واقعيّة» كانت منطلقًا لترسيخ مكسب المهرجان السّنوي حتّى يبلّغوا أصواتهم جعله نقطة تحوّل في تاريخيّة شخصيّة من شخصيّات السّينما في المستقبل.

اهتمّ معاذ في المشغل الثّاني بالجانب الواقعي التطبيقي بما أملته الممارسة الفنيّة في عديد النّماذج الفنيّة واعتبره مسارًا طويلاً متحرّكًا تلتقي فيه مسارات متعدّدة الاجتماعي النّقدي وقد ذهب أبعد من ذلك إلى كونها صراعا بين الدّولة ومجتمع مازال يرزح تحت العشائريّة والرّؤى المنغلقة، غير أنّ الفئات الّتي تعالت بقدراتها السّينمائيّة في الجانب الأكاديمي والعصامي معا نهضت بمردوديّات تقدّميّة تتنامى في الجرأة، وشيئًا وضّح الكتاب مشروعه في تناوله للأعمال الّتي بقيت راسخةً في الأذهان والّتي كانت عاليةً من تجربتها ومن حيثُ تجريبيّتها.

عزّز هذه التّاريخيّات الموثّقة بصور للشّخصيّات، وحتّى لوثائق السّينمائيّن من بطاقات انخراط مثّلت هويّة يعتزّ بها كلّ سينمائيّ.

البابُ الثّالثُ هو تتمّةٌ للمنهج الّذي اقتضته الضّرورة البّحثيّة وقت تناولت الأبعاد الفنيّة، ففي هذا الباب المعنون تحت: الخصائص الفنيّة والاجتماعيّة والايديولوجيّة والدّلاليّة في مهرجان قليبيّة، فتح فيه المنشئُ النّوافذ على عديد المسارات التأويليّة الّتي اعتنت بالالتزام فعلاً محرّكًا من منشإٍ فلسفيّ في علاقته بالبعد الغرامشي وعلاقة المثقّف العضوي بمجتمعه.

مشغلُ الهويّة القائم دائمًا في ثنايا الرّصد، مشغل الجندر بين طوق الواقع وإكراهاته والتّوق إلى التّحرّر والانعتاق في سياق الواقع والوقائع، كما لو انّ معاذ بلعيد يضعنا وجها لوجهٍ مع بصمات العار تجاه القضيّة الأمّ القصيّة الفلسطينيّة ومختلف تمثّلاتها التّصويريّة النّفسيّة الفرديّة والجمعيّة.

الكتابُ يحيّنُ عقارب ساعته بهذا المنهج الصّارم الموضوعي والمنفتح والقابل للتّأطير حيثُ ضمّن في آخر صفحاته نظريّة الفنّ في عودةٍ إلى حركة التّنظير الّتي تحتضن الآنيَّ والمستقبل من الحركات.

خاتمة: كتاب من قضايا التّجريب للدكتور معاذ بلعيد ملمحٌ آخر لشخصيّة سينمائيّة تتدّرج في المعرفة، في العلميّة البحثيّة لعالم الصّورة عالم الفتوغراف في تنويعاته المتعدّدة.

كتابٌ ذو منهجٍ واضحٍ بأسلوب صاحبه، استند إلى مناسبةٍ مهمّةٍ في تاريخ السّينما التّونسيّة: مهرجان سينما الهواة بقليبيّة، ليبني جسورًا للتّواصل تاريخيّا فنيّا ومعرفيّا.

السّينما عند معاذ بلعيد كتابٌ مفتوحٌ، تجارب تحاول أن تجيبَ، ولكنّها لا تفقد أسئلتها عبر الكامرا وعبر التّفكير، هويّتهُ الأخرى.

فتحي القربي: العصاميّة المحترفة

إضاءات في مردوديّة التّشكيل

منذر العيني

ينعقدُ المفهوم مُؤلّفًا خطوطًا ثانويّة منهجيّةً ومؤدِيّةً، مؤسِّسةً أيضًا لِمعالمَ تبدو في الأوّل غير ضروريّة لكونها تجريديّةً تبعدُ عن تحقّقها لكنّ شأنَها شأنَ الرّياضيّات تأخذُ في التشكّل حتّى وإن انبنتْ على معادلاتٍ بسيطةٍ يمكنُ جسّها: أفكارًا تتناغمُ مع الميسورِ أو مع الملموس من المجاور.

هكذا هي الأحوالُ عند أولئكَ الذّين ينطلقون من الصّنعةِ، من حواراتٍ داخليّةٍ تتماثلُ للمنطقِ، العلاقة في العصاميّةِ من جهتها لا تكترثُ إلى ما ستؤولُ إليه الأمور، المهمُّ أن تظلّ تتبّعُ هديها، أو برنامجها التّجريدي القابل للتحقّقِ، لأنها شجاعةٌ بما فيه الكفاية، ما تفتأ تتصاعدُ بالمثابرة، تنحازُ إلى جرأتها في التّحصيلِ والأخذ.

في مثل هذه المناسبات من تحريك السّواكن نحو عامليّةٍ فكريّة تنجبُ الفنَّ وتُولّدهُ ندفعُ إلى تقديمِ صديقنا الفنّان التّشكيليّ فتحي القربي أصيل قصيبة سوسة بالكائن الذوّاق، حيثُ تتآلفُ في مخيّلته حركاتٌ من دوائر مفاهميّة عن العالم وكيف يُشكّلُ، وكيفَ يُركّبُ أيضًا من جديدٍ. دوائرُ عن تاريخيّاتٍ تحتضنُ أسماء عن الموسيقات المتنوّعة، وعن ألوانٍ يحبّها أن تعانقَ مجرّاتهِ التّشكليّةِ حينَ يمسكنُ بسكانينه الصّغيرة أو بفرشاتهِ من حينٍ لآخر على قماشته أو على مساحاته الفوضويّة على الحيطان وعلى الجرار وعلى الألواح .... مفاهيمٌ تدهشُ حينَ تتفقّدُ فلسفتها وهي تلامسُ تأطيراتِ «جيل دولوز» عن الفنِّ وعن الفلسفة: « الفنّ عكس العلم، هو انطلاق وتحريرٌ للمعاني عبر تشكيل انفعالاتٍ وأحاسيسَ تقاتلُ لتكشف حقيقة الأشياء».

يشغلُ مساحاتِهِ الفنيّةَ بأشغالٍ غير منتهيةٍ منذُ أن يقف إلى كرسيّ الحلاقةِ مشعلاً صمتهُ الدّاخليّ يعيدُ تصميمَ شيئًا ما في ورشتهِ القريبةِ، هذا طبلٌ يرافقهُ في أفراح القريةِ،هذه قصبةٌ صيده حينَ ينزعُ إلى موج بحرهِ، هذه متروكاتٌ بأعضائها تتناثرُ بآنتظامٍ في زاويةٍ وفي أخرى، هذه مرايا صور بالأبيضِ والأسودِ عن سحنةِ « المكتوف أبيهِ» تتصدّر حالةً من وفاءٍ دائم....وهذه تشكيلاتٌ من لوحاتٍ فنيّةٍ تقدّمُ فنّانًا رسّامًا بالزّيتِ وبالماء، بالفحمِ والطّبشور، بعلقاتٍ أو بشوكاتٍ من هنا وهناك قد غيّرَ بها وجه العالم في مخيّلةٍ تتوقّدُ من حينٍ إلى آخر في حديثٍ عن ثُومةٍأو عن صليحةٍ أو عن العفريتِ أو عن أصوات في غائر الزّمانِ من قريتنا البيضاء: الخضراء مرثْ هلبْ والكبيرة بنت القربي وثالثتهما جلّيبةُ مرثْ الحاج زغيدهْ ..

منطلقاتٌ حميمةٌ، حتّى نتردّدَ إلى شخصيّةٍ قد تتكرّرُ في كلّ الجغرافيات الصّغيرةِ من تونسنا الملوّنة. ومن خلالها نتقفّى مردوياتٍ تأوليّةً للوحاتِ هذا المغامر يحفر في الوجودِ، في الدّاخل النّفسيّ يحفرُ في تربةٍ مغايرةٍ تتحاكى مع الحيوانِ في وقفاتهِ،يحفرُ في مقاومةٍ حيّةٍ حتّى يثبتَ تاريخيّتهُ كائنًا غارقًا في تجديدِ حياتهِ بالفنّ.

فتحي القربي : في مردوديّةِ التّشكيل

ينشئُ القربي معرضهُ في صالتهِ للحلاقةِ يثري بلوحاتهِ التّشكليّةِ جدرانها، تجربةٌ ما تفتأُ تأخذُ بالانتباهِ إلى احترافيّةٍ تتعالى من مرحلةٍ إلى أخرى تتجدّدُ عبر محاكاةٍ تمارسُ حرّيتها أيضًا، ريشتهُ أو فرشاتهُ تتماهى مع موضوعاتٍ تنجذبُ أوّلاً إلى كلّ ما طبيعيّ تأثّرا بتلويناتعمّار فرحات ينتشر بين الجموع تحت الشّمس، فتحي يثابر بالمطالعةِ إلى مدرسة تونس في عديد المجلّات الملقاةِ إلى جانبهِ ينظرُ ويتفحّصُ ويجادلُ داخليّا تعبيراتٍ تقنيّةً، يبدأ بالاطباعيِّ فلا تخونهُ اليدُ أو الحيلةُ في شحنِ

مساحاتٍ سوداء أو بيضاء بجذورٍ أو منحناتٍ أو أقمارٍ تطوفُ حول ظلالها أحداثٌ من ألوانٍ متغايرةٍ من الزّرقةِ إلى الاخضرار النّباتيّ إلى صفرةٍ تتدرّجُ بين الشّؤون الدّاخليّة للفكرة. الرّسمةُ رسماتٌ ثاويةٌ أو تفاصيلٌ من لطخاتٍ على محامل متنوّعةٍ تعزّزُ هوايةً عصاميّةً تتدرّجُ شيئًا فشيئًا عبر محاوراتهِ عن تاريخيّاتِ التّشكيلِ في فضائهِ على المساحةِ في تنوّعها أو هي تجانبُ ورشةً تقنيةً أو معملاً فنيّا مغايرًا في ديكور مسرحيّةٍ أو في تأثيثِ تصديرةِ عروسٍ أو حتّى في بناءِ عريشةٍ على البحرِ أو في كتابةِ اسم مركبةٍ بحريّة»فلوكة»، فالأشغالُ أشغالٌ فنيّةٌ واحدةٌ كما يودُّ أن يقول في كلّ قوسٍ عن الألوانِ والتّلوين. العصاميّةُ حينَ تعتني في تأجيجِ نيرانها وصقلها كلّها، يأتيه الحبُّ الدّاخليّ أو هي تجذّرٌ دفينٍ يورثُ بالدمِّ والفطنةِ.

لا يتكلّمُ كثيرًا فتحي عن لوحاتهِ وإنّما هي أسئلةٌ مُرتاديهِ لمعرضه المتنوّعِ من شتاتٍ منظّمٍ بعنايةٍ. الفكرةُ تتغيّرُ من محملٍ إلى آخر فرسوماتهُ على الخشبِ تنحو إلى التّجريد يتعالى بخطوطٍ مشبّكةٍ منكسرةٍ تخترقها دوائر على مساحاتٍ من الورديِّ، أو جذاذاتٌ من مثلّثاتٍ قد تبرزُ تأويليّاتٍ سيميائيّاتٍ غارقةً في الغموضِ لعلّها طريقةٌ في التشنّج الفنّي أملتها اللّحظةُ الولودةُ.

الرّسوماتُ الّتي قد تتّفقُ مع روّادهِ في محلّهِ المحطّةِ، هي تلكَ ينطبعُ فيها المشهدُ بالمشهدِ في الذّاكرةِ الجمعيّةِ، رسوماتٌ الطّبيعةِ من ورودٍ وعصافير وغاباتٍ تحت عين القمر في مائيّتها المشعّة هي امتحاناتُ الرّيشةِ يختبرُ بها فتحي قدرتهُ على التّجسيد، قد لاتكون هنالك أفكارٌ بعينها مسبّبةٌ جرّاءَ وحيها أو إيحاءاتها التّنظيريّة إلاّ انّها متروكةٌ في ظنِّ الرّائي هذا المتلقّي الذّي يشكرُ ويذمُّ في الآونةِ نفسها. نحنُ بحاجةٍ إلى الفنّ، إلى هذه الشّخصيّاتِ المجتمعيّةِ العامّة تحفرُ في نفسها مجاري فنيّةً وتنشرُ نفسها على الملإ.

الإيعازُ بالفهمِ أمامَ هذه التّشكيلاتِ لا يفي أو لا يكتملُ، قدر الحضور، فالرّجلُ أيضًا يقيمُ أعراسهُ وهي تتحرّكُ في السّمتِ، قد أدركُ ذلكَ احتمالاً في حركيّةِ هذه الألوان هذه الحيوات بين الشّجيرات وهيَ تراسلني عبثَ فان غوغ في الاكتمال والتّنامي. رسوماتٌ على القماش بتعريجاتٍ زيتيّةٍ تنشدُ الخطّيفةَ أن تنال حظّها من الدّوران، أو تنشدُ فلاّحًا أن يعرجَ بمنجلهِ على الزّرع. الإيقاعُ إيقاعاتٌ في حياةِ هذا الفنّان العصاميّ المجادل، لا يهفتُ عن تصدير الأحكام ثمّ لا يلبثُ أن يتراجعَ عنها، مدارهُ التّمييز أو قل القياسُ في مجانبته السّؤال أو في تجنبّه الإجابة ، بينما رحاهُ تدورُ كلَّ يومٍ في عزلته الصّاخبة لا يكادُ يكملُ لوحةً أو لوثةً حتّى يحاكيها لمنصّته أو لا يكادُ وهو لايصفُ إلاّ كيفَ أنجزها والطّريقةَ الّتي كتبت خلقها.

يشترونَ منهُ أي نعم، المعجزةُ لا تتطلّبُ كثيرًا من تفاهاتِ البووز. والّذينَ يقتربون من أحيائهِ يدرونَ علاجَ أزمنته أزمنتنا في هذه القرية البيضاء.

مدلولاتٌ كثيرةٌ تتصاعدُ في تجميعاته لـ» الانتيكا» وهيَ تخزُ العينَ تغرقُ في ماضيها وتمثلُ للحاضر، ما الفتنةُ في تجميعها، غرامٌ فنيٌّ آخر يعضدُ عصاميّتهُ وهي ما تفتأُ تدفعهُ لفعل الحياةِ للمقاومةِ من أجلِ مشهديّةٍ خلاّقةٍ تبدأ من حضورٍ وتتواصلُ في غياب. عملُ الثّقافة لا تكملُ أشغالها مع الانسان.

فتحي القربي كبير الحلاّقين بقصيبة سوسة حياةُ رجلٍ يرسمُ من طينٍ ويعودُ إلى إيوانهِ بفنجان قهوة ليعودَ أمام لوحاتهِ يحدّثها عن الزّمن الجميل.

فتحي القربي في شاعريّته هذه ينتفضُ للتّجريبُ، لا يعترفُ بالمعنى كاملاً ينبؤنا عن رسومه القادمة كما لو أنّهُ رسمها، ويخفتُ صوتهُ حتّى يدمع قليلاً مع خيالاته في الممرّ. عنوان فنيّة عصاميّة لا تبحثُ عن الضّوء، فقط يكفيها نار التّجربة حتّى تضيءَ ما حولها، ماضيها وقادمها.

فضاء الإبداع

شعر

أغنية بربريّ

صلاح بن عياد

أُتْلفَتِ الغَيْمَةُ. نَقَرَتْها طيورٌ مُهَاجرةٌ وفَرّقتْهَا.
تَسَاقَطتْ نُدفا نُدفا فَوقَ القَمْحِ.
لَوْنُ الخُبْزِ بَاهتٌ هذا العَامْ، النّسَاءُ الشّاحبَات
حامِلاتٌ أزليّاتٌ لكُبَبٍ مِن رُضّعٍ على الظّهْر.
بيْنمَا تتدلّى نُهُودُهنّ مُرْتخيَة كمَا ترْتخي ثمارُ
التّين الخائفةُ.

البُيوتُ بأحْجارها المقطّعَةِ إلى جزئيّات وَهنَةٍ
تُديرُ ظَهْرَها للرّيح وَلِي.
الشّيْخُ الّذي تَعلّم الكتابة يهذي مثل «شَامَان»
الْتبستْ عليه رُوحُهُ.
تَجِفُّ الأوْرَاقُ المخبّئةُ للعوْرَة هَذَا العَامْ.
تَجِفُّ العَوْرَةُ ويَيْبسُ المَاءُ في القَامُوسِ.

أفكّر في تَكْسيرِ الأوَانِي كُلِّها.
أفكّرُ في تَجْميعِ الأعْصَابِ الدّقيقَةِ
لأقُدَّ عُشّا سُرياليّا مِنْهَا.
أفكّرُ في تَقْبيل العَجَائِز مُجَفّفات الغلالِ
والزّغَارِيدِ،
وَاضِعَات الخُرافَاتِ الخَرْسَاء عَلَى حبْل الغَسيلْ.

الشّجَرةُ اليَابسةُ وليٌّ صَالحٌ تَتَصَاعد أدْخنَةً من
كَوانِينِهِ،
دخانٌ لجذْعٍ مَيّتٍ ودخانٌ لأوْهَامٍ وهموم
دخانٌ لفَسَاتين الرّاعِيَاتِ العَذَارَى.
أعْقَابُ الرّضَاعةِ تَزْبدُ في المَغَارة الدّافِئَةِ.
ويُزْمجرُ الآبَاءُ وتَشْهَقُ الأمّهَاتُ في وادٍ سُفْلِيٍّ.

تَعالَيْ نرسُمْ لوْزا مُنوّرًا عَلى الحَجَر الوَاسِعِ.
تعالَيْ نصْنَعْ رُمُوزًا ثُنَائيّةً تَحْتَ المِشْمِشِ
الصّامِتِ.
تَعالَيْ ندقّ إيقاعًا عَلى شَجَرِ الخرُّوب،
إيقَاع رُوحيْن مُتوحّشَتيْن.

أحبّ أنْ أوقِظ الثّعَالبَ المُحنّطة في «بيت
المؤونة»
أن أطلقَ نارا صَوْبَ الجَبَلِ.
أحِبُّ أنْ أكوّرَ التّربةَ البَيْضَاء كلّها،
أن أقدَّ من الرّوَابي نُهُودا تنزُّ عَسَلا في الخَلاءْ.
أحبُّ أن أرقُصَ فَوْق اللاشَيْء الكَبيرِ المُكَوّم
خَلْفَ البُيُوتِ.
أُحبُّ أنْ أشْهَدَ كيْفَ تَفقسُ الأسمَاءُ والأشيَاءُ
في الفَرَاغْ.

قدْ يَكونُ اسْمُها نائمًا في فَزَعِ الشّهْوَة
أو في تفَطّنِ الصّغَر للكِبَرِ الّذي عَلَى العَتَبة.
قَدْ تكونُ مِهنَتُهَا امرأةً أو فقّاعةً تَنفَجِرُ تمَامَ
السّطْرِ الشّعْريّ.
قَدْ تَكُون مِهنَةً قَادمةً من خارجَ فَلسَفَةِ
البُيُوتِ
وكتَابَةِ الشّيْخ ورَنينِ المُعْجزةِ بَيْن شَفتيه
المخدّرتين.

ليس النّبْعُ سوى خَيَالاتُك.
ولستِ أكثرَ من التي سأجْعلها تعْتلي كتفيّ
لتمَسّ شيْئاً من الأعْلى.
لستِ سِوى ما يَطنّ في القَلب الجافّ وما يتبلّلُ
في الأسْفل الشّهيّ.
تعالَيْ إذنْ اهبطي هبُوطَ الدّوائر المُصْفرّة.

ها هيَ الأوَاني، وها تلك العَجَائزُ يَدفِنّ القمْحَ
المَيّتَ ويشْقُقْن مُتنفّسًا في الحِيطَانِ،
ها هُنّ يَشْتَمِمْن الأوْلياءَ الصّالحينَ مَالحينَ.
ها هُنّ يُهيّجْن البُيُوتَ.
ها هُنّ يَركُضْن كالغِزْلانِ في المَجَازِ وفي
الاسْتِعَارَاتِ.

أحِبّ أن أفْهَمَ «الخُمْسَةَ» المُعلّقَةَ
وأنْ أجدَ اسْمًا لرَائِحَةِ الحِنّاءِ
أنْ أمْلأ طسْتِيَ باللّبَن من نَهَدٍ يَنزُّ في الخَلاء.
أحبُّ أنْ أزمْجر كما يُزْمجِر الآبَاءُ في الوَادي
الأسْفل.
أحبّ أن أزيدَ رجْلا خَامسَةً لخُيول الخَليلْ.
أحبّ أن أكونْ... وأن تَسيلَ مِنّي حَبّةُ عَرَقٍ
بَرّاقَةٌ...

رَسَمْتُ حُبَّكِ لُغَةً

البشير موسى

أنا هـــنـــاك،
عـــنـــدكِ،
لست أملكني هنا
أنا لست عندي!
ولست أملك مهجتي
والـــرّوح،
فـــفـــي الطّـــريق إلـــيـــك
هَـــجَـــرْتُ ذاتـــي،
نَـــفَـــضْـــتُ
خِـــلّانـــي
رَمَـــيْـــتُ عـــنّـــي
عُـــذّالِـــي
وأعْـــدائـــي...
حُـــبُّـــكِ – يَا مَـــلَاذَ الـــرّوح –
حـــبّـــكِ قـــدرٌ يـــسيّـــرني
ويرسمـني كـلامـا عـــذبًـا
في متاهـــاتـــي وأرجـــائي!
حـــبّـــكِ
قـــدرٌ يـــسيّـــرني
وَلـــيـــس لـــي حـــلٌّ
لا كـــرّ ولا فـــرٌّ...
أراني مُنْسَابًا كَمَا مَـــاءٍ تَـــرَقْـــرَقَ
دَافِـــقًـــا
نَـحْوَ مَنْبَـتِـكِ الطّـرِيِّ الخَـصْبِ...
وَلا أرســـو بـــمِـــيـــنَـــاءِ...
بـــصَـــدْري زهـــرة عَـــطْـــشَى
وأنـــتِ مـــنـــبَـــع مـــائـــي
وجدولـــي الرقـــراق
وأنت غيمتي البيضاء في سَمَائي...
فَصُبِّـي ماء نَـشْـوَتِـــك
غَـــيْـــثًـا غَـزِيـــرًا عَذْبًا
بِـــحَـــاضِـــرَتِـــي
وَفِي أنْـحَـاء بَـــيْـــدائِـــي...
صُـبِّي بِـكَـــأْسِ العُمْر
نَـخْـبَ رِحْـلَـتِـنَـا
فَلَا صَوْتَ يَـعْلُـو عَلَى صَمْتِ قَصِـيـدَتِـنَـا
وَلَا بِـالوَادِي يُسْمَعُ رَجْعُ أصْـدائِي!
حُـبّـكِ – يَـا مَلَاذَ الـــرّوح –
حُـــبُّـــكِ
قَـــمَـــرٌ
يُـــنَـــادِيـــنـي،
وَيَـــطْـــلَـــعُ بِـــي
فَـــأَنْـــأَى
وَأَسْطَـعُ وَسْـــطَ أنْـــوَائِـــي!
صُـبِّي نَـبِـيـذَ الـــحُـــبِّ
يَـفِيضُ فـــي دفَـــاتِـــري
شِـعْرًا تُـرَاقِصُـهُ الـــلُّـــغَـــه،
وَتُـــزَيِّـــنُـــهُ إشَـــارَاتِـــي
وَإيـــمَـــائِـــي...
أنَا لَـــسْـــتُ أَمْـلِكُـنِي هُـنَا،
أَنَـــا لَـــسْـــتُ عِـــنْـــدِي!
أَنَـــا هُـــنَـــاكَ،
عِـــنْـــدَكِ:
شَـــاعِـــرٌ
مَـــارِقٌ،
شَـــبِـــقٌ...
سَـكَـبْـــتُ شِـــعْـــرِي بَحْرًا
رَسَـــوْتُ بِـــشَـــاطِـــئِـــهِ
وَعَـــلَـــى الـــسّـــمَـــاءِ
رَسَمْتُ حُـبَّـــكِ لُـــغَـــةً.../
لُـــغَـــةً
تَـــعَـــالَـــتْ،
تَـــغَـــنَّـــتْ
تَـــشْـــدُو
بِـــأَسْـــمَـــائِـــي!

خلف الأبواب المغلقة...

حياة بن تمنصورت

يخفّ وهج الحكايات القديمة...
يخفت صوتها في الرّوح...
غير انها في المرآة واضحة جدا تبدو...
تتلو مواويلها ..على الجبين
حول العينين ...
حول الشفتين...
واضحة جدا ...باردة جدّا ...!

اسأل:
لم تخطّ تواقيعها..الحكايات
ثمّ تغيّر الوانها....؟
لم ترحل ...ولا ترحل ؟
هنا..الآن
وراء الأبواب المغلقة ...وأمام الشرفة المفتوحة
على القلب....
لا ذاكرة تتسلّى بي
لا حلم ساذج اتبعه...
هنا الان ..
في عينيك أقيم طقوس النّار ...
اشعلها الحرائق
تشعلني ...ولا اموت

السّكر

نصر العماري

حينَ أكتبُ القصيدةَ
لا أضعُ فيها السّكّرَ
ولا أفكّرُ ... إلا فيكِ
فأنتِ حين تقرئينَ القصيدةَ
يُصبحُ لها معنًى آخرْ
وسِحرٌ آخرْ
أعودُ الى كَلماتي
وأتثبّتُ
فأجد أنّ السّرّ ليسَ في الكلمات
لكنّه فيكِ
وأنّ كلماتي مَجنونة بكِ إلى الآخرْ
وأنّها تحبّ السّكّرَ
لكنّهُ سُكّرٌ من نوع آخرْ
لانّكِ بلادِي
لأنّكِ نبض فُؤادي
لأنّكِ حُضن أولادِي
لكنّ اللّصوص
غيرُوا تاريخ الميلادِ
كتمُوا لهيبَ حُبّنا
وأحرقوا صُورة زِفافنا
في الخَمّارات والنّوادِي
تُجار الرّمادِ
باعُوا قنّينة ما بقي مِنّا
في الأسواق العَالميّة
تجّار الرّمادِ
لا يَحترمُون الذات البشريّة
فكمْ رَجوتهم
وكمْ بكت حُروفِي
آآآآه
من عينيكِ العسلّية

في متاهات الخيال

فردوس المذبوح

عندما يحفر الليل في أعماق نفسي
وأنبري أجوب أنفاق عقلي
تنطلق الخيالات من أسرها
يعلو صهيلها
فأمتطيها
كفارس عنيد
لا ترهبه مساحات الوجد
ولا متاهات الذّكرى
حين تعصف بالأمس
وإذا تعبت أتوسّد كتف السّكينة
أسبح في عباب الحلم
أو أعلق بغيمة
تسير بي إلى حيث يتململ القمر
إلى حيث ترسل السماء زخّاتها
دررا على وجه القفر.